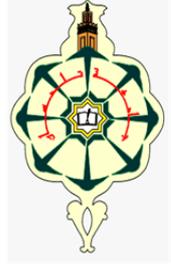


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
كلية الآداب واللغات

Faculty of Letters and Languages
قسم اللغة والأدب العربي



- عنوان الرسالة:

- "تنظير الفكر اللساني المعاصر وإسقاطه على الفكر التعليمي-
التعلمي " جهود عبد الرحمان حاج صالح أنموذجاً

أطروحة علمية مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)

في تخصص: اللسانيات وتعليمية اللغة

إشراف:

الأستاذ الدكتور: هشام خالدي

إعداد الطالب:

جلول سهلي

لجنة المناقشة

الصفة	جامعة الانتساب	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ المناقش
رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ عبد الحكيم والي دادة
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ هشام خالدي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ عبد الناصر بوعلي
عضوا مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ كراش بخولة
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ مختار زواوي
عضوا مناقشا	المركز الجامعي تيبازة	أستاذ محاضر "أ"	د/ عبد الرحمان بلحنيش

السنة الجامعية: 2022/2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوَدَّعَةَ

إهداء

بعد حمد الله وشكره أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي المبارك، إلى روح والدي
الكريمين رحمة الله، وأسكنهما الفردوس الأعلى، وجعل هذا الجهد خالصاً لله عز وجل،
ليكون نوراً في صحيفتهما، وإلى أعز الناس ومن كان سنداً لي في حياتي منذ معرفته، أباً
وأخاً وصديقاً وشيخاً مريباً، سعادة "الشيخ طالبي مولاي علي"، الذي له علي فضل
التلميذ علي شيخه، ولسان حالي كما قال الشاعر:

واحفظ لشيخك ما إن عشت حرمة *** واجعله في منزلة التقدير كمثل أبي
...إلى زوجتي الغالية وابنتي "زهية وابني مصطفى آدم"، وكل العائلة والأهل
والأحباب من قريب أو بعيد، أهديهم هذا الإنجاز المتواضع، بقدر تواضعهم ومحبتهم
للعلم وأهله سائلاً الله عز وجل السداد والتوفيق.

الطالب: سهلي جلول

سُرَّةُ الشُّكْرِ وَتَقْدِيرِهِ

بعد طول وقت، وجهد جهيد أحمد الله حمداً طيباً مباركاً وأشكره جلّ ثناؤه، أن وفقني لإتمام هذا المشروع الذي كان حلاً وطوحاً علياً، امتدّ لسنوات، ومصدقاً لقول سيد الخلق ﷺ: من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أتوجه بحمىل الشكر والعرفان، إلى أستاذي وقُدوتي في الإشراف على هذا العمل، البروفيسور: خالدى هشام وقد طال حلته معى، وأجنزل على من وقته وإرشاده ونصحه وتكرمه، فله على فضل الطالب على أستاذة.

والشكر موصول بأسمى عبارات التقدير، إلى أعضاء لجنة المناقشة، لتصلهم عناء قراءة البحث، وتقويمه وإثرائه، بما يصوب جانب التقصير فيه، داعياً الله عزّ وجل أن يعلننا ما ينفعنا، علماً خالصاً لوجهه الكريم.

ولا يفوتنى أن أتقدم بحمىل الشكر والتقدير، إلى كلّ أساتذتى وزملائى، وكل من كان عوناً لى على إتمام وضبط هذا البحث، فى جميع مراحلها ومضانها.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

من المعروف والمتفق عليه لدى أغلب اللسانيين المحدثين، أنّ الدرس اللساني العربي قد عرف تطوراً كبيراً منذ نشأته، واحتكاكه بالثقافة والفكر الغربيين، نظراً لوجود عاملين أساسيين هما: حركة التأليف في هذا العلم الحديث، والبعثات العلمية ممثلة في العلماء والأدباء العرب، الذين نهلوا من النظريات اللسانية الغربية؛ فأضحت اللسانيات الغربية وعلى اختلاف قضاياها، هي بمثابة مشروع بعيد المدى، كان له امتدادٌ علمي مفتوح، على مستوى البحث اللغوي في ثوبه العربي الجديد، فيما عرف لاحقاً تحت مسمى اللسانيات العربية.

وكانت نتيجة هذا الامتداد، الأثر والتأثير الواضحين في بروز تيارات، واتجاهات عربية متباينة الأهداف، ومتفرقة المناهج، فأخذ البحث في اللغة وفي ظواهرها من المنظور العربي منحى مختلفاً، وقد ترنح بين اتجاهات لسانية متعدّدة، طغى عليها الأخذ بمرجعية النظريات الغربية، بدءاً من الوصفية التي نظّر لها دوسوسير، مروراً بالتوزيعية عند هاريس وأتباعه، وصولاً إلى المدرسة التوليدية الحديثة، التي تزعمها نعوم تشومسكي، وفي المقابل ظهر اتجاه أخذ منطلق تعامله مع هذا الوضع بحزم، حين تناول البحث في اللغة، وربطه بحتمية البحث في التراث العربي، الذي خلفه صفوة من أعلام العربية عبر حقبة ذهبية مختلفة.

فاشتهر التأليف وتنوع الخطاب اللغوي حينها، وسط اللسانيين العرب، في توجهاتهم بين المتبني المتبع لهذا العلم المستحدث، وبين من حاول الجمع بين أدوات النظريات الغربية، وإسقاطها على موروثنا اللغوي، واتجاه آخر سعى إلى إستظهار ما يقابل هذا المولود الغربي الجديد، بما يماثله في علوم اللغة العربية من حيث الأصول والمرجعيات الفكرية.

فتجلت المطالب بضرورة إعادة النظر في التراث، ومحاولة التعامل معه تارةً وفق معايير النظريات الغربية، وتارةً من خلال السعي إلى إعادة تأصيله، وإعطائه المكانة التي يستحقها، وأبرز من مثل لهذا الاتجاه عبد الرحمن حاج صالح، ونهاد الموسى وعبد القادر المهيري، وميشال زكريا وآخرون، ويمكن القول أنّ هؤلاء الجهابذة اتخذوا منهجاً تقابلياً، سعوا من خلاله إلى دراسة قضايا التراث (كالتحو وأصوله والدلالة وغير ذلك من مسائل العربية)، ومقابلته مع ما جاءت به النظريات الغربية.

وما تلا ذلك من تجارب في الاتجاه الوظيفي، الذي حاول استنساخ المنهج العلمي، وطَبَّقه بآلياته الغربية على التحو العربي (التحو الوظيفي)، وقد عمل على ذلك تمام حسان وأحمد المتوكل وغيرهما. إضافة إلى انفتاح أطر البحث حول اللسانيات العربية في الوقت الراهن، إلى قضايا ومستويات حديثة، تشغل حتى الجيل الجديد من الباحثين، في ظل زخم اللغات الأجنبية المزاحمة للعربية.

ولا غلو في القول أنّ عبد الرحمن حاج صالح، كان من قلة اللسانيين العرب، الذين تزعموا لسانيات التراث بحثاً، وتأليفاً، من خلال جهوده التي أسست لمنهج لساني عربي جديد، يسعى فيه إلى ضرورة تأصيل التراث، والبحث في مضانه، وتطوير علوم اللغة العربية بكيانها العلمي والثقافي والحداثي.

والأكيد أننا حين نتحدث عن تنظير الفكر اللساني المعاصر، فإننا نطرق باباً ضخماً من قضايا هذا الفكر، وعلاقته بالمعرفة التعليمية، واللغة، وفنون التدريس، وغير ذلك من المسائل التي تشغل الباحثين من منظرين، وأساتذة ومربين ومبتدئين، والنقاش الذي أسس وأراهن عليه في هذا البحث، ينطلق من موقع الاجتهاد في إثراء مسيرة العربية، بلسانياتها وتراث علومها، ومستقبل

الناطقين بها وبغيرها. خصوصاً في ظل ما نشهده من تطور متسارع للغات الحية في العالم. ثم أنّ هذه الدّراسة جاءت لتسلّط الضوء على واقع الفكر اللّساني العربي المعاصر، وتمظهراته مع الفكر التعليمي - التعلّمي، مع استعراض لأهم القضايا والأبحاث في هذا الشأن، من خلال التعرض لجهود وأعمال أهمّ الأعلام اللّسانيين والمحدثين العرب.

لذا فقد تطرق البحث بالعرض والمناقشة، والتحليل لأهمّ المواقف الفكرية واللّسانية، التي نظّر لها عبد الرحمن حاج صالح، وعمل عليها طيلة مشواره العلمي الحافل، وكان منطلقتي في ذلك، مبنياً على طرح جملة من الإشكاليات، التي استند عليها البحث في مقتضاه العلمي، حيث صيغت كأئلة جوهرية تمّ بسطها على النسق الآتي:

__ هل استطاع الحاج صالح كشف أسس ومقومات اللّسانيات العربية من خلال منهجه التّنظيري للتراث واللغة العربية؟

__ هل هناك جهود عربية معاصرة استطاعت تبني منهج التراث، وربطه بالحدّثة؟

__ هل يمكننا القول أنّ الكتابات اللّسانية العربية، حقّقت غايتها في تأصيل المعرفة اللغوية وتحديثها على مستوى البحث؟

__ هل تم استثمار الحصيلة الإبستمولوجية للسانيات بثوبها العربي الجديد داخل النظام التربوي للتعليم الجامعي؟

__ لماذا لم تستكمل العديد من المشاريع اللغوية التي قام بها حاج صالح على صعيد الوطن العربي؟ أين تكمن المعوقات؟ وما هي التطلعات والبدائل؟

__ هل تمكنت الجهود العربية، في ميدان اللّسانيات وتعليمية اللغات، أن تتيح وعياً للقارئ العربي بعيداً عن التآثر بالنزعة الغربية؟

يروم هذا البحث إلى توجيه النظر نحو الجهود اللسانية العربية، وعلاقتها بالفكرين الغربي والعربي، وقد اخترنا منها كأنموذج جهود وتجارب عبد الرحمن الحاج صالح، التي تميّزت كما هو معروف بالابتكار النظري، والانفراد في التأليف والتأصيل، اللذان غيّرا ذهنية الباحث والقارئ معاً. والمقصود بسمة الانفراد الذي تميّزت به أعمال الحاج صالح، ما يلمسه الباحث من علمية في المنهج، وقومية في المنجز. حين أعطى للبحث ماهيته العربية، بعد أن ظلّ إلى وقت قريب يدخل في التباس النظريات والمناهج الغربية، وقناعة منا كذلك أنّ هذه الجهود تصب في مسعى البحث الدقيق، من تحديد لمعوقات نجاح تدريس اللسانيات بمقاييسها، وفروعها المتعدّدة في الجامعات العربية والجزائرية على وجه الخصوص.

ونرى أنّه من الأهمية بما كان، ضرورة النظر فيما قدّمه هؤلاء العظماء، بتمعن وجدّية لأفكارهم وتصوراتهم ومقاصد أعمالهم، التي سعت إلى تأصيل التراث، وربطه بمصطلح الحداثة وفق ما يخدم لغتنا، وتراثنا وهويتنا، والاستفادة بما يثري البحث على شقيه اللساني والتعليمي. وعليه استند البحث في مساره العلمي، على بعض المصادر، والدراستات بداية من أعمال عبد الرحمن حاج صالح ومؤلفاته اللسانية. وهي كما يلي:

1_ أطروحة دكتوراه بالفرنسية بعنوان Linguistique arabe et linguistique générale : essai de méthodologie et d'épistémologie du à l'Ilm _al-àArabiyya اللسانيات العربية واللسانيات العامة، دراسة منهجية وإبستمولوجية لعلم العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، دكتوراه دولة، جامعة السوربون، 1979م بالفرنسية.

- 2_ بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و 2012م.
- 3_ بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و 2012م..
- 4_ السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، سلسلة علوم اللسان عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و 2012م..
- 5_ منطق العرب في علوم اللسان، سلسلة علوم اللسان عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية موفم، الجزائر، 2007 و 2012م..، ومنشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.
- 6_ الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.
- 7_ البنى النحوية العربية، سلسلة علوم اللسان عند العرب، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016م.
- 8_ النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، عبد الرحمن الحاج صالح، سلسلة كراسات المركز، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، ع/04- 2007م.
- بحكم تشعب الموضوع إبستمولوجيا، تطلب ذلك تنقيباً معمقاً، عن مصادر متفرقة عربية وغربية، لها علاقة مباشرة بالفكر اللساني، وبتعليم اللغات من مصنّفات، ومقالات، ودراسات ورسائل دكتوراه وغيرها، ويمكن عرض أهمها كالاتي:

1- النظرية اللغوية في التراث العربي المؤلف: مُجَّد عبد العزيز عبد الدايم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، مصر، 2006

2- المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث- تأليف توروف شاف وستروسن فرجة وبيت دافسون دوميت، ترجمة عبد القادر قنيني. الطبعة الثالثة، إفريقيا الشرق 2019

3_ محاضرات في علم اللسان، فرديناند دي سوسير، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 2016

4_ اللغة وبناء الإنسان، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل التعليميات، نواري سعودي أبو زيد، الطبعة الأولى 2016

5_ خصائص الخطاب اللساني، أعمال ميشال زكريا نموذجاً، هبة خيارى، الطبعة الأولى 2011

6_ اللسانيات الوظيفية، النظرة والنماذج والمقاربات، كتاب جماعي محكم، إعداد: عزيز العماري وعبد الرحمان رحموني، الطبعة الأولى 2020م

كما تعرضنا لبعض الجزئيات المهمة لدراستين، في مجال تأصيل اللسانيات العربية، وقضايا التوافق بينها وبين اللسانيات الغربية من خلال أطروحتي دكتوراه:

1_ رسالة دكتوراه موسومة ب: "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات" المعاصرة للباحث: معالي هاشم أبو المعالي. جامعة بغداد 2012م.

2_ أطروحة دكتوراه علوم موسومة ب: "تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسّان وعبد الرحمن حاج صالح، دراسة إبستمولوجية في المرجعية والمنهج" للباحث: عبد الحليم

معزوز - جامعة باتنة 2016-2017م.

3- مُجَدِّد بن علي بن مُجَدِّد العمري "أوجه التَّنْظِير عند ابن جَنِّي" بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابها" تخصص النَّحو والصَّرْف " ، جامعة أم القرى، كلية اللُّغة العربيَّة وآدابها، قسم الدَّرَاسَات العليَّا، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، 23-1424هـ

إنَّ الدِّوافع وراء إنجاز هذا البحث، يمكن تصنيفها إلى دوافع ذاتية خاصة بالباحث، وأخرى موضوعية فرضها منطق البحث وخلفياته، من حيث أنَّها تتَّصل بالموضوع اتصالاً مباشراً، كما أنَّ أهمية وأصالة الطرح، لا تحتاج إلى أخذ قصب السبق، في استظهار خبايا الفكر اللِّساني لتراثنا، ولا غايةً في استنساخ ما سبق من رؤى، وأفكار لسانية وصفية كانت أو وظيفية، بقدر ما يكمن في أسلوب التناول، ومنهج التحليل الذي يقف على النتائج الموضوعية، وينظر لما يجب أن تكون عليه المعرفة اللُّغوية العلمية، ويسهم في بناء ما تطمح إليه لغتنا العربيَّة من تطور وحدائث.

وأما الدِّوافع الذاتية التي كانت وراء اختيارنا لهذا الطرح، فهي نابعة من ميولي البحثي عن مشارب اللِّسانيات، ورغبةً في تحصيل الاطلاع على الإنتاج اللِّساني العربي الأصيل، والتحقق في مرجعياته الفكرية والمعرفية، تنظيراً، وتوصيفاً يدعم طموحنا في تقديم مقترحات، قد تسهم في خدمة الفكر اللِّساني للغة العربيَّة وتطويره، والواقع أنَّي تلمست الطريق إلى هذه الدِّوافع، حين تمعنت ولو بالخطِّ اليسير، جانباً من تجارب عبد الرحمن حاج صالح اللِّسانية، التي أوقدت فضولي في مقارنة منهجه، وإعادة فهم لنظرياته، ومشاريعه التي سعت إلى تطوير اللغة العربيَّة.

ضمَّ هذا البحث في مدخل وفصول أربع، احتوت ربط الجوانب النظرية، والتطبيقية للطرح، وسبقها هذه المقدمة التي نحن بصدد سرد مضمينها، لتليها خاتمة اشتملت على الإحاطة بنتائج البحث، ووضع تصور فكري لأهم البدائل والمقترحات.

أما المقدمة فكانت فضاءً رحباً، قدَّم بُدَّةً عامة من التصورات، والمفاهيم عن طبيعة الموضوع، وما تعلق بطرح إشكالياته، كما أنَّها تناولت أهدافه البحثية، وعرضاً للمنهج المتبع في تحريره، وما استند إليه من مصادر، وموارد مع ذكر الدِّوافع والصعوبات التي اعترضت مسار البحث.

كما ارتأينا تقديم مدخل تمهيدي للدراسة وسم ب: « الإطار الإستمولوجي لمصطلحي اللغة واللّسان»، لنقدّم نبذة مفاهيمية للمصطلحي اللغة واللّسان، ونعرض لبعض قضايا اللغة، وماهيتها، وتاريخ اللّهجات، مع مناقشة وتحليل لمختلف الدّراسات التي تحدّثت عن الفكر، واللغة وتقاطعهما. حيث جاء الفصل الأول الموسوم ب: " مصطلح التّنظير والمرجعيات الفكرية للنظرية اللغوية"، وكان من الضروري تقديم تعليل للقارئ الكريم، من وراء توظيفنا لمفهوم التّنظير - theorizing لكونه من المقتضيات، والضرورات البحثية. لتتطرق بعد ذلك للحديث عن أهم المرجعيات، الخاصة باللّسانيات المعاصرة، وتاريخ مناهجها، ونظرياتها، ومقاربتها مع ما اطلعنا عليه من نظريات في تراثنا العربي.

تم ضبط البحث وفق منهج توصيفي تارةً، وتقابلي في بعض الجوانب منه تارةً أخرى. كما استعنا أحياناً بالمنهج التاريخي، والاستقرائي، والتحليلي، في حيثيات متفرقة من متن البحث. وقدمنا من الشواهد التراثية - النظرية منها والمفاهيمية ما وجدنا فيه المنفعة، والتنوير لغاية البحث، من تأصيل للدرس اللغوي، بأبعاده العلمية والموضوعية، التي أدركناها في تجارب حاج صالح، ومن سار على منهجه.

ثم أردف بعد ذلك الفصل الثاني وقد وُسم ب: "قراءة أسس المحتوى الإستمولوجي لللسانيات العامة" وسعينا من خلاله إلى توصيف السياق التاريخي لنشأة اللّسانيات كعلم حديث، مع استكشاف مرجعياتها الفكرية في التصور الغربي، وتحليل ومناقشة أهم الآراء في القضايا اللّسانية الراهنة.

تكملةً لما سبق، جاء الفصل الثالث في البحث موسوماً ب: " قضايا اللّسانيات العربية وديداكتيك اللّغات بين التّنظير والممارسة" وقد تطرقنا فيه إلى مطارحة مسائل التراث، والحدّات وحصيلة الكتابات العربية في ميدان اللّسانيات، مع الكشف عن واقع البحث اللّساني، وقضاياها

المعاصرة التي ترتبط بظواهر اللغة العربية، انطلاقاً من جهود الحاج صالح في ترقيتها، والنهوض بمستوى تعليمية اللغات، وما أحدثته اللسانيات المعاصرة بفروعها المختلفة من نتائج إجرائية، إضافة إلى تناول العديد من المشاغل المرتبطة بذلك.

أما الفصل الرابع فقد وسم ب: "مستقبل تعليمية اللغة العربية في ظل اللسانيات المعاصرة" وتضمن أربعة مباحث، خصّصت للحديث عن نشأة اللسانيات التعليمية، وعلاقتها بتعليمية اللغات، ثم تعرضنا إلى معوقات التدريس، حيث تم التركيز في هذا الفصل على الجانب الإجرائي، لعلاقة اللسانيات بالتعليمية مع عرض مشروعات حاج صالح البحثية، وتحليل أفكارها، ومقاربة خلفياتها مع مناهج تعليم اللغات، وخصّصنا المبحث الختامي لتحليل نتائج الاستبانة، الذي استوجبه البحث، متضمناً إشكاليات موسعة حول تدريس اللسانيات في الجامعة الجزائرية، مع الوقوف على أهم المعوقات، التي تعترض الجانب التعليمي لعلوم العربية رصدًا وتحليلًا.

وعلى العموم فقد حاول البحث، إثراء النقاش من خلال طرح قضايا تجمع بين اللغة وعلومها اللسانية من جهة، ومن جهة أخرى علوم التربية والتدريس، وتم تقديم ما يناسب ويتناسب من رؤى نظيرية، تمهد لتحقيق تطلعات اللسانيات العربية في الجامعة الجزائرية.

أما الخاتمة، فعرضنا فيها رؤية شاملة عن أهم مشاريع عبد الرحمان الحاج صالح، من مواقف منفردة في حقل البحث اللغوي العالمي والعربي، مع تقديمنا لبعض المقترحات، وجملة من البدائل التي استخلصناها كنتائج من خلال مجريات البحث، وما تعلق بتدريس اللسانيات وتعليمية اللغة العربية.

وكأي بحث لا يخلو من صعوبات، فقد اعترضت سبيل هذا البحث، مشاكل جمة و إرهابات هي حال ومآل كل باحث، يمكن إجمالها من باب الإفادة في ما يلي :

1_ غزارة المادة العلمية للمادة اللسانية، وطبيعتها المتشعبة، وتعدّد مخرجات البحث، وهو ما يفرض على الباحث إمعان النظر، فيما ينتقي من مصادر، وفق منطق البحث وأبجدياته.

2_ استشكال مقارنة المادة اللسانية، في المؤلفات العربية نظراً لاختلاف توجهات مؤلفيها، إضافة إلى سيطرة الطابع النقدي عليها، وهذا جعلنا نحاول انتقاء الأنسب من محتوى لموجبات البحث ومخرجاته.

3_ صعوبة الحصول على مؤلفات الحاج صالح وكتبه الورقية، اللهم إلا النزر اليسير منها، خاصة في ظل ظروف وباء الكوفيد-Covid التي يعيشها العالم، وقد اضطررنا لأخذ تلك المصادر النفيسة من الأنترنت، وبعض المكتبات الافتراضية بصيغة الكتب المبدأفة-PDF.

4_ عدم التمكن من القيام بدراسات ميدانية، تتعلق بالاستبيان الذي كان موضوعه: "تقييم مدى تدريس المقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية"، وهذا نظراً لظروف الوباء كما أشرنا، وحاجة البحث في جانبه الإجرائي إلى الحضور، و المعاينة، والاستطلاع، واكتفينا بإرساله إلكترونياً إلى ثلة من الأساتذة المختصين.

إنّ موضوع تّنظير الفكر اللساني المعاصر، يتجسد في طرح التوجهات اللسانية العربية، التي تجمع بين التراث، والحدائثة، ولم يقتصر على تجارب نفر من اللسانين العرب، أمثال حاج صالح، وتمام حسان، و نهاد الموسى والفهري وغيرهم فحسب، لأنّ هؤلاء من خلال تأليفهم اللساني، مارسوا آليات التّنظير في منهجهم، بقصد أو بغير قصد أحياناً، وكان لهم قصب السبق، في فتح آفاق البحث اللساني، وتأصيله لخلق فكرٍ عربيّ المنهج، ومن باب الإنصاف العلمي، فإنّ هؤلاء

العلماء يرجع لهم الفضل، لكونهم فتحوا أبواباً للبحث العلمي في علوم اللغة العربية، أمام الأجيال الجديدة من الباحثين والطلاب، من خلال مؤلفاتهم وأراءهم ومشاريعهم النيرة.

وختاماً لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان، إلى الأستاذ المشرف سعادة البروفيسور: هشام خالدي على اختياره لهذا الموضوع، وتوجيهاته القيمة والمرافقة لي، طيلة زمن هذا البحث المنجز، وعلى مرّ سنون خمس، وفق رؤيته العلمية السديدة، التي أنارت دربي في البحث والشكر موصول إلى كل الأساتذة، وهيئات التدريس في "جامعة تلمسان"، التي احتضنت طموحنا، وآمالنا في السعي نحو البحث، دون أن أنسى تقديم أجزل الشكر والتقدير لأساتذتي، في "جامعة ابن خلدون" التي درست بها ستّ سنوات، ولله الحمد والمنة، أن وفقني لنيل شرف السفر والمكابدة لأجل نيل العلم، راجياً من الله عزّ وجل، أن أكون ممن اجتهدوا وتعلموا واسهموا في خدمة صاحبة الجلالة لغتنا العربية.

- الطالب: سهلي جلول - تلمسان يوم: 08-06-2021

المدخل

توطئة:

لا ريب أنّ مفهوم اللغة قد شغل الباحثين، والمفكرين على مر التاريخ الإنساني، وحتى الوقت الراهن فاتجهت أبحاثهم ودراساتهم، نحو البحث عن أصل اللغة ونشأتها، وتاريخ وجودها، فهي قبل أن تكون مجرد أصوات فيزيائية ملفوظة أو حروف مكتوبة، فإنّها تمثّل الهوية والذات والثقافة للفرد، بل هي الكيان الذي يميّز وجوده، ويدعم استمراره في الحياة.

ويُعدُّ البحث في التركيب الاصطلاحي لمفهوم اللغة، من أعقد المسائل؛ نظراً لتباين المفاهيم، والمسمّيات في المعاجم اللغوية، وهذا أمر يستوجب من الباحث إمعان النظر، ودقة المعاينة بالنظر إلى تعدّد التعاريف، والمضامين المفاهيمية لهذه المعاجم، وتباين تفاسيرها لمصطلح (اللغة)، حيث لم تكن كلمة (لغة) قديماً في معناها، ومفهومها التصوري مصطلحاً كما هو عليه الحال في وقتنا الحاضر، و السبب في ذلك هو أنّها قد مرّت بتطور مفاهيمي كبير، على مستوى الدلالة، والمعنى، وتشعب فروعها، وكثرة مدلولاتها، وسياقات استعمالها في التواصل والتخاطب.

ولعلّ الأهم من ذلك هو ارتباط اللغة بالفكر، والذي شاع منذ القدم في الدراسات هو مصطلح (الفكر اللغوي)، أو الفكر اللساني، فاللغة فكر، وثقافة، وحضارة، وعلم وتعليم. وهي ترجمان لكلّ معرفة إنسانية، لذلك سيخوض هذا البحث، مدخلاً توصيفياً لأهم قضايا الفكر واللغة، ضمن السياق التاريخي، والمفاهيمي لهما.

1- مفهوم اللغة في المعاجم العربية:

تباين تعريف اللغة لدى العلماء، بين من يرى أنّها أصوات، أو رموز يعبرّ بها الأقسام عن حاجاتهم، ومن يرى أنّها ملكة فطرية يمتلكها كل فرد، ولعلّ هذا الاختلاف نابع أيضاً عن التمايز بين المجتمعات، والثقافات الإنسانية نظراً لتنوع الجنس، والحضارة، وغير ذلك من العوامل، وكان العرب يعبرّون عن أفكارهم في تعاملاتهم التواصلية، بكلمة أخرى هي (اللسان)، كونه يُعدّ الكلمة المشتركة بين اللفظ، والمعنى، في جلّ اللغات السامية شقيقات اللغة العربية.

يضاف إلى ذلك، أنّ العرب كانوا يطلقون على مصدر الضوضاء التي لا طائل من ورائها (لغواً) من الفعل (ألغى)، يلغي بمعنى أبطل، أي عدّد ذلك لغواً. وجاء في معجم الصّحاح أنّ الفعل (لغأ- يلغو - لغواً، أي قال باطلاً). يُقال: لغوت باليمين، واللغأ: الصّوت من الوغأ، ولغّي به، أي لهجّ به، ولغّي بالشراب: أكثر منه.¹

ويعرّف ابن منظور الأنصاري (630هـ-711هـ) اللغة بقوله: «هي فُعلة، من لغوت- أي تكلمت، أصلها لغوة، ككرة، وقُلة.»² وغير ذلك من الألفاظ. أمّا الكفوي فيقول: «اللغة أصلها لغى، أو لغو جمعها لغى ولغات.»³ ويعرّفها الفيروز آبادي: «في مادة (لغو) بالواو، وجمعها على لغات ولغون.»⁴ والملاحظ على هذه التعاريف أنّها لها اتفاقاً لغوياً حول لفظ اللغة.

¹ - معجم الصّحاح، المجلد الثاني، دار الحضارة العربية، بيروت، (ب د ت) ، ص447

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (ل، غ، و)، ج/15، ص: 252 مادة (ل، غ، و)

³ - الكفوي، أبو البقاء بن موسى الحسني، الكليات، تحقيق عدنان درويش، مجّد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1989 ص:697.

⁴ - الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر مجّد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص:773.

ومن المعلوم أنّ العرب يُميّزون بين لفظ اللغة، واللّغو. فاللغة كلام يُقصدُ به معنًى واضح ومفيد، أمّا اللغو فكلامٌ من غير رؤيةٍ، ولا تفكير، وهو الكلام العشوائي المهمل، الذي لا قصد محدّد منه، في حين اللغّة هي الكلام غير المهمل، الدال على ما يفهم معناه حال التلّفظ به.¹

فعند قولنا مثلاً: (زيدٌ-في-قام-البيت) فهذا لغوٌ لا لغة. والسبب يستبينُ لنا، في عدم دلالاته على معنًى مفيد، في حين إذا قلنا (قام زيدٌ في البيت) فيكون ذلك لغةً لا لغواً، لدلالاته على معنًى مفيد. كما أنّ كلمة: (عبد الملك) هي مفردةٌ أنّ جعلت علماً على شخصٍ، وهي مركبةٌ إن قصد بها نسبةً إلى الملك بالعبودية.²

ويقول الزمخشري (467هـ-538هـ): « واللّغا ولغوت بكذا وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستغلهم: فاستنطقهم زسمعت لغواهم...وتقول اسمع لغواهم ولا تخف طغواهم ، ومنه (اللّغة)، تقل لغة العرب أفصح اللّغات، وبلاغتها أتمّ البلاغات. »³ وإمّا كان العرب يستعملون كلمة (لسان) للدلالة على اللغة، والقرآن الكريم لم يستعمل هذه اللفظة بالمعنى المعروف عندنا، وإمّا استعملت بمعنى الساقط* من الكلام الذي لا طائل تحته.

ولعلّ الشاهد على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (الآية 26- سورة فصلت).

¹ - المرجع نفسه، الفيروزآبادي، ص 02

² - حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات تربوية، مركز البحوث والدراسات التربوية، العدد 06، نيسان 2009، ص 196

³ - الزمخشري، أبي القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق مُجد باسل، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 ج 2: ص 173

* - الساقط: يقصد به الدلالة اللغوية للفعل لغي: ومعناه أخطأ وتكلّم من غير فائدة، كقولنا لمن لا يتكلم بالقول المفيد، رجل تافه، أو لا طائل ولا فائدة من كلامه.

(فاللغو)¹: هو البهتان والكذب والساقط من الكلام الذي لا معنى مفيد له، وجاء استعمالها بمعنى الباطل من القول في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (الآية 03- سورة المؤمنون)، وفي السياق ذاته فقد ورد في الحديث النبوي الشريف، في باب: معنى ما لا يحتاج إليه من الكلام، قول سيدنا محمد (ﷺ): ((إذا قلت لصاحبك أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت.))²*

والجدير بالذكر أنّ هناك اختلاف وجدل، كبيرين بين علماء اللغة في القديم والحديث، حول الفرق بين لفظتي (اللسان) و (اللغة). ومّا ورد في هذا الشأن قول العرب: «اللسن بكسر اللام) بمعنى اللغة، ويقال لكل قوم لسن، أي لغة يتكلمون بها.»³ وقد جاء التصريح بهذا في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الآية 04-سورة إبراهيم)، والشواهد التي أثبتت استعمال العرب للفظ اللغة، واللسان متعددة في النقل، لا يسع المقام لحصرها.

1-2- الإطار الإستمولوجي لمصطلح اللغة:

اشتدّ الخلاف بين العلماء في تعريف اللغة كمصطلح، وهذا نظراً لارتباطها بعلم كثيرة، ويمكن أن نعرّف (اللغة) في مفهومها العام، وتصورها المعرفي على أنّها الأصوات، والتعبير التي يعبر بها مجموعة من الأفراد عن حاجاتهم، ومطالبهم فيما بينهم، ولعلنا في تراثنا العربي نجد أوفى التعاريف

¹ - ينظر: كمال يوسف الحاج، ص: 197

² - الصحاح، المجلد 06، ص: 95

* - عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أنّ رسول الله (ﷺ) قال: إذا قلت لصاحبك: أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب؛ فقد لغوت. فقد لغوت"، وفي رواية لمسلم: فقد لغيت. قال أبو الزناد: هي لغة أبي هريرة. قال النووي: قال أهل اللغة: يُقال: لَعَا يَلْعُو كَعَرَا يَعْزُو، وَيُقَال: لَعِيَ يَلْعَى كَعَمِيَ يَعْمَى، لُعْتَانِ الْأَوَّلَى أَفْصَحَ، وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَفْتَضِي هَذِهِ النَّائِيَةِ الَّتِي هِيَ لُغَةُ أَبِي هُرَيْرَةَ.

الاصطلاحية للغة، حين قال عنها الإمام ابن جنيّ (322هـ-392هـ) بقررون خلت « أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم.»¹ ولعلّه يقصد بذلك، مطالبهم الحياتية والتواصلية.

كما أنّ التصريح بوجود اللغة، جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللُّغَاتِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (الأنعام: 102) و﴿وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللُّغَاتِ﴾ (الأنعام: 102) و﴿وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللُّغَاتِ﴾ (الأنعام: 102).

و يفسّر الإمام بن كثير (ت774هـ) قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَلَفُ اللَّسَانِ وَاللُّغَاتِ﴾: «يعني به اللُّغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر... إلى غير ذلك ممّا لا يعلمه، إلاّ الله من اختلاف لغات بني آدم... منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات، أو الهيئة، أو الكلام ظاهراً كان، أو خفي، وهذا ماثبت وجود (اللغة) مع خلق آدم، واقتراها بوجود الأمم على اختلاف أصولها وثقافتها منذ الأزل، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام.»²

وانفراد الانسان بامتلاكه ملكة يتواصل بها مع بني جنسه، يجعله يتمكن من ترجمة أفكاره ومشاعره إلى ألفاظ وعبارات مفهومة مع أبناء مجتمعه.³

وهناك من يعرف اللغة على أنّها: « ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية، فهي إذن صفةٌ مميّزة للجنس البشري.»⁴ لكونها تحمل سمة الانفراد والاجتماعية، وتسهم في بناء المقومات السلوكية للفرد داخل المجتمع، وهي نشاط إنساني يقوم به كل فرد من

¹ - ابن جنيّ، الخصائص: تحقيق مُجّد عليّ التجار، طبعة عالم الكتب، بيروت. المجلد: /1 ص: 33

² - ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، طبعة منقحة، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص: 1450

³ - ينظر: مُجّد صالح بن عمرة، الثورة و التكنولوجيا واللغة، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص: 7

⁴ - نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط 1971، ص 57

أفراده المجتمع، يتطلب جهداً فيزيولوجياً، وعملية إدراكية ينفعل بها فرد أو أفراد آخرون.¹ بشكل متواصل يترجم أفكارهم، ويحقق تواصلهم، وتبادل، وجهات نظرهم.

أما فرديناند دي سوسير-F. Saussure، فينظر إلى اللغة على «أنها نظام ونتاج اجتماعي ملكة اللسان، وهي مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد على ممارسة هذه الملكة»² ويقصدُ سوسير بهذا التعريف، إلحاق اللغة بما يصطلح عليه (الملكة)، التي تكون نتاج نظام سوسولوجي يحدّد لغةً ما، وفق تقاليد ومبادئ مختلفة تحفّزه لاكتساب هذه الملكة.

فاعتبار اللغة نظام كما رأى سوسير، يستوجبُ النظر في العلاقة بين الكل والجزء، ويعدُّ وفق مؤرّخي تاريخ البحث اللغوي المعاصر، أولّ من أدرك أنّ اللغة نظام له قواعد خاصة، وهذا النظام يتطلبُ معرفة لحدود ومستويات اللغة، ونلمس هذا في قوله: «إنّ قيمة الأجزاء تأتي في مكانتها في هذا الكلّ وذاك؛ ولهذا فإنّ أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكلّ أهميتها بين الأجزاء وفيما بينها»³

وإذا قمنا بمقارنة علمية دقيقة، وفق ضوابط المنظور اللساني الحديث، بين تعريفني (ابن جنيّ و دوسوسير) للغة، فإننا ودون تحييز نرجح تعريف ابن جنيّ؛ لأنّه أبرز الجانب الوظيفي للغة، حين تحدّث عنها كبنية صوتية من جهة؛ وهذا ما يعرف في المصطلح الحديث ب(علم الصّوتيات- Acoustics)، ومن جهة أخرى كشف عن دورها (السوسولوجي-Sociological) خارج حدود اللغة.

¹ - ينظر: عبد العزيز شرف، المستويات اللغوية في الاتصال الإعلامي، المجلة العربية للمعلومات، العدد الثالث- القاهرة 1979، ص: 69

² - علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار أفاق عربية، بغداد، 1985، ص: 27

³ - ينظر: يوسف غازي، محاضرات في الألسنية عامة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص: 149

ثم إنّ منهج المقارنة بين مختلف مستويات بنية اللغة (التركيب، الدلالة، الصّرف، الصّوت...) تبين للباحث، أنّ الجانب الذي لم ينل حظّه من الدّراسة هو جانب المعنى والمحتوى، أو ما يمكن تسميته البنية الصورية للمحتوى (أو البنية المنطقية). ولعلّ السبب في ذلك، يرجع إلى عدم تمكن البحث اللساني، من الأداة المنطقية، وعدم اشتقاق مفاهيم دلالية خالصة، تتطابق مع الحقيقة الموضوعية التي تهدف إليها اللغة.¹

ذلك أنّ علاقة اللغة بالمنطق، أو الدّراسة اللغوية عموماً، كان لها حضور عند العرب، وقد ذكر أبو حيان التوحّدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) المناظرة الشهيرة، بين أبي سعيد السيرافي، ومثي بن يونس في بغداد (سنة 326هـ). وتعتبر من بين التّصوص الأكثر ثراء في تراثنا العربي-الإسلامي.

ويعلق الدكتور: محمود فهمي حجازي على تعريف ابن جنّي قائلاً: «هذا تعريف دقيق، يذكر كثيراً من الجوانب المميّزة للغة. فأكد ابن جنّي أولاً الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضاً أنّها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم. ويقول الباحثون المحدثون بتعريفات مختلفة للغة، وتؤكد كل هذه التعريفات الحديثة الطبيعة الصّوتية للغة، والوظيفة الاجتماعية للغة، وتنوع البيئة اللغوية من مجتمع إنساني لآخر.»²

¹ - أينس ألود- لارس غونار أندرسون، أوستن دال، المنطق في اللسانيات، تر: عبد المجيد جحفة، الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص: 05

² - أبو خلدون ساطع الحصري، اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985

إنّ مهمة اللسانياتي تكمن في رأيي، حين يَصِف لغة طبيعية معينة، ويحاول كشف ما يشمله التركيب المفرداتي، و تركيب الجمل ضمن سلسلة لامتناهية من الرموز اللغوية. كما أن مهمة المُنظّر اللساني أن يكتشف إذا استطاع؛ ما قد يوجد من الخصائص التركيبية، التي تختلف بها اللغات الطبيعية عن غيرها، ممّا يُسمى باللغات غير الطبيعية. وهذا الهدف يتجاوزه تشومسكي حين يرى أنّ هذه الخصائص التركيبية موجودة بالفعل... مما يجعلُ تحصيل المتعلم من العَدَم أثناء مغالبتِه اكتساب اللغة الأمّ أمراً مستحيلاً. فلا بد أن تكون تلك الخصائص معروفة للطفل بصورة مُعينة، وبشكل مستقل عن تجربته مع أية لغة طبيعية أخرى.¹

ومن المفروض أنّ هذه التوصيفات التراثية للغة، ينبغي أن تنظر، وتوصّل في ميدان البحث اللساني العربي الحديث؛ خدمةً لتراث العربية. بل بالعكس إنّنا نراها قد تحولت بتعاقب الزمن، إلى ميدان لنقاش أولى الفروع على الأصول، وأهمل تأصيل اللغة كظاهرة ضمن مواضيعها الأصيلة، وتأثر بما يقدمه الغربيون من محتوى.

فسعي كثير من علماء اللغة وفي حقبة مختلفة، إلى الإتيان بتعريف جامع مانع للغة، مع بذلهم وإعمالهم للجانب الفكري، والحسّي في ذلك، ورغم تمرّسهم في منهج البحث عنها، أنتجوا لنا حصيلة ضخمة من التعاريف المفاهيمية المختلفة، ولعلّ السبب في ذلك، هو تناول كل فريق منهم لغة من منظور مختلف، قياساً على تجاربهم وتحليلاتهم، وهذا يقود إلى حتمية أن تكون للمنظر اللساني، الصورة المفاهيمية المكتملة عن اللغة كمصطلح.²

¹ - ينظر: الحسين بشوط، مفهوم اللغة من المنظور اللساني، منظمة المجتمع العلمي العربي، منصة النقاش، تاريخ النشر: 16 ديسمبر 2016، رابط المنصة على النت: <https://arsco.org/article-detail-95-8-0> تاريخ الإطلاع : 2021/05/31

² - ينظر: عبد المجيد الطيّب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، دراسة تقابلية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ص:40

انطلاقاً من فهمه لكل ما عرف لاحقاً من مصطلحات غربية، وضرورة الكشف عن مرجعياتها؛ لأنها قد تكون جزءاً من تراثه اللغوي العربي الأصيل، وهذا لا يعني البتة تجاهل تلك المصطلحات، بقدر ما يترتب على الباحث من توثيق لهذه المرجعيات بأمانة علمية، بعيداً عن الانصياع للفروع الغربية، من علم اللغة دون فهم أصولها.

ويطرح حاج صالح رأيه في مسألة التمييز بين لفظي (اللغة واللسان) قائلاً: «ولا شك أنّ القارئ قد لاحظ أننا نميلُ إلى استعمال لفظة (اللسان)، ونفضلها على كلمة (لغة) ولهذا الميل مُبرّرٌ سببيّهُ الآن. لقد اقترن مصطلح اللسانيات (Linguistic) ب (علم اللغة)، وكنا لا نرى بأساً لو أنّ كلمة (اللغة) كانت تدلُ دائماً على مفهوم اللسان.»¹ ويتطابق هذا الرأي مع ما حدّده ابن جنّي، من معايير منطقية في أسبقية لفظ (اللسان) على لفظ (اللغة)، وسيأتي تفصيل الكلام عن هذه القضايا الجوهرية، في حيثيات هذا البحث.

1-2-1- كرونولوجيا نشأة الفكر اللغوي:

لا يخفى على أحدٍ من الدارسين والمؤرخين في ميدان الدّراسات اللغوية - linguistic studies، حجم ما يتطلبه البحث في تراثنا العربي، سواءً على مستوى المنهج أو على مستوى الاسقاط الموضوعي (projection-objective)، للمحتوى الضخم الذي يمثل المعرفة اللغوية، وهذا في اعتقادي يثير على الدوام مشكلات معرفية، تحتاج إلى مطالب موضوعية، يسعى من ورائها الباحث، إلى ضرورة التنظير لما يتلقاه من نظريات لسانية غربية.

¹ - عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، الجزائر، موفم للنشر 2012، ص: 36

ذلك أنّ (اللغة) تحتاج إلى مسابرة بيئة التطور التكنولوجي الحاصل في أي مجتمع؛ فمن سماتها الاستمرارية زماناً ومكاناً، والتجدد في علاقاتها مع المحيط، في جانبي الاتصال والتواصل بين الأفراد، وبالتالي فاللغة التي تظهر، وتتحقق في أشكال لغات أخرى كثيرة، ولهجات متعددة وصور ((الكلام)) الإنساني؛ لا بد وأن تكون لغة، أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة.¹

فلطالما تجوب في مخيلة الباحث أسئلة مهمة حول أصل اللغة، لذا يبدو تصورنا لها تصوراً أزلياً، والتسليم بأن اللغة قد نشأت منذ الأزل، ولها امتداد عبر الكون؛ يميز لنا طرح جملة من التساؤلات: أي لغة تلك التي بدأت منذ الأزل؟ وهل كانت هناك مجتمعات بشرية لم تتواصل عبر اللغة؟ بل تواصلت عن طريق أصوات مفردة، وإشارات إيمائية، لها ترددات فزيائية خاصة، وهل هذه اللغة عطاء إلهي، أم صنيع وابتكار إنساني؟ ماهي اللغة ومتى وجدت أول لغة؟ هل هي مجرد تراكيب نحوية وصيغ بلاغية ومفردات وأسماء، تختلف من لغة لأخرى؟ وما علاقتها باللسان البشري؟

والحق أنّ هذه الأسئلة حول أصل اللغة ليست بالجديدة؛ بل هي مستمرة عبر التاريخ الطويل للبحث اللغوي، وتناول الدراسة حول مسألة المنشأ ليس بالموضوع الجديد، ولا بالمنشود في هذا البحث، بقدر ماهو محاولة ودعوة للإجتهد فيما يتعلق بالتنقيب العلمي، عن مرجعيات اللغة الإنسانية عموماً، و العربية بالأخص، لكونها تشكل إنتمائنا وهويتنا.

¹ - ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة الخانجي القاهرة، -1417هـ-

وتختلف تقديرات عدد المتكلمين باللغات، إلى حدٍ كبير عبر العالم، وتطرح عدداً من المشكلات، لاسيما ما تعلق بتعريف لغة من اللغات كما ذكرنا، إذا قلنا على سبيل المثال لا الحصر، ماهي الصينية أو العربية أو الإنجليزية؟ أهي اللغة الرسمية في الصين أو الوطن العربي ككل، أو أمريكا وبريطانيا فحسب، لأنّ في الصين، تدعى اللغة المتداولة في الغالب باسم (بوتونغ أو المندرينية)، أو يمكن تشمل جملة من لغات الهان (المن، الوو، الهكا، الكانتون... إلخ).

والأمر ذاته بالنسبة للعربية: أهي اللغة الرسمية في جميع البلدان العربية والإسلامية، أم أنّها تنوع ((اللهجات))، من قبيل (الجزائرية والمغربية والمصرية والتونسية... إلخ)؟¹

فالإشكال المقصود هو ماذا يعني أن نتكلم لغة؟ والجواب في اعتقادنا ليس بالسهل، بل يحتاج إلى عقود من الدراسات المكثفة، المرتبطة بالظاهرة اللغوية، والخطاب وغير ذلك من المسائل اللسانية التي تشكل صداماً فكرياً بين الباحثين.²

لذا كان من المهم تسليط الضوء، على جملة من الجوانب التاريخية، التي تبرز الماهية والأصل في مصطلح (اللغة)، والبحث عن أهم مخرجات الكم المعرفي المتعلق بالفكر اللغوي، دون مبالغة ولا تكلف، استناداً إلى ما استطعنا اصطفاؤه، من مراجع، ومصنفات، لإثراء هذا المسعى العلمي اللساني.

¹ - لويس - جان كالفي، أي مستقبل للغات، الآثار اللغوية للعولمة، تر: جان ماجد جبّور، مؤسسة الفكر العربي، ط1 بالعربية، 2018-1439هـ، بيروت لبنان، ص: 185-186

² - ينظر: كتاب: أي مستقبل للغات؟ الآثار اللغوية للعولمة، تأليف: لويس - جان كالفي، ترجمة: ماجد جبّور، ط1، بالعربية، 2018-1439هـ، مؤسسة الفكر العربي، ص: 186

كما نودُّ أن ننبّه في سياق كلامنا، إلى أنّ جلّ العلماء، والباحثين لم يختلفوا في معظم مسائل علم اللغة، بقدر اختلافهم حول موضوع نشأتها، وأصلها، وهذا متواتر في أوساط اللغويين منذ القدم وحتى الوقت الراهن.

1-2-1-2 اللغة بين الماهية والأصل والتطور:

لم يقتصر اختلاف العلماء كما قلنا سلفاً، حول تعريف اللغة؛ بل تعدّى ذلك إلى البحث والديالكتيك¹ * بين الفلاسفة، والمفكرين، وقد تنوعت آراؤهم، واختلفت مذاهبهم، ومع ذلك لم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية، بل اصطبغت جلُّ آرائهم بالصبغة الشخصية، التي لم تتجاوز مرحلة الفرض المبني-(based -thesis) على التوقع النظري، والحكم الحدسي في إثبات أصل اللغة أو حقيقتها بشكل يقيني مثبت.²

وهذا في رأبي يتنافى مع ما تطرحه نظريات التطور وامتداداتها، ودراساتها حول أصل اللغة، يستبين ذلك حين تميّز الأمم بعضها عن بعض، فلا تعرف نسبة انسان ما، إلاّ بعد أن يتكلّم. ويحمل الاستعمال والحاجة كل امرئٍ على أن يتعلم لغة بلاده، ولكن ما الذي يجعل تلك اللغة هي لغة بلاده لا لغة بلاد أخرى؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة في تصورنا، المسبق عن اللغة، وهذا يقتضي الرجوع إلى سبب ما، يرتبط بالمكان، ويكون سابقاً على العادات عيناها: فالكلام بما هو أول مؤسسة اجتماعية، إمّا يدين بشكله إلى أسباب أحق ما يقال عنها أنّها فزيولوجية طبيعية أو أسباب تحيط باللغة.²

¹ - ينظر: رمضان عبد التواب، المرجع نفسه، ص: 109

² - ينظر: جان جاك روسو، محاولة في أصل اللغات، ، تعريب: مُجدّ محبوب، تقديم: عبد السلام المسدي، ديسمبر 1984م، ص: 27

* - الديالكتيك: هذا المصطلح أقرب ما يكون إلى المنهج الفلسفي، وهو يعني الجدل والنقاش في القضايا التي تحتمل آراء كثيرة ونظريات متعدّدة.

ويردُفُ المُستدي رأيه في تقديمه لكتاب (أصل اللغات)، واصفاً مظاهر اللغة المادية، والحسيّة قائلًا: «فما أن تعرّف بعضهم على بعضٍ كائنًا حاساً، وشبيهاً به حتّى دفعه الشّوق وحاجة إبلاغ مشاعره، وأفكاره إلى البحث عن وسائل ذلك الإبلاغ، وهذه الوسائل لاتستمدُّ من غير الحواس؛ إذ هي الآلات الوحيدة التي يمكن بها للمرء أن يؤثر في غيره. وها هي العلامات الحسيّة تجعل إذن للتعبير عن الفكر. إنّ الذين اخترعوا اللغة لم يستخدموا هذا البرهان. ولكن حدسهم أوحى لهم بنتيجته. إنّ عامة الوسائل التي نقدر بها على التأثير في حواس الغير، تنحصر في اثنتين هما الحركة و الصّوت.»¹ أو الكتابة والنطق.

وهذا يسوقنا للحديث عن أصل اللغة من حيث الوقف والوضع، وتحليل مختلف النظريات التي كانت نتاج دراسات معمقة، تتضارب في ضمنياتها حول النشأة والأصل، وهذا التضارب ولدته القيم الفكرية للحضارات الإنسانيّة، ومقارباتها الثقافية، من عصر إلى عصر، بدءاً من التاريخ اليوناني القديم وما أحدثته الفلسفة الأفلاطونية، ويتجلى هذا من خلال اهتمام «العديد من الشعوب من منظور ديني أو فلسفي بدراسة اللغة، و تمكنوا من وضع جملة من الملاحظات والتفسيرات المهمّة للغاتهم.»² فقد أدرك الهنود التفوق اللغوي في دراستهم للغة السنسكريتية، وأبدعوا في تأصيل جزء كبير من علومها ومناهجها.

واستمر النقاش في العصور الوسطى، بين أتباع نظريتين شغلنا المفكرين حول نشأة اللغة والكلام، ((نظرية ترى)) أنّ ((الله)) عزّ وجل هو الذي أوحى إلى البشر باللغة والكلام، و((نظرية تذهب)) إلى أنّ اللغة والكلام من اصطلاح النّاس وتواضعهم. وقد علّل الاصطلاح بالتواضع على اللغة والكلام، بأوجه كثيرة متعدّدة ومختلفة.

¹ - محاولة في أصل اللغات، المرجع نفسه، ص: 02

² -Dictionnaire de linguistique jean du bois et autres Paris: Larousse ; 1978.p300

ولاريب أنّ التسليم بهذه النظرية، يستوجب إمعان النظر في الجوانب العقلية، والوجودية للغة، والذي يذهب إليه بعض العلماء حديثاً، هو أنّ اللغة والكلام ظاهرتان تنبعان من الأثرولوجية الإنسانية، كغيرهما من الظواهر، ومعنى هذا أنّهما من صنع المجتمع الإنساني.¹

لذلك لا يمكن لأي لغوي متمرس، أو باحث متخصص، استقصاء البحث حول منشأ اللغة الإنسانية، وعزلها عن إطارها التاريخي، والحضاري الذي حُلقت فيه، فاهتمام «العديد من الشعوب من منظور ديني أو فلسفي بدراسة اللغة، وتمكنهم من وضع جملة من الملاحظات والتفسيرات المهمة للغاتهم.»² وما ينبع منها من علوم.

وفي اعتقادي أنّ تناول السياق التاريخي للغة، ينبغي أن يؤخذ بمنظور فكري بحت، يقرب للقارئ والباحث حقيقة تاريخ اللغة، والفكر، وكل ما قدمته العلوم اللغوية (- philological sciences) بعيداً عن كل المغالطات، التي لطالما مررنا بها في ضمنيّات المعاجم الغربية، والمدونات التي تحدّثت عن تاريخ اللغة، بتحيز واضح للغات السامية إن جاز قول ذلك.

وفي هذا الصدد يرى: شليشر « أنّ اللغات والأسر اللغوية، ككل الأنواع، والكائنات الأخرى، تعيش في صراع دائم من أجل البقاء، وأنّ الأسر الهندو-أوروبية قد أحرزت مكانة مهيمنة على اللغات. كما أحرز الإنسان على المكانة العليا بين الحيوانات.»³

ثمة إذن ما يحمل على القول، أنّ البحث في أصل اللغة، يعدّ من أعقد القضايا وأشدّها غموضاً واستثارةً للدراسات والبحوث، لدى علماء اللغة حتى وقتنا الراهن، وبالتالي فإنّ المناخ

¹ - ينظر: وفاء البيه، موسوعات طب الصوتيات العالمية، أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، ط1،

1994، ص: 39

² - Dictionnaire de linguistique jean du bois et autres Paris Larousse, 1978 P 300

³ -A.Schleicher(1863) in Geoffrey Sampson, op.cit,p18-19

التاريخي بأحداثه وتحليلاته الحضارية، يشكل الخطوة الأولى للبحث عن المنشأ، وتوثيق حقائق ومرجعيات اللغة الأم في تاريخ الانسان.

وما من شك أنّ ذلك يدفعنا للتساؤل حول أول لغة في العالم أين ظهرت؟ وهل هي أصل ومرجع كل اللغات التي (تفوق 7000 آلاف لغة) عرفت حتى الآن؟ ويمثل الشكل الآتي المؤشرات العائدة لتوزع اللغات في العالم.¹

النسب المئوية	اللغات	
15 %	1062	-الأمريكتان
30 %	2139	-إفريقيا
4 %	287	-أوروبا
32 %	2296	-آسيا
13 %	1313	-الباسيفيك

وتنتشر لغات العالم المختلفة عبر القارات الخمس، بنسب مختلفة حسب البيئة والثقافة اللغوية لكل بلد، مع أنّ أغلب هذه اللغات هي عبارة عن لهجات، قد لا ترقى لمصاف أن تكون لغة، بمعاييرها العلمية.

¹ - الموقع الإلكتروني للمصدر: <https://www.ethnologue.com/guides/how-many-languages>

وتماشياً مع ضوابط المنهج الوصفي والاستقرائي المتبع في هذا البحث، كان لزاماً الحديث عن أهم النظريات التي تطرقت لأصل اللغة، و سيحاول البحث قدر ما أمكن تمحيص مرتكزاتها الفكرية والنظرية، لأنها تشكل الرصيد الإستمولوجي للفكر اللغوي الإنساني.

1-3- نظريات حول أصل اللغة:

لعل الباحث عن تاريخ الفكر اللغوي، ينبغي أن يدرك حجم الاختلاف الذي وقع بين أهل اللغة، حول نشأتها كما قلنا، بالموازاة مع ما نتج عن ذلك، من نظريات متضاربة، وقد امتاز الإغريق بفكرهم اللغوي حين تأملوا في أصل، ونظام اللغة، وربطوها بالجانب الفلسفي. ويعدّ (أفلاطون) من أبرز القائلين، بأنّ اللغة إلهام ومقدرة فطرية، في حين أنّ تلميذه (أرسطو) يرى أنّ اللغة لا يمكن أن تكون إلهاماً وموهبة إنسانية، إنّما هي تواضع واتفاق عليها. وانبثق عن هذا الموقف مدرستان هما:

1. مدرسة القياسيين أو النظريين: (Amalogiste) وزعيمها يدعى أرسطراخوس - Aristarchus وكان أتباعه يرون أنّ اللغة كائن طبيعي، ولذلك هي قياسية ومنطقية في أصل تكوينها، ويذهبون بذلك إلى ما ذهب إليه أرسطو في ربط وجود اللغة، على أنّها صنيع الآلهة.

2. مدرسة الوضعيين: (Amomalistes) وزعيم هذه المدرسة (كراتيس) وأصحابه الذين اتخذوا من فكر أفلاطون منهجاً لهم؛ فهم يرون أنّ اللغة فطرة إنسانية لا يمكن أن تنظّمها قواعد أو قوانين ثابتة. وقد ذهب فريق منهم إلى أنّ نشأة اللغة تعتمد على الأساطير، والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصها الحقائق العلمية في هذا الاتجاه.¹

¹ - ينظر: هادي نعمان الهبتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1983، ص: 141

ويقول: جوزيف فنديريس - Joseph Vendryes « يثير الانسان دهشة السامع كلما قال بأنّ مسألة أصل الكلام ليست من مسائل علم اللغة، ومع ذلك فليس هذا القول إلاّ الحقيقة بعينها، فغالبية أولئك الذين كتبوا عن أصل الكلام منذ مائة عام يهيمون في تيه من الضلال.»¹ لأنّ البحث في أصل الكلام، باعتباره جزء من علم اللغة، أسبق من البحث في النشأة و الدخول في غياهب لا نهاية لها.

وينظر الدكتور(صبحي صالح) إلى مسألة اللغة من منطق الفكر بقوله: « لقد بات لازماً علينا تحديد البحث في فقه اللغة، فليس يعيننا أن نتقصى أصل اللغة الغامض المجهول.»² وهذا رأي قد نلمس فيه جانبا من الموضوعية، نظراً لطبيعة اللغة في حدّ ذاتها وتطورها، لأنها متغيّرة ومغيّرة ضمن النسق الإثنوبولوجي لكلّ جنس.

وهناك بعض الدّراسات التي تحدّثت عن أصل اللغة العربية، وقد أقرت أنّها تنتمي إلى أسرة اللّغات السامية، والتي تفرعت مع مرور الزمن إلى «اللّغات الآفرو-آسيوية». وتمثّل مجموعة اللّغات السامية الرئيسية، ويطلق عليها المتخصّصون لغات حضارة الخصب القديمة، وتشمل (الكنعانية- الأكادية- الآرامية-العبرية- اللّغات العربية الجنوبية) وبعض لغات القرن الإفريقي؛ فالعربية وعلى وجه التحديد، تصنّف ضمن المجموعة السّامية الوسطى، فتكون بذلك ضمن المجموعة الوسطى للغات السامية الشمالية الغربية، والتي تشمل الآرامية، والعبرية، والكنعانية، وهي أقرب إلى اللّغات الساميّة العربية.»³ وإن كان هذا الموضوع، محل نقاش، وخلاف بين جمهور المؤرخين، والباحثين اللّغويين، على مرّ عقود من الزمن.

¹ - دراسات في فقه اللغة، (بدون مؤلف)، ط3، بيروت1986، ص35

² - نقلا عن صبحي صالح، ص194.

³ - عبد المجيد الطيّب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللّغات المعاصرة (دراسة تقابلية)، ط2، 1437هـ، سلسلة الحرمين

الشريفة، المملكة العربية السعودية، ص: 62

وهذا شاهد مقنع على تجذر مسألة البحث عن أصل العربية، على اعتبارها جزء من مسألة البحث عن نشأة اللغة بشكل عام، والذي هو محل خلاف مستديم.

ولا غرابة في القول أنّ العربية تميّزت عن اللغات الأخرى، فهي تميّز بين «الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير خلاف التأنيث، فالتذكير معادل للقوة والأنفة والصلابة، أمّا التأنيث فيلتصق باللين، والسهولة، والإنتاج، والخصب، ويتسق هذا التصور مع تصورات النحويين الذين ذهبوا إلى كون التذكير أصل، والتأنيث ثان، وهذا ما صرح به سيويه... لعلّ هذا الفهم النحوي نابع من خلال قصة الخلق الأولى.»¹ وهذه خصيصة انفردت بها العربية.

أمّا نفر آخر من العلماء، فيبدوا أنّهم وجدوا أنّ دراسة نشأة اللغة أمر لا يخلوا من فائدة، وأنّ يُقدم عالم اللغة تفسيراً نظرياً لنشأتها، خيرٌ من أن يترك الأمور بدون دراسة، أو تحريّ علمي. ونجدُ من أعلامنا العرب من انتهج هذا؛ بأسلوب علمي اصطلاحى-مفاهيمي، يقربُ إلى القارىء حقيقة الاختلاف.

وهذا هو المبدأ الذي أسّس عليه ابن جيّ (ت392هـ) الذي يعدُّ من أعظم العلماء الذين قدّموا نموذجاً مشرقاً، لمباحث اللغة في التراث العربي، فبدت العربية في ما ذكره في مصنّفه (الخصائص)، لغة لا تدانيها لغة؛ لما اشتملت عليه من سمات حسن تصريف الكلام، والإبانة عن

¹ -التهامي الحايبي، اللغة والطبيعة من محاكاة الصوت الطبيعي إلى بناء الكلمة، دراسة ومعجم، ط1، 2016، دار الصّفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص: 25

المعاني... كما ناقش ابن جني مسألة نشأة اللغة، التي كانت تشغل مكانةً مهمّة في البحوث اللغوية آنذاك، فعرض لهذا الموضوع ببراعة، وقد ذكر نظرية الإلهام ونظرية التواضع والاصطلاح.¹ وعلى هذا المبدأ أصبح أمرُ نشأة اللغة في الأصل، عند دعاة هذا الإتجاه، لا يعدوا أن يكون أحد هذين الأمرين:

فإما أن تكون اللغة إلهاماً من الله سبحانه وتعالى، وإما أن تكون من الإنسان على أساس أنّ أصل اللغة هو تواضع واصطلاح. والشاهد في هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة إبراهيم - الآية 05)، وهذا دليل دامغ على أنّ اللغة وضعت في الإنسان بالإلهام لا بالخطاب.² وقد خصّ بهذا الإلهام الأنبياء والرسل، فكانت اللغة هي ما يبلغوه للناس من خطاب، فالخطاب نتاج اللغة، وهو من موضعات ما يعرف في الوقت الراهن بتخصّص (لسانيات الخطاب - Linguistics of speech).

¹ - ينظر: عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، اللغة وأصلها عند ابن جني، موقع شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة:

2016/03/21، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2021/05/26، على الرابط:

https://www.alukah.net/literature_language/0/100560

² - ينظر: حاتم أبو طائي، نشأة اللغة وأهميتها، خبير مركز البحوث التربوية، مجلة دراسات تربوية، العدد السادس،

نيسان 2009

3-2-1- نظرية التوقيف The theory of arrêt :

يعتقد أصحاب هذا الاتجاه، أنّ اللغة إلهام وموهبة فطرية، وتوقيف من الله عزّ وجل، ولعلّ حجتهم في ذلك الآية الكريمة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (سورة البقرة- الآية 31) فالكلام واللغة إلهام هبط على الإنسان الأول؛ فعلم النطق وأسماء الأشياء وهي مرتبطة بالمسميات، أو غريزةً انفعّل بها الإنسان فتكلم. وهذه النظرية قديمة في الفكر الحضاري الغربي، نادى بها أيضاً الفيلسوف اليوناني (هيراكليت 576 ق.م)¹

وقد قال بهذه النظرية (ابن فارس اللغوي في الصاحبي وابن حزم الظاهري في الإحكام)، و استندوا في قولهم هذا على الأدلة الدينية، المقتبسة من الكتب المقدسة، فكان ابن عباس رضي الله عنهما (03 ق هـ/68هـ) حبر الأمة كما لقب، يقول: في سرد سبب نزول الآية: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ما نصّه : ((وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس، من دابة وسهلٍ وجبلٍ وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.))²

وهذه شواهد ومصادر نقلية لا غبار عليها؛ بل إنّها تحتاج إلى فهم وتأويل صحيحين، حتى يستفاد منها في إدراك المستويات الفكرية، والمعرفية التي تضمنتها حول مصطلح اللغة.

¹ - ينظر: علي عبد السميع قرّة، وجيه المرسي أبو لين، الاستراتيجيات الحديثة في تعليم وتعلم اللغة، كلية التربية جامعة

المنصورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ص: 20

² - ينظر: رمضان عبد التواب، المرجع نفسه، ص: 110

3-2-2- نظرية المحاكاة - Simulation theory

وتنطلق هذه النظرية من مبدأ محاكاة الانسان للطبيعة، من خلال تقليده للأصوات التي كان يسمعها حوله، كأصوات الرياح والحيوانات والمياه والأشياء.¹ ويصطلح على هذه الكلمات عند علماء الغرب بلفظ: أنوماتوبيا (Onomatopoeia). * وفي الغالب تعرف هذه النظرية باسم (البو - واو - Bow-wow) عند (ماكس ميلر Max-Miller) وهو من كبار علماء اللغة في القرن التاسع عشر.²

وكما أشرنا سلفاً فقد تحدّث ابن جني عن هذه النظرية، وهو ما يؤيد موضوعيتها؛ بالنظر إلى وجود اشتراك في بعض الأصوات، والكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدّة لغات، فمثلاً الكلمة التي تدلّ على الهمس، هي في اللغة العربية (همس)، وفي الانجليزية (Whisper) وفي الألمانية (فلوسترن) (Flustern) وفي العبرية (صفصف)، وفي التركية (سوسمك) (Susmak)؛ فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعها في تلك الكلمة، هو صوت الصّفير: السين أو الصّاد وهو الصّوت المميّز لعملية الهمس في الطبيعة.³ وهذا يؤكد على وجود تماثل بين اللفظ ومدلوله مع الطبيعة، حيث يكون الوضع على هذا النسق أكثر ملائمة للفظ والمعنى.

¹ - ينظر: مُجَدِّدُ عَلِ الخولي، مدخل إلى علم اللغة، ص: 148

² - هاشم أشعري، نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، مجلة التدريس، المجلد/5، العدد/01، يونيو 2017، ص: 5

³ - رمضان عبد التواب، المرجع نفسه، ص: 113

* - يقصد بهذا اللفظ: **onomatopoeia** "المحاكاة الصوتية" وهي كلمة صوتها مثل الشيء الذي تصفه. وهي من أكثر كلمات اللغة الإنجليزية خداعاً في هجائها. وتأتي من الجمع بين كلمتين يونانيتين، واحدة تعني 'name' والأخرى تعني 'I make'. وبذلك فمن الناحية الحرفية؛ فإن onomatopoeia تعني الاسم (أو الصوت) الذي أعمله. فعلى سبيل المثال، splat أو boing! كلمتان متعلقتان بالمحاكاة الصوتية ولا تعنيان شيئاً أكثر مما يبدو صوتهما. للتفصيل أكثر ينظر: رابط المصدر: <https://englishlive.ef.com/ar-sa/blog/grammar-and-vocabulary-help/what-is-an-onomatopoeia>

3-2-3- نظرية المواضع والاصطلاح - Agreement, Convention

:Theory

ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أنّ اللغة تواضع، واصطلاح يتم بين أفراد المجتمع، ومن ثمّ ليس لألفاظ اللغة، إلّا ما تداول عليه الناس في كلامهم، وما ألفوه من مفاهيم واصطلاحات، وتذهب هذه النظرية للقول أنّ اللغة ابتدعت بالتواضع والاتفاق، وارتجلت ألفاظها ارتجالاً، ومن أنصار هذه النظرية ابن جني وغيره، على الرغم من أنّها لم تقم على دليل تاريخي، أو نقلي، ولا سند عقلي، بل هي ترى مبدأ التدرج في ماهية الأشياء بدلاً من ارتجالها، وقد تأثر بها العديد من العلماء والمفكرين، كالفيلسوف اليوناني ديموكريط و أرسطو، و المعتزلة، إضافة إلى بعض من المحدثين أمثال الإنجليزي آدم سميث - Adam Smith وأخرون.¹

ومّا يدل على اقتناع ابن جنيّ بهذه النظرية كما أشرنا سلفاً، قوله في مصنّفه الخصائص أنّ : ((أكثر أهل النظر على أصل اللغة إنّما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف))² وهذا إثبات لمفهوم التدرج في ماهية اللغة، على مستوى ما يألّفه الناس من اتفاق، وما يتخاطبون به من كلام، هو ما أوجد اللغة، ونفي أن تكون اللغة موجودة بالمعتقد الديني، يحتاج إلى حجج عقلية مثبتة، خارج نطاق النزعة الفلسفية - البرغماتية.

التي نشأت في الفكر اليوناني، ونلمس ذلك في قول الفيلسوف ديمقريطس الذي: «اعتبر منشأ اللغة عملية تواطئية؛ لأن الاسم الواحد ذاته كثيراً ما يقبل عدّة مسميات، ولأنّ الشيء الواحد كثيراً ما يقبل عدّة أسماء أو قد يتبدّل اسمه ولا يتبدّل هو، وتوسعاً بهذا المبدأ انتهى ديمقريطس إلى

¹ - ينظر: علي عبد السميع قرّة، وجيه المرسي أبو لين، الاستراتيجيات الحديثة في تعليم وتعلم اللغة، كلية التربية جامعة المنصورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ص: 20

² - ابن جني، الخصائص، الجزء: 01، ص: 40

القول بأنّ الأسماء تُعطى للأشياء من لدن الإنسان لا من لدن قوّة إلهيّة.¹ وهذا الموقف ينظر إلى اللغة كوظيفة، لا كأصل أو ماهية.

وعلى النقيض من ذلك؛ فقد سيطرت النظرة الدينية التوقيفيّة على المجتمع الإسلامي؛ وهذا لم يمنع بعض اللغويين العرب من القول، بالاصطلاح في أصل اللغة، وتابعت هذه النظرية منهجها رداً من الزمن، واستمرت حتى عهد قريب، حتى أنّ فردينان دوسوسير اقتنع بها.²

وأسس عليها في بعض الجوانب المرجعية من نظريته الوصفية في اللسانيات، فهو يقرّر منذ البداية في ثنائياته الشهيرة أنّ: «الرابط الجامع بين الدال والمدلول هو اعتباري يبرّر ذلك بقوله: وحجتنا في ذلك إنما هي الاختلافات القائمة بين اللغات و وجود اللغات المختلفة.»³

وقد لاقت هذه النظرية جملة من الاعتراضات على الرغم من موضوعية الطرح الذي جاءت به، ومن بين ذلك «الاعتراض القائل بحاجتنا إلى لغة تكون وسيلة التخاطب، حتّى نتمكن من وضع لغة، وهذه الفكرة هي التي أشار إليها كلٌّ من السيوطي، ودي بونالد... كما أشار إلى الفكرة ذاتها العالم الألماني ماكس مولر، الذي رأى أن (اللغة الإنسانيّة) الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفاق، خلافاً لما ذهب إليه أصحاب النظرية التواطئيّة؛ إذ لو كان الأمر كذلك - وهو ما تأباه طبيعة النظم الاجتماعيّة - لوجب أن يكون في أيدي المتواضعين وسيلة للتفاهم فيما بينهم، ولا يمكن أن تكون هذه الوسيلة اللغة الصوتيّة؛ لأن المفروض أن اللغة الصوتيّة هي موضوع التواضع.»⁴

1 - الأنطاكي مُجد ، الوجيز في فقه اللغة، الطبعة الثانية، مكتبة دار الشرق، (د ت ن)، بيروت، ص: 56

2 - ينظر: دوسوسير، فردينان، محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان،

1984، ج/1ص:89

3 - المرجع نفسه، ص: 91

4 - الأنطاكي، ص: 64

بناءً على ما سبق، يمكن القول أنّ البحث عن اللغة، مستديم بين العلماء والباحثين، على اختلاف توجهاتهم، الفكرية والفلسفية، وقد تعدى الفضول والتنافس بينهم، من حدود اعتبارها أداة تواصلية، إلى حدود علمية تجاوزت تلك النظريات الكلاسيكية، وصولاً إلى النظريات الحديثة، التي تتناول اللغة كظاهرة إنسانية لها ارتباطاتها، المعرفية، والإجتماعية المشكلة للنسق الحضاري لأي مجتمع، فأتجاه البحث لم يولي الأهمية لمسألة المنشأ، بقدر ما ركز على الجانب الوظيفي للغة، وتقاطع علومها مع الفكر اللساني المعاصر، بكل تمظهراته وقضاياها.

وسنحاول طرح مختلف القضايا الراهنة، على مستوى الفكر اللغوي العربي والغربي، بظواهره ومستوياته، في ضوء ما طرحه الفكر اللساني القديم والمعاصر، مع تحليل مختلف حيثيات المشهد اللساني، المرتبط بالمعرفة اللغوية، وتعليمية اللغات على اختلاف جوانبها النظرية والإجرائية، إضافة إلى مناقشة أهم موضوعات تعليم اللغة العربية، والمقاييس اللسانية على صعيد التعليم الجامعي، واستقراء مختلف المتغيرات، التي تجمع بين الفكرين اللساني، والتعليمي - التعليمي، من مراحل هذا البحث.

الفصل الأول: مصطلح التنظير

والمرجعيات الفكرية للنظرية

اللغوية

توطئة:

لعلّ الجانب الحساس و الّلافتُ في العنوان الذي وسم به هذا البحث، هو استهلاله بلفظ (التنظير) الذي يترك أثر التساؤل، والحيرة لدى القارئ العربي الشغوف بالجديد، والمستجد في ميدان علوم اللغة، والباحث المتتبع لتطور اللسانيات على حدٍ سواء؛ وسبب اختياري لهذا المصطلح (التنظير-theorizing)، هو الاقتراب من مقتضيات البحث العلمية، وموجباته المقصدية، مع تعمد إهمال بعض الألفاظ الدلالية، في صياغة عنوان البحث، من قبيل: تأصيل أو مقارنة أو نشأة... ونحو ذلك.

لذا فإنّ رؤية البحث تتقصد فك اللبس المفاهيمي، الذي يكتنف هذا المصطلح وسوء توظيفه؛ لأنّ الباحث العربي لطالما عرّج على هذا المفهوم، في ضمنيات العديد من المؤلفات والمقالات الأكاديمية، والدراسات اللسانية الغربية منها والعربية، دون أن يدرك الأبعاد الفكرية لهذا المصطلح. الذي تشتغلُ به ميادين النظرية العلمية الحديثة، كما يتعدّد استعماله في مختلف المجالات التقنية الخاصة بالطّب، وتعتمده معظم الاستراتيجيات المنهجية في البحث العلمي الحديث، وبالتالي وجب علينا القيام باستقصاء بحثي ونظري في مرجعيات هذا المفهوم، وعلاقته بالفكر اللساني المعاصر، وتحليل أهم ما تأسست عليه نظرياته.

استناداً إلى صفوة من الجهود والتجارب التي بُذلت في هذا الشأن، سواء ما تعلق منها بالدراسات الغربية أو العربية، التي كان أبرزها ما قام به (البروفيسور عبد الرحمان حاج صالح)¹ من أعمال ومشاريع نالت قبض السبق، في حقل الدراسات اللغوية واللسانية، على الصعيد العالمي.

إن محاولة (تنظير) فكر معين ليست بالمهمة الهينة التي يتبناها أيّاً كان، وداخل أي تخصص، ولعلّ المطع على جهود ومؤلفات (حاج صالح)، يدرك أنّه انطلق من قناعة موضوعية، في تبنيه لمبدأ التنظير، وقد طبّقه على التراث اللساني العربي كأداة علمية، وهذا ما يلتمس في أغلب إنتاجاته اللسانية، من خلال بحثه، وتصنيفه، واستقراءه، لمختلف علاقات وتقاطعات الفكر التراثي مع الظاهرة اللغوية.

أمّا على المستوى الإجرائي فيستبين ذلك، من تأصيله ومساهمته في بزوغ النظرية الخليلية اللسانية الحديثة، التي جدّدت مناهل الدرس اللساني العربي المعاصر، وأخرجته من بوتقة الصورة المجردة القائمة، إلى صورة تجمع بين الموروث والمعاصر، لأجل بناء المستقبل المشرق للغة العربية، كما يطمح لذلك أبنائها.

¹ - البروفيسور: العلامة عبد الرحمان حاج صالح 1927م-2017م، هو عالم لسانياتي جزائري ، وكاتب و باحث في ميدان اللسانيات العربية، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة " السوربون" بفرنسا سنة 1979م، ثم أستاذا زائرا بجامعة " فلوريدا" 1968م ونال جائزة الملك فيصل للآداب، لقب " بأبو اللسانيات"، يشاع أنّه تناظر مع تشومسكي، أو كانت لهما مناقشة حول مسائل اللغة، قضى حياته أستاذاً وباحثاً وعاشقاً للغة العربية، واشتهر "بالنظرية الخليلية الحديثة"، ومشروعه اللساني " الذخيرة اللغوية العربية" وله اسهامات عديدة وجهود رائدة في مجال تطوير اللغة العربية وترقيتها، إضافةً إلى تبنيه لعدّة مشاريع بحثية " كمشروع حوسبة اللغة" ومشروع " جوجل عربي" الذي لم يكتمل، إضافة إلى تقلّده للعديد من المناصب في مجامع اللغة، والهيئات الرسمية كمجمع اللغة العربية وغيرها.

قبل الخوض في ما ذكرت من قضايا، لابد من فهم بعض المدلولات اللغوية والمعرفية، لمصطلح (التنظير) في جملة من المعاجم العربية، حسب ما اطلعت عليه وما توفر من محتوى. لعلنا بذلك نرفع بعضاً من الغموض عن هذا المصطلح كما أشرنا، في جانبه التصوري، ونكتشف ثراء تراثنا اللغوي يمثل هذه المصطلحات المهمة، التي لها حضور في مختلف ميادين العلم.

المبحث الأول: الحدود المفاهيمية لمصطلحي التنظير والنظرية:

1- مصطلح التنظير في معاجم اللغة:

1-1- معجم لسان العرب (لابن منظور 1232م-1311م):

التنظير لغةً: من الفعل نظر، والمصدر: «النَّظْرُ حَسُّ العَيْنِ نَظْرُهُ يَنْظُرُهُ يَنْظُرُهُ نَظْرًا وَمَنْظَرًا وَمَنْظَرَةً وَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَالْمَنْظَرُ مَصْدَرٌ نَظَرَ اللَّيْثُ، الْعَرَبُ تَقُولُ: نَظَرَ يَنْظُرُ نَظْرًا، قَالَ الْمُصَنِّفُ وَيَجُوزُ تَخْفِيفُ الْمَصْدَرِ تَحْمَلُهُ عَلَى لَفْظِ الْعَامَةِ مِنَ الْمَصَادِرِ، وَتَقُولُ نَظَرْتُ إِلَى كَذَا وَكَذَا مِنْ نَظَرَ الْعَيْنَ وَنَظَرَ الْقَلْبَ، وَيَقُولُ الْقَائِلُ لِلْمُؤَمِّلِ يَرْجُوهُ إِنَّمَا نَظُرْتُ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْكَ أَيَّ إِنَّمَا أَتَوَقَّعُ فَضَلَ اللَّهِ ثُمَّ فَضْلَكَ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: النَّظْرُ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ بِالْعَيْنِ وَنَدَا النَّظْرَانُ بِالتَّحْرِيكِ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ.

جاء في الحديث عن عمران ابن حُصَيْن قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((النَّظْرُ إِلَى وَجْهِ عَلِيٍّ عِبَادَةٌ))، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، كَانَ إِذَا بَرَزَ قَالَ النَّاسُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشْرَفَ هَذَا الْفَتَى، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَعْلَمَ هَذَا الْفَتَى، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَكْرَمَ هَذَا الْفَتَى، أَيَّ مَا أَتَقَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشْجَعَ هَذَا الْفَتَى، فَكَانَتْ رُؤْيَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْمِلُهُمْ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ. وَالنَّظَارَةُ: الْقَوْمُ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّيْءِ.

كما جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة الأعراف - الآية 14)، والتَّنَاطُرُ التَّرَاوُضُ في الأمرِ ونظيرُكَ الذي يُرَوِّضُكَ وتناظِرُهُ وتناظَرُهُ من المناظرة والنَّظِيرُ، ويُقالُ ناظَرْتُ فلاناً أي صرْتُ نداءً له في المخاطبةِ، وناظَرْتُ فلاناً بفلان أي جعلتهُ نظيراً له.¹

أرى، أنه من الإنصاف القول أنّ ابن منظور قد شرح هذا اللفظ، وذكر صوراً كثيرة لدلالة عليه، وعلى مواضع معانيه، ومثّل له بشواهد مختلفة من النقل والعقل، وقربّه من ذهن السامع والقارئ بامتياز، وكما هو معلوم فإنّ مصنّفه (لسان العرب) قد شملَ مصادر معجمية مختلفة (كتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، وحواشي ابن بري على صحاح الجوهري، والنهاية في غريب الحديث والأثر لعزّ الدين ابن الأثير).

يضاف إلى ذلك أنّه، تعمّد الجمع في تأليفه بين معيارين أساسين هما: الاستقصاء والترتيب، وهذا يثبت للباحث، تمكّن العلماء العرب في تلك الفترة من ناصية العمل المعجمي، بآليات علمية ولغوية مبهرة، كما أنّ ابن منظور قد أضفى مصداقية علمية هامة على معجمه، حسب رأي الغالبية من جمهور النقاد اللغويين.

ومن العلماء من يرى، أنّ لفظ التنظير مأخوذ من التّظير بمعنى التّد، والمثل، ويعرّفه ابن هلال العسكري قائلاً: « الفرق بين المثل والتّظير أنّ المثليين ما تكافأ في الذات على ما ذكرنا، والتّظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله، وهو متمكّن منها، مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه، ولا يقال النّحوي مثل النّحوي، لأنّ التماثل يكون حقيقة في أخصّ الأوصاف وهو الذات.»²

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظر)، ج 14، ص: 292

² - أبي هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: مجّد إبراهيم سليم، دار العلوم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، (د ط)،

أما سيبويه فيعتمد على تقارب المعنى على التنظير، أي حمل أحدهما على الآخر، ومن شواهد ذلك إعمال اسم الفاعل منوناً في المفعول به على المضارع، حيث يقول: « هذا بابٌ من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع، في المفعول في المعنى... وذلك في قولك: هذا ضاربٌ زيداً غداً، فمعناه وعمله مثل هذا يضربُ زيداً غداً؛ فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك.»¹

1-2: معجم شمس العلوم (نشوان ابن سعيد الحميري-ت573هـ):

الكلمة (التنظر) الجذر: نظر على وزن: فعل، يقال حي حلال نظر: أي متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض. والنظرة من الجذر (نظر) على وزن فعلة والنظرة: هي العين والغبطة، والمنظرة من الجذر: نظر على وزن مفعلة والمنظرة هي: المرقبة. والكلمة (منظور) جذرها: نظر على وزن: مفعول، ومعنى منظور: من أسماء الرجال، (ومنظور ابن الريان الفزاري) يقال إن أمه حملت به أربع سنين، فقال أبوه:

وما جئت حتى أياس الناس أن تجيء *** فسُميت منظوراً وجئت على قدرٍ

ومنه (التنظير) على وزن: فَعِيلٌ، وتعني المثل الذي إذا نُظِرَ إليه وإلى نظيره كانا سواءً. والكلمة نظر ينظر على وزن: فَعَلَ يَفْعَلُ، أي نظر إلى الشيء بعينه نظراً: إذا أراد أن يراه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ - (الآية 65-سورة الزمر) ونظره بعينه نظرة أي أصابه بها، ونظر بقلبه: ميّر وفكّر.

¹ - ابن جني، الكتاب، ج/ 1 ص: 164

التناظرُ على وزنِ: التَّفَاعُلِ، يقالُ تناظَرُوا فيما بينهم: أي تجادلوا وتناظَرُوا: إذا نَظَرَ بعضهم إلى بعضٍ، وانتَظَرَ (فعل خماسي متعدٍ)، انتَظَرْتُ، أنتَظِرُّ، انتَظِرْ، المصدرُ: انتَظَرَ. يقال: «لا يَنتَظِرُ منه شيئاً» بمعنى: لا يَأْمَلُ. ومنه (تَناظَرُ) مصدر: تَناظَرَ، تَناظَرُ الجماعةُ: تجادَها وتَناجَها في قضية من القضايا. والكلمةُ (تَناظَرُ) مصدرها: تَناظَرَ، كقول: «سعى إلى التَناظَرِ في وجهه» بمعنى: تأمَّله بعينه. ومنه الكلمةُ (تَناظِرُ) مصدرُ: نَظَرَ يقال: تَناظِرُ شَهادَتَينِ أي المَقالَبةُ بينهما، وتَناظِرُ أفكارٍ: التَأْمَلُ فيها ملياً لوضعها نظاريةً.¹

وعليه نجد أنّ هذا المعجم، قد تناول مادة (نظر)، تناولاً دقيقاً في مختلف اشتراكاتها اللفظية، وكان استشهاده بالأدلة كافياً وشافياً.

1-3-تنظير التراث العربي المنهج والأهداف:

لا ريب أنّ تراثنا العربي، قد وقف على المفاهيم العلمية، في مراحل مبكرة من تاريخ الفكر اللغوي، وجديرٌ بنا الإشارة إلى وجود مصطلح (التنظير)، في مؤلفات العديد من العلماء، ومنهم (ابن جني 302هـ-392هـ) وقد تحدّث عنه بشكلٍ معمق، سالكاً السبيل إلى ذلك تفصيلاً وإفاداً. ونلمس ذلك في (الرسالة الموسومة ب: أوجه التنظير عند ابن جني) وهو بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص النحو والصرف، إعداد الباحث: (محمد بن علي بن محمد العمري)* جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

¹ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم هو مُعْجَمُ عربي من تأليف نشوان بن سعيد الحميري اليمني المتوفي عام 573 هـ، ويتكون المعجم من 11 مجلداً.

* - رسالة ماجستير طبعت على شكل كتاب، وهو بحث ممتاز أبرز الجانب المفاهيمي ودلالاته المتعلقة بمصطلح التنظير، في مرحلة ذهبية من مراحل العصر العباسي، وقد استفدنا بما طرحته الدراسة من تناول ابن جني لهذا المصطلح.

حيث يقول في المبحث الثالث من الدراسة، عن عناية ابن جني بالتنظير من خلال اعتماده عليه كمنهج في التأليف: «التنظير في مؤلفات ابن جني واسع الانتشار، لا يخلو منه كتابٌ أو رسالة، ولكنَّ اللَّافَتَ لِلنَّظَرِ، والدَّاعِي إِلَى التَّأْمُلِ، هو أَنَّهُ قد نصَّ في مقدِّمات بعض مؤلفاته وخواتمها على أَنَّ التَّنْظِيرَ رَكِيزَةٌ من ركائزِ تَأْلِيفِهِ.»¹ والكتب التي استشهد بها الباحث تضمنت مؤلفين اثنين هما:

1-2-1 كتاب المنصف:

وهو شرحُ كتاب (التصريف) للمازني، وقد قال ابن جني في مقدِّمته « هذا كتابٌ أشرح فيه كتابَ أبي عثمان بكر بن مُحَمَّد بن بَقِيَّة المازني (رحمه الله) في التَّصْرِيفِ، بتمكِّينِ أصوله، وتهذيبِ فصوله، ولا أدعُ فيه- بحولِ الله وقوته- غامضاً إلاَّ شرحته، ولا مشكلاً إلاَّ أوضحته ولا كثيراً من الأشباه والنظائر إلاَّ أوردته؛ ليكونَ هذا الكتابُ قائماً بنفسه، ومتقدِّماً في جنسه.»²

يثبتُ لنا هذا النص ، أنَّ ابن جني قد وعدَ بأسلوب صريح، يشرح فيه الغامض المبهم، ويوضح المشكَّل، ويورد الأشباه، والنظائر؛ وجعل هذه الثلاث مرتكزات، أو بالأحرى الأولويات مبدئاً، أغنى الكتاب على غيره، من حيث أضيف عليه المنهج العلمي المنفرد، الذي يعدُّ دليلاً على الذهنية العلمية المبكرة، والفضول البحثي الذي اكتسبه العلماء العرب، وهذا ما يدلُّ عليه نضوج الفكر التنظيري لابن جني، وأمثاله حين يمارسه، ويعمده في التحليل والتأليف، والشروح اللغوية بكلِّ وعيٍّ وإدراكٍ وتبصُّرٍ.³

1 - مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد العمري، "أوجه التنظير عند ابن جني" بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص النحو والصرف ، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، المملكة العربية السعودية، 23-1424هـ، ص:48.

2 - ابن جني، كتاب المنصف، ، المجلد1، ص1

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 48 وماتلاها

1-2-2-1 كتاب الفسر:

تناول هذا الكتاب شرحاً دقيقاً لديوان أبي الطيب المتنبي، و في رأيي أنّ ابن جنيّ مارس منهج تنظيرياً، في تتبع مستويات اللغة، حتى وإن لم يكن على دراية بمستوى تمثلات التنظير كمصطلح بالتصور المعاصر، وهذا يدلّ عليه، ما قاله في مقدّمته: «سألتُ (أدامَ الله تسديك، وأحسن من كلّ عارفةٍ مزيدك) أن أضع لك شعر أبي الطيّب المتنبي: يفسر معانيه، وإيراد الأشباه فيه، وإيضاح عويصٍ إعرابه، وإقامة الشواهدِ على غريبه؛ فرأيت إجابتك لذلك.»¹

والملاحظ على هذا النص، تصريح ابن جنيّ، بأنّ عمله على شرح الديوان يشمل أربعة دوافع هي: تفسير المعنى، وإيراد النّظائر (المتشابهات - والمتقابلات)، وإيضاح الإعراب، وإقامة الشواهدِ على الغريب من الألفاظ في اللغة.

ولا غرابة في براعة ابن جني، من تقديمه لهذه الشروح؛ لأنّه «صحب المتنبي وروى عنه شعره، وطارحه في كثير من المسائل، خاصة ما يتعلق باللغة، والمعاني لغرابة بعض التراكيب، وغموض المعاني.»² لذا نلمس تقنيات منفردة، وأسلوب علمي في توصيل المعرفة للقارئ والمتعلم، قد برع فيهما ابن جنيّ.

¹ - ابن جنيّ، الفسر شرح ابن جنيّ الكبير على ديوان المتنبي الكبير، حقّقه: د. رضا رجب، دار الينابيع للطباعة والنشر، ط1، 2004، دمشق، ص: 20

² - عبد الله الفلاح، الفسر لابن جنيّ بين النقد والتجنيّ، الفتح على أبي الفتح أمّوذجاً، مركز حمد الجاسر، 1، 2018، رابط المركز:

إنّ هذا النمط من التفكير، يدخل في سياق العمل التَّنْظِيرِي بمفهومه الحديث، إذا ما قُورن بالقواعد النظرية للنحو الوظيفي، وغيره من أساسيات النظريات اللسانية المعاصرة.

يضاف إلى ذلك قول ابن جنّي في مقدّمته شارحاً مصطلح التَّنْظِيرِ، بمنهج موضوعي وعلمي قائلاً: «...إلى سوى ذلك ممّا أحضره من: تلخيص، وإيضاح، وشاهد ونظير يكونان سبباً للإفصاح...»¹

وهذا يدلّ على مقصديته من العمل بآلية التَّنْظِيرِ، وقد لجأ إليه مستقصداً الإفصاح عن مراده، وتوضيح مسأله، ما يثبت اهتمام ابن جنّي بالتَّنْظِيرِ بأبعاده المعنوية، وعنايته به كمنهج إبستمولوجي.²

أسقطه ووظفه أيضاً في مؤلفه الثالث الموسوم ب(تفسير أرجوزة أبي نواس) حيث نبّه القارئ في خاتمته قائلاً: «قد انتهيت من تعريب هذه القصيدة تمّاً قُرب وكفى، ولولا الإطالة لبسطتها أكثر من هذا، وما رأيتُ أحداً من أصحابنا نشطاً لتعريب شعر محدث على هذه الطريقة؛ لأنّ تفسير هذه القصيدة قد اشتمل على لغة: وإعراب، وشعر، ومعنى، ونظير، وعروض، وتصريف، واشتقاق، وشيء من علم القوافي.»³

فابن جنّي جعل التَّنْظِيرِ في هذا النصّ، بمنزلة عدد من العلوم اللغوية: كالتعريب، واللغة، والتصريف، والاشتقاق....؛ فتراه يعرض المفهوم ويمحصّه ويحلّله ويقربّ تصوّره إلى القارئ،

1 - ابن جنّي، الفسر، المرجع نفسه، 1، ص: 20

2 - ينظر: "أوجه التَّنْظِيرِ عند ابن جنّي"، المرجع نفسه، ص: 48

3 - تفسير أرجوزة أبي نواس، أبي الفتح عثمان بن جنّي، ط02، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، (د س)، ص: 217

وهذه الملكة العلمية، تثبت فهمه للتنظير منطقاً وفكراً، يشع في سيرته كعالم وباحث، يحقق الزيادة للمستزيد، والغاية للمريد. وتمكن ابن جني من توظيف مفهوم التنظير، على مختلف مستويات الفكر اللغوي، بمنهج وظيفي متناسق، يبرز اهتمام علماءنا العرب في تلك الحقبة، بالجانب العقلائي والاصطلاحي للغة، بل نجده أحياناً، يفوق في مضامينه ومخرجاته، ما تناولته اللسانيات الغربية من نظريات بقرون طويلة.¹

1-2-3 مصطلح "التنظير" في المعاجم العربية المعاصرة:

على الرغم من غزارة المادة اللغوية في المعاجم العربية المعاصرة، إلا أننا قد نجد شحاً أو ربما بعض النقص في التعريف، والشرح لبعض المفاهيم العلمية، نظراً لعدة عوامل يمكن إرجاع أهمها لصعوبة نقل المصطلح من لغته الأصلية إلى العربية*، أو تداول مصطلح معين في تخصص من التخصصات العلمية، التي لاتزال تسيطر عليها اللغات الأجنبية الحية، كالإنجليزية والألمانية وغيرها، وهذا في رأبي يستلزم إعادة النظر، في ضرورة توليد المصطلحات والمفاهيم العربية، بما يتناسب والحقل المعرفي المخصص لها.

وعليه فإننا لم نجد من المعاجم المعاصرة، التي تناولت مصطلح التنظير، بأسلوب موسع، إلا ما ورد في معجم العربية المعاصر، الذي دأب على تأليفه (أحمد مختار وآخرون)، ومعجمين آخرين

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص: 48

* - ومن وجهة نظر البحث، فإن هذا المقصد يعدُّ من بين أكثر المشاكل، التي يطرحها تخصص الترجمة؛ بمختلف فروعها، وقد أشار حاج صالح دوماً إلى ضرورة، وضع مصوغات، معرفية تحترم أبعاد العمل الترجمي، سواء ما تعلق بالبنية اللغوية للمفاهيم، أو ما تعلق بتجلياتها ودلالاتها داخل النسق الخاص بالنص المستهدف، بالأخص في ظل ما تطرحه اللسانيات الحديثة من مصطلحات، متجددة على مستوى التداول، يضاف إلى ذلك ما يعانيه الباحث العربي، في ميدان اللسانيات حين يصدم بمشاكل الترجمة للمصطلح الأجنبي، الذي غالباً ما يتعارض مع أهداف البحث أو توجهات الباحث، وهذا يؤدي إلى سوء فهم سياقات المفاهيم المترجمة، وتداخلها مع مصطلحات قد تحيد به عن الصواب، أو تيعوق فهمه للعديد من القضايا، أمّا قضية توليد المصطلح في المنظور العربي فهي تحتاج إلى دراسة جدية وميدانية، للتراث الزاخر للغة العربية.

سنوردهما في هذا المبحث، ويعدُّ معجم العربية المعاصرة بحقَّ عملاً جباراً يثري العربية، وينمّي رصيد الباحث والمتنقّف العربيين.

أ_ معجم العربية المعاصرة:

شرح هذا المعجم مصطلح التنظير، بأسلوب لغوي واضح، وأبرز دلالاته اللغوية، والمعنوية على الوجه الآتي: «نظَر بين الناس: حكم بينهم نظراً/نظراً إلى/نظراً في/نظراً ل ينظر، نظراً ونظراً، فهو ناظر، والمفعول مَنْظور (للمتعدّي). (كان القاضي ينظر بين ذوي الظلامة). نظر الشخص: أصغى إليه (نظر الخطيب) - أبصره أدركه بواسطة القدرة البصريّة، نظر إلى الأولاد يلعبون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّا لِلنَّظِيرِينَ﴾ (الآية 16- سورة الحجر)، نظر القضية/نظر بالقضية/نظر في القضية: درسها وتدبرها نظر في الكتاب- نظر ينظر، تنظيراً، فهو مُنظرٌ، والمفعول مُنظرٌ. نظر نتائج بحثه: وضعها في شكل نظريّة. تنظير: (قدرات/ممارسات تنظيريّة). مصدر صناعيّ من تنظير: ما يتعلّق بوضع نظريّة أو وضع أمرٍ في شكل نظريّة (استطاع أن بالدفاع عن قضية ما أو مهاجمتها) مناظرة أدبيّة- يهوى المناظرات القلميّة)». ¹

ولعلّ مثل هذه المعاجم المعاصرة تعبّر عن جهود حثيثة، للباحثين العرب في مجال تقديم المحتوى الإبستمولوجي، للمصطلحات بمنهج موضوعي وعصري.

¹ - أحمد مختار عمر وآخرون، معجم العربية المعاصر، ط1، 4 عالم الكتب، القاهرة، صدر: 1429هـ-2008م، المجلد1/

ب_ مصطلح التنظير في " المعجم المفصل في النحو العربي":

أولى هذا المعجم، الجانب التّحوي في تفسير وإيضاح هذا المصطلح، من خلال عرض خلفياته، العلمية على النسق اللغوي الآتي: **التنظير**: لغةً مصدر نظّر الشيء بالشيء، أي جعله نظيراً أي شبيهاً، واصطلاحاً: حملُ النَّظير على النَّظير¹، وذلك لا يكون بمنع تقديم خبر ((ليس)) عليها حملاً على ((عسى)) التي لا يجوز تقديم خبرها عليها، وذلك لأنّ الفعلين ((عسى)) و((ليس)) جامدين فيستويان في هذه العلة، فوجب تسويتهما في عدم التقديم.¹

وحمل النَّظير يقصدُ به في هذا المعجم، مفهوم التماثل - Symmetry بين الأشباه والأشياء، فتحملُ على بعضها، وهذا على مستوى الظاهرة النَّحوية، فقد جاء الشاهد على ذلك في المعجم، بمنع تقديم خبر ليس على عسى، والمماثلة عند سيبويه سمّهاها (المضارعة) وأفرد لها باباً في مصنّفه.²

¹ - ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط 1، مجلد 04 / 1991، ص 477

² _ المعجم المفصل في النحو العربي، عزيزة فوّال باستي، صدر سنة 1413هـ_1992م

³-An outline of English phonetics- Daniel Jones- wafer sons LTD combridge g Th 1972,p217

* - **والمقصود بالنظير**: إذا ما نظرنا إلى مدلوله القياسي، شأنه شأن المفردات الرئيسية في علمي النحو والصرف، كان أحد الأسباب، بل أهمها، في رقي علمي النحو والصرف وتطورها...وسيبويه الذي أظهر علوم سابقه وأثرها، وربما تجاوزهم في تكرار مصطلح النَّظير الذي رددّه سبع عشرة مرة، وقد أظهر هذا المصطلح وطوره فيما عرضه من نظير وتفصيل، المصدر: النَّظير اللغوي عند سيبويه بين تأصيل المفهوم وتطور الاستعمال، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد 20، أكتوبر 2018م، مجلد 02، ص: 175، تعريف المقال على النت:

أمّا في المفهوم الغربي فهي: « عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو الجملة، ويمكن أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متواليين.»³¹ وإذا قارنا بين التعريفين، ندرك أنّ العرب يركزون على مستويات اللغة جميعها، في اثبات المعنى، أمّا الغربيون فقد ركزوا على الجانب الصوتي دون الجوانب الأخرى.

ج- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها:

ورد فيه أنّ التنظير: من النظر أي تأمل الشيء بالعين، وتقول العرب: نظرتُ إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب، وإذا قيل نظرتُ في الأمر كان تفكيراً وتدبراً بالقلب. قال المصري: «هو أن ينظر الإنسان بين كلامين إمّا متفقي المعاني أو مختلفي المعاني ليُظهر الأفضل منهما.» مثال الأول قول يزيد بن الحكم الثقفي من شعراء الحماسة:

يا بدرٌ والأمثال يضربها ❖❖ لذي اللب الحكيم
دُم للخليل بـوده ❖❖ ما خير ودّ لا يدومُ
واعرف لـجارك حقّه ❖❖ والحقُّ يعرفهُ الكريمُ
واعلم بأنّ الضيف يوماً ❖❖ سوفَ يـحمدُ أو يدومُ

فنظر بين هذه الوصايا بمنهج تقابلي، وبين قوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (الآية 36- سورة النساء).

أمّا الشاهد الثاني، فهو ما اقتضه الأعشى (7 هـ/ 629- 570 م)، من قصة السمؤال في وفاته بأدرع امرئ القيس، التي أودعه إياها عند دخوله بلاد الروم، وقصيدة الأعشى مطلعها:

كن كالسموأل إذا طاف الهمام به** في جحفل كسواد الليل جرّار

قال المصري: «هذه القصيدة أجمع العلماء البصراء بنقد الكلام على تقديمها في هذا الباب على جميع الكلام على جميع الأشعار، التي اقتضت فيها القصص وتضمنت الأخبار، وإذا نظرت بينها وبين قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ (الآية 100 - سورة يوسف)، والتنظير من مبتدعات المصري، وهو قريبٌ ممّا ذكره النقاد في باب الموازنة بين الكلام.»¹

وعليه ندرُكُ أنّ مصطلح (التنظير) في المعاجم العربية المعاصرة متعدّد الجوانب وقوي الدلالات المعبرة عنه حسب موضعه في الكلام، وهو بالمعنى العلمي يمثل الموازنة والمماثلة، بين مفهومين أو متغيرين، وفق حاجة استعماله، وطبيعته المتجدّدة في شتى العلوم العصرية.

إنّ ما يزخر به التاريخ العربي من تراث، يثبتُ حتماً وبالدلّائل، تفوق علماءنا العرب في ميدان النظرية على اختلاف مجالاتها، وقد نظروا في المسائل و وضعوا لها قواعد، وشروط ينبغي أن يعلمها المبتدئ في العلم، وبيّنوا طرق لتحصيل المعرفة، وغيرها من المفاهيم التي أسهمت في خلق ما عرف لاحقاً بمصطلح النظرية-the theory.

فقد نتج عن تأثير الفلسفة الإسلامية، والفكر التأملّي حينها، وتمازجها مع علوم اللغة، تغييراً عميقاً في ذهنيات العلماء* الذين قعدوا لأساسيات ومرجعيات العلوم الإنسانية والاجتماعية. وربطوا ببراعة وإتقان بين مفاهيم العلم الثلاث (المنطق - المعرفة - المنهج)، التي يعتمد عليها

¹ _ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، صدر سنة: 1403هـ/1983م

* - والذي نقصده هنا ما قام به علماء أمثال الفارابي وغيره، من تصنيف للعلوم المختلفة، من خلال اطلاعه الواسع، وانفتاحه على الثقافات الغربية، وهو من أوائل الفلاسفة الذين لمسوا أهمية اللغة بشكل عام والدرس الصوتي بوجه خاص؛ فقد برع في تحليله لكثير من جوانب اللغة، ولأتمّها في شبكة انعكاساتها الإنسانية هي فكر، وفلسفة، وجودية، فقد عني بها عناية بالغة. وتناول جوانبها بالدرس والتحليل والنظر، فقد تميز بطرح علمي مغاير ورؤية لغوية ثاقبة. للتفصيل أكثر ينظر: مشعل صنت هليل الحربي، "التفكير الصوتي عند الفارابي في ضوء علم اللغة الحديث"، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآداب تخصص اللغة العربية، إشراف الدكتورة: إبتسام حسين جميل. "جامعة الشرق الأوسط 2014-2015م،

البحث العلمي بشكل عام، وعليه يعدُّ الخوض في مصطلح النظرية وعلاقتها بالفكر اللساني، من أعقد القضايا وأهمّها في الوقت الراهن؛ نظراً لعدّة أسباب و خلفيات سنحاول الخوض فيها ومناقشتها في ثنايا هذا الفصل.

2- المبحث الثاني: مصطلح النظرية و التّظير في الفكر الغربي:

لا يمكن تصور وجود علم من العلوم التي عُرفت عبر التاريخ البشري، بدون وجود إطار لما يُعرف في المفهوم العام ب(النظرية) أو ما يقابلها بالمصطلح الإنجليزي-the theory، وهي لفظة يونانية الأصل، تمثّل ركيّة لا غنى عنها في البحث العلمي ومناهجه المختلفة.

نجد اللغة العربية في (النظرية) مشتق من فعل التّظر، الذي يحمل في دلالاته معنى التأمّل والتدبر الذهني؛ وكلمة- Théoria اليونانية لها نفس معاني التأمّل، والملاحظة العقلية، فكلا الدالتين متطابقتين (التأمّل-التدبر الذهني)، ونلاحظ في القشتالية؛ أنّ كلمة (Téoria) تدل على البناء أو (النسق) المتدرج من الأفكار، حيث يتم فيه الانتقال من المقدمات والفرضيات، إلى استخلاص النتائج، و تحيلنا هذه الدلالات اللغوية للقول أنّ النظرية، تكتسي طابعاً فلسفياً فكرياً، قد يتعارض مع المعرفة اليقينية البديهية، لكونه بناء أو تركيب مفاهيمي يتطلب وجود فرضية، لآليتي الابتداء والانتهاج.¹

وهذان العنصرين أساسيين، في بناء أي إطار نظري، يقتضي (الفرضية والإستنتاج). مثلما هو الحال في العلوم النسبية كالرياضيات، والفيزياء، والعلوم الدقيقة وغيرها.

¹ - ينظر: عبد الله بن سرجان، مقال : تاريخ التّظير في صناعة الترجمة لدى الغرب، مجلة الكلمة، العدد 121، ماي

1-2 النظرية ونشأة المعرفة:

لقد لعب مصطلح النظرية كما قلنا سلفاً، دوراً مهماً في تفعيد العلوم، وتأصيلها، والتمهيد لعرضها على التجربة والملاحظة، ومن ثم التطبيق المعرفي لها فلا يمكن تجسيد أية أفكار دون أن تُنظَر، وتوضع في إطار نظري وفق قواعد منهجية، تحدّد مخرجات أي بحثٍ علمي. وبالتالي فالنظرية عبارة عن «منطق أُعيد بناؤه، ليبدو كأداة لتفسير وتوجيه القوانين الراسخة وتطويعها لتناسب مع البيانات غير المتوقعة في تكوينها، ثم توجيه السعي نحو اكتشاف تعميمات جديدة.»¹ وهي بهذا الوصف أداة تشريح وتحليل للظاهرة العلمية، بما يتوافق و واقع هذه الظاهرة ومنطقها الذي تركز عليه.

وفي نفس الاتجاه يرى كيرلنجر (Kerlinger) أنّها: «مجموعة من المفاهيم والتعريفات والافتراضات المترابطة التي تقدّم نظرة نظامية إلى الظواهر، يتم فيها تحديد المتغيرات التي تؤثر في كلّ منها، والعلاقات بين هذه المتغيرات بهدف وصف الظواهر وشرحها والتنبؤ بها.»² وهو ما يثبت اقتراح النظرية بالفرضية في البحث عن المعرفة، وكشف الظواهر على حسب المتغيرات المرافقة لها والمحيط بها.

يحاول جون سنو (SnowJon-1858-1813) تبسيط هذا المصطلح قائلاً: «تعتبر النظرية في أبسط صورها بناءً رمزياً، صُمم ليحوّل الحقائق المعمّمة أو القوانين إلى ارتباط منظم وهي تتكون من :

أ- مجموعة من الوحدات (حقائق، مفاهيم، متغيرات)

¹ - صالح عبد الله جاسم، بحث بعنوان : نظرية المنهج : استشراف مستقبل العلوم في الدراسات البينية نحو منهج تكاملي،

مجلة كلية التربية (التربية وعلم النفس ع/25، ج/1، 2001، كلية التربية، جامعة عين شمس، ص: 231

² - إبراهيم بسيوني عميرة، المنهج وعناصره، ط3، 1991، دار المعارف، الاسكندرية، ص: 47

ب- نظام من العلاقات بين الوحدات.¹ المتفاعلة داخل نظام معين.

وهذه العناصر تختلف بحسب طبيعة المادة المدروسة، فالتركيب في النظرية اللغوية مثلاً، يختلف عنه في النظرية الفيزيائية أو غيرها، ولكنها قد تشترك في بعض المبادئ البديهية، كالفرضية والبناء الفكري والتمثلات والتخطيط، وهذه كلها ميكانيزمات للتنظير بمفهومه الموضوعي.

وإذا تصفحنا تاريخ العلوم الإنسانية، ندرك ارتباط النظرية بالمنهج والمعرفة، ارتباطاً وثيقاً تزامن مع التطور التكنولوجي للعلوم، وفي المقابل قد يجد الباحث العربي، تبايناً واضحاً في كثير من المناسبات داخل أروقة البحث العلمي، بين مصطلحي النظرية والتنظير، من حيث فهم الأسس المعرفية التي ينتهجها كلاهما.

إذن ندرك من ذلك؛ أنّ النظرية في المنظور الغربي، كمصطلح - متداولاً علمياً- يختلف من حيث الدلالة عن بعض المصطلحات، التي تشترك معه في الحقل الدلالي نفسه، (كمصطلح وجهة نظر، أو رأي، أو اتجاه..).

لأنّ النظرية ينبغي أن تكون أكثر دقةً وصدقاً، فـهـيـجـب أن لا تكون « مكونة من قائمة تجتمع فيها العناصر، ولكن يجب على النظرية أن تظهر بشكل أو آخر، كيف تتألف هذه العناصر في جملة.»¹ بما يؤهلها لأن تتطور عن طريق فنيات العلم، أو بواسطة منطوق مطور متبعية قواعد متشددة في ذلك بخلاف المفاهيم العلمية الأخرى.

¹ - جورج بوشامب، نظرية المنهج، ترجمة محمود سليمان وآخرون، الطبعة الأولى، 1987، الدار العربية للنشر و التوزيع، مقدمة الطبعة الأجنبية.ص:29

¹ - Introduction aux grammaire Transformationnelles, p32 Ed collin,1973

من هنا يتجلى للباحث وجود تمايزٍ، بين النظرية والتنظير في المنظور الغربي؛ إن على مستوى المبدأ أو المنهج، حتى أنّ هناك من يدعم مقولة (قبل النظرية يأتي التنظير)* وهي عبارة إنجليزية بحتة ترجمتها - "Before Theory Comes Theorizing" فالنظرية لها دور بناء في تطوير المعرفة، في حين أنّ المفاهيم الأخرى ليس لها هذا الدور. (بوشامب، 1987-25).¹

لذلك فالمنطقي أن لا يتحقق لأي دراسة علمية، الانتقال من المفاهيم المجردة إلى المجال التطبيقي، دون إطار نظري يحدّد التصوّرات ويحلّلها علاقاتها، ومتغيّراتها، وينبّئ عن ما تنتجه تفاعلاتها التي تحقّق الهدف البحثي لظاهرة ما.

وبما أنّ علاقة النظرية بالفكر الإنساني عموماً تطرح باستمرار جدلاً واسعاً، حول النتائج المستهدفة في البحث من جهة، والمنهج المتبع من جهة أخرى، فإنّ وجود نظرية علمية في تخصّص معين، يحتاج بالضرورة إلى إعادة النظر من أطراف أخرى، ساهمت في تكوين المحتوى الإبستمولوجي لهذه النظرية (المنهج، الفكر، المفاهيم).

والتّجّاح الذي تحقّقه النظرية، في اعتقادي ليس مثالياً، لأنّه قد يتلاشى مع مرور الزمن، من خلال ظهور معطيات ومستجدات ومتغيّرات، غير تلك التي وُجدت من أجلها النظرية في حدّ ذاتها.

* - جاءت - هذه المقولة كعنوان للدراسة التي قام بها، ريتشارد سويد بيرغ، في تخصّص علم الاجتماع، وقد ترجمها: حميد الهاشمي، وحاول فيها إثبات الدور الهام لمصطلح التنظير وأسبقيته على النظرية، على مستوى العلوم الاجتماعية، بكافة تخصّصاتها، وشرح العديد من مظاهر (التنظير العلمية)، وعلاقته بالمفاهيم المعرفية الأخرى.

¹ - بوشامب، (المرجع نفسه) ص: 25

2-1-2 النظرية والتنظير بين النفاضل والتكامل:

يمكن القول أنّ دور التنظير - Theorizing يتجلى في المنظور العلمي الغربي، كبديل منهجي تركز عليه أغلب الأسس والمفاهيم، لكونه مصطلح كما أسلفنا يقصدُ به في السياق العام - General conceptual context إعادة النظر في المحتوى الابتسولوجي للنظرية، والتخطيط لإنجاحها على الواقع.

فالتنظير لا ينطلق من فراغ، بل هو إحياء لنظرية ما أو نظام نظري، قصد استدراك مكامن النقص في عناصر النظرية بحد ذاتها؛ لأنّ «اللحظة الحرجة التي يتوقف عليها مصير فكرة أو نظرية أو نسق علمي، أو فلسفي.. هي إشارة إلى بداية كلّ شيء، أي: ميلاد شيء جديد وبداية نشوئه التاريخي.»¹ المكون للظاهرة العلمية.

من المنطقي الإقرار بأنّ الفكر والمعرفة، لهما نفس المنظور الفلسفي، الذي تبنى عليه النظرية؛ «فقد اعتاد ذوو الثقافة لعهدنا أن يسمعو من أفواه أساتذتهم، في فلسفة العلوم، أنّ المعرفة العلمية تتمايز عن المعرفة الفكرية في كثير من صفاتها، وأنّ هذا الاختلاف قد تفتنّ إليه الفلاسفة تدريجياً منذ أقدم الأزمنة، وربما يكون أرسطوا أول من أعطى المعارف العلمية أحكامها الحقيقية، فمن أهم ما حققه هذا الفيلسوف هو القول "بأنّ العلم إنّما هو علم الكلّي."»² وهذا يمثّل حجة دامغة، لتأثير الفكر الفلسفي على تأصيل أبعاديات العلم.

وهذا ما جرى مع بعض علماء أوروبا، من إنكارٍ لنظرياتهم التي رفضتها الكنيسة، وقد نكّلت بهم وأعدم أغلبهم، مثلما جرى مع «برونو والعالم الإيطالي جاليليو، بعد نشره لكتاب يؤكد فيه حقيقة

¹ - ملاح أحمد، المختصر في تاريخ الإبتسولوجيا. منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، دار القدس، وهران، ط 2010، ص:

² - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر - الجزائر، 2012، ص: 22.

نظريته التي تؤكد دوران الأرض حول الشمس... على الرغم أنه نجا من الإعدام، نظراً لإختراعه للتلسكوب، وتجاربه الخاصة بقوانين الجاذبية، لذلك لم تستطع السلطات إعدام جاليليو بسبب آرائه، كما فعلت مع برونو من قبل، إلا أنها لم تتركه دون عقاب. فقامت بإرهابه وتهديده وهو في سن السبعين.. فأجبر على الإعتراف أمام الملأ بخطئه، وعدم دقة قراءاته، لأنه رجل عجوز مخرف. أما الحقيقة الثابتة فهي ما يراه رجال الدين. أي أنّ الأرض هي مركز الكون. وكل الأجرام السماوية تدور حولها.¹

وهذا يثبت حجم الصدام الفكري، بين النظرية و التنظير؛ نتيجة لسيطرة النزعة الدينية على المنهج العلمي. ما أحدث آنذاك قطيعةً فكرية لدى العلماء والمنظرين، على تعدد تخصصاتهم بعد تجاوزهم للعديد من نظريات السابقة. أو ربما أنكروها، متجاهلين قيمتها العلمية، إتقاءً للتصادم مع الرافضين لها.

لذا أرى، أنه من المعقول أن يتبادر على ذهن الباحث العربي، أسئلة تتعلق بأسبقية كلا المصطلحين (النظرية أم التنظير) على الآخر، وحاجة كل طرفٍ لطرف على مستويات علمية ولسانية عدّة، حيث يمكننا صياغة هذه الأسئلة كالاتي:

1. هل حققت النظرية تقدماً مهماً في صناعة المعرفة العلمية؟
2. ما مدى نجاح الفكر النظري في تجسيد أهداف العلوم السوسولوجية والإنسانية؟
3. هل هناك ضرورة قصوى تدعوا إلى تبني التنظير قبل الأخذ والعمل بنظرية ما، خاصة إذا نظرنا إلى المشهد المخيف والهش الذي أصبحت تعانيه العلوم الإنسانية في الوطن العربي؟

¹ - مُجد زكرياء توفيق، حروب رجال الدين ضدّ العلم والعلماء، جريدة الحوار المتمدّن، العدد: 2380، تاريخ النشر:

2008/08/21م، الموقع الإلكتروني للمجلة:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=144581>

ولعلّ هذه الأسئلة تراود أذهان العديد من الباحثين، والنقاد العرب في الوقت الحالي، وهو ما حاولنا إيلاءه الموضوع الهام، في هذه الجزئية من البحث. خاصة فيما تعلق بعلاقة النظرية والتنظير، باللغة كظاهرة.

إنّ اعتبار النظرية جزء من التنظير، يجعلنا نسلم بما يقوله فريق من الغربيين؛ إذ يرون أنّ علاقة مباشرة تجمعهما بعلم الاجتماع -Social sciences، ويعلقون على التطور التاريخي لمفهوم النظرية بالقول: «... في المقابل لم تحقّق النظرية تقدماً مماثلاً. صحيح أنّ مساهمات فردية كثيرة كانت قد أُجرت منذ الحرب العالمية الثانية، كما يتّضح من أعمال بعض الأفراد المتميّزين، مثل غوفمان وبروديو وآخرين، لكن المهارات العملية للتعاطي مع النظريات ومحاولة صوغ نظرية بالنسبة إلى المتخصّص العادي بعلم الاجتماع، لم يجري تطويرها بصورة مماثلة، ولعلّ هناك سببٌ واحد لذلك، هو أنّ الطلاب لم يدرسوا بصورة فاعلة. مرة أخرى، نقارن ذلك مع المناهج، حيث للطلاب تلقّي دروس فصلية في كلّ من المناهج الكيفية والكمية على حدّ السواء، وبمجرد الانتهاء من هذه الفصول الدّراسية، يبدوون تطبيق ماتعلموه في بحثهم.»¹ ومؤسّساتهم الأكاديمية.

الأمر الذي يبرهن على أنّ النظرية، قد لا ترقى إلى المستوى المأمول في تحقيق أهدافها العلمية والتعليمية، خاصةً فيما تعلق بالمناهج التي تؤطر مستوى التلقي المعرفي للطلاب، كما أنّها تحتاج بشكل مستمر إلى عملية تجديد وإعادة نظر في مصوغاتها، حتى تتطور بما يتلائم والمحتوى الكمي والكيفي للمعرفة؛ فالتنظير إذا تعلق بالعمل التعليمي يكون تخطيطاً، لما يصلح أن ينظّر من قوانين ومناهج وغيرها.

¹ - التّص مترجم ، وهو جزء من مقال (قبل النّظرية يأتي التنظير أو كيف نجعل العلوم الاجتماعية أكثر جاذبية)، Before Theory Comes Theorizing, or, How to Social Science More Interesting Make، ريتشارد سويدبيرغ، ترجمة: حميد الهاشمي، مجلة عمران ع:165، ص: 02

أما عن علاقة مصطلح النظرية بالعلوم الإنسانية، فهي علاقة تزامنت مع ميلاد البحث العلمي في الظواهر الإنسانية في القرن التاسع عشر.¹ حين تغيّرت ملامح الفكر البشري، نظراً لازدهار العلوم، والصناعات، وبدأت مظاهر النهضة تتجلى ثمارها على أوروبا والغرب عموماً. فالعلم بالمنظور الغربي المادي لا يعترف بشيء اسمه الحقائق النهائية، الصالحة لكل زمان ومكان؛ بقدر ما يعترف بحاجة الأشياء إلى التغيير، والتطور ضمن الأطر النظرية، التي لا يمكنه تجاوزها أثناء مرحلة التطور أو التحول.² الطبيعي لدراسة الظواهر.

2-1-3 النظرية والتنظير ومنهجهما في العلوم اللغوية:

إنّ الحديث عن البحث العلمي، ينبغي أن ينطلق من معرفة دور النظرية كمصطلح، برز داخل المخابر والهيئات العلمية، في وقت مبكر من تاريخ الحضارة الإنسانية، وقد عرّفها البعض بالقول أنّها: محاولة لاكتشاف المعرفة والتّقيب عنها، وتطويرها، وفحصها وتحقيقتها، بتقصّ دقيق لمسألة الجزء والكلّ والمبدأ وغيرها من المكيانيزمات، ومن ثمة عرضها عرضاً متكامل التطبيق، ولذلك يعدّ البحث وسيلة وليس غاية بحدّ ذاته، لأنّ الباحث يحاول توجيه وجهة نظره لدراسة ظاهرة أو مشكلة ما، والتعرف عليها وعلى العوامل التي أدت إلى وقوعه، ثم الخروج بنتيجة أو الوصول إلى حل، أو علاج المشكلة.³ وفق محددات نظرية مسبقة، يتحكم فيها منهج ما، مع الأخذ في الحسبان، طبيعة المحتوى المعرفي للظاهرة ومشكلاتها.

¹- Alexandre Koyé, Etude d'histoire de la pensée scientifique, Gallimard 1973

² - ينظر: فؤاد زكرياء، التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت 1978م، ص: 39

³- ينظر: جان بياجيه، وضع علوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونسكو، الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم-

الاجتماعية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، المجلد الأول، دمشق، 1976، ص: 88

ذلك أنّ الظاهرة الإنسانية، بما تنطوي عليه من فروع كعلم اللسان والتاريخ والاجتماع وعلم النفس، وغيرها، تتشعب فيها قضايا واستشكالات معقدة، يصعب على الباحث في كثير من الأحيان التعامل معها وتحليلها، فعلى الرغم من القيمة العلمية والمعرفية للنظرية، إلا أنّ (ريتشارد كوكس) قد أعلن عام 1982 في عبارته الشهيرة أنّ: « النظرية هي دوماً من أجل أحد ما وهدف معين»¹ يقصد بذلك وجود هدف محدد يسعى إليه واضع النظرية، ولا ينبغي أن يحدد عن أطر هذا الموضوع إلى موضوع آخر.

وبالتالي فالنظرية تكون غير محايدة، ويتّضح لنا أنّها نسبية ومحدودة، وربما هذا ما أدى بالعديد من النظريات التي يبتكرها أو يتبناها العلماء، والمنظرين لأنّ تكون غير قابلة لآلية (التعميم - Généralisation) * خاصة ما تعلق بمجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحكم أنّ جوهر الدّراسة فيها هو الانسان بحدّ ذاته، وأنّ النظرية قد تُخدمُ مصالحه أو تكون ضده.²

هذا الإنسان الذي قال عنه أبو حيان التوحيدي (414 - 310 هـ / 922 - 1023 م)، مبرزاً صعوبة التحكم في سلوكياته، ومُثبتاً استحالة وجود رد فعل واحد، وثابت لدى جميع البشر، نتيجة لمثير واحد أو متغير مشابه للدّراسة، فقال: «لقد أشكل عليّ الانسان»³ يقصد ما تعلق بوجود الظواهر المحيطة به.

¹ - نبيلة بن يحيى بن فرحات، التنظير في العلاقات الدولية بين التأسيس والتسييس، فكر ومجتمع، عد، 25، حزيران يونيو 2015، ص:161

² - ينظر: منصور بالرنب، محاضرات في مقياس إدارة الموارد البشرية، (ب ت ن)، ألفت على طلبة الماجستير علوم سياسية وعلاقات دولية، 2004 - 2005 جامعة الجزائر

* - هناك تعميم حين يكن من الممكن، تعويض مجموعة من القواعد الخاصة، بوقائع مختلفة بقاعدة واحدة أو قواعد متماثلة جزئياً، أو حين نستطيع البرهنة على أنّ "قسماً طبيعياً" من الوقائع يخضع إلى إجراء واحد أو مجموعة من الإجراءات المجاورة (تشومسكي). يشكل مفهوم التعميم معياراً مهماً لتقييم الأنحاء. ونجد مفهوم التعميم في النظرية التوليدية: إنه من خلال مفردات درجة التعميم الدالة لسانياً نستطيع أن نعطي لنحو ما القياس الرقمي لقيمته. المصدر: جورج موانان: معجم اللسانيات تر:جمال الحضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012م، ص: 145

والحقيقة التي يمكننا إدراكها، أنه لا يمكن لأي عالم مهما كان تخصصه، صياغة نظرية علمية معينة، بدون منهج علمي واضح، يستعين به واضع النظرية على إرساء مبادئها وتحديد أهدافها المعرفية تحديداً مسبقاً، يراعي فيه مختلف المتغيرات، وإذا نظرنا إلى علاقة النظرية بالظاهرة اللغوية، فإن الأمر يصبح أكثر جدية وأكثر تعقيداً.

فهذا التعقيد راجع إلى طبيعة اللغة في حد ذاتها، ومستوياتها المتغيرة، ما يجعل الباحث يتنبأ بجملة العوامل التي تعترض المحتوى الفكري لنظريته، ومن ثم يحاول الاستعانة بفرضيات واحتمالات تسهل عليه تنظيم الأفكار المسبقة، فهو بذلك ينظر، وبماثل المعطيات قبل تحديد المفاهيم، والأحكام اللغوية المهمة في عمله على خلق نظرية ما، قد تكون جديدة في ميدان تخصصه، أو تكون استكمالاً لنظرية سابقة، تتطلب إجراء تعديل أو حذف أو تطوير، وهذا كله في اعتقادي يندرج ضمن العمل التنظيري لا محال.

لا ريب أن النظرية لها منهج ومبادئ تسيّر وفقها، في بناء أحكامها وتقرير نتائجها عند أجزائها، و بالمنظور الغربي نجد أن هناك منهجان يمكن بواسطتهما صياغة النظرية، وتحديد آليات عملها وهما:

1- المنهج الأول: أن نبدأ بالحقيقة، التي ترصد الواقع كما هو من مشاهداتنا وتجربتنا وكل

مانتوصل إليه بحواسنا، ثم نحذف التفاصيل لنصل إلى الحقائق المصفاة، ونحصل على الإجابات المطلوبة، وهذا ما يصطلح عليه بالتجريد-Abstraction، الذي يمثل المنهج الاستقرائي-Inductive.

2- أما المنهج الثاني: يطلق عليه المنهج الاستنتاجي-Deductive، ويرتكز على

الفرضية، والتنظيم المثالي المعبر عن نظرة الباحث الشخصية، لأنه يمثل تصوراً لما ينبغي أن يكون عليه سلوك الظاهرة.

لذا يتضح من خلال هذان المنهجين أنّ بناء النظرية، يؤدي دور المقارنة مع واقع الحال، ويلزم في هذه الحالة إجراء التعديلات المناسبة، حتى يتم التلاؤم، والتطابق -Incompatibility بين تنظيمنا للفكر التصوري من جهة، وحقيقة الظاهرة من جهة أخرى، ولتوضيح الأمر نقول: إنّ هناك فرقاً بين الطريقة التي نفرض بها النظرية بمجرد صياغتها، وبين الطريقة التي نشرّع فيها بعمل النظرية، وإيجاد ما يناسبها من أطر وقوانين.¹

فوجود آلية تناسق بين التنظير والنظرية، يتطلب معرفةً لحجم الثغرات العلمية، وربما حتى بعض المفارقات المنهجية، التي قد تقع فيها نظرية ما على مستوى الفكر، وبالتالي يصطدم الباحث بحقائق قد تختلف تماماً على الذي أدركه وأصله في نظريته.

مما يؤسف له حقاً أنّ الكثير من النظريات في مختلف العلوم الاجتماعية، واللغوية تعاني من نقص واضح في مثل هذه الأمور، مما يجعلها عاجزة عن أن تقوم بالتوقع والتنبؤ، اللّازمين لدراسة الظاهرة. والإحاطة بها من مختلف جوانبها، ومتغيراتها دون إغفال جانب عن آخر.²

و في رأيي هذا إشكال يورق النّخبة من العلماء، والمنظرين في قضية علاقة النظرية بعلوم اللّغة أو اللّسانيات، وتعليمية اللّغة وغيرها من المسائل الخاصة بالفكر اللّساني مبدئياً ومنهجاً. منذ أمدٍ بعيد وحتى وقتنا الراهن.

ثم إنّ الهدف الأسمى في هذا البحث، هو الكشف عن جملة من الأزمت، المتعلقة بالنظرية اللّسانية العربية، من حيث تتأرجح بين الأصل العربي والمرجعية الغربية، وهو ما يشغل على ما أظن الجيل الجديد من اللّسانيين العرب في عصرنا.

¹ - ينظر: رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، ط1، 2000، ص:249
² - Thom an , R.S.Conkling, E. c. and Yeats M. H.' The Geography of Economic Activity".op.cit1968.p:86

لأنّ الفكر اللساني المعاصر، قد تطور نظرياً خاصةً فيما تعلق بمحقل تعليمية اللغات، ورغم هذا التطور الحاصل، إلا أننا لازلنا نعاني في واقع الأمر من أزمة المصطلح، والتلقي، والضعف في مناهج تعليم اللغة العربية، وغير ذلك؛ «لأنّ الحاجة إلى معالجة القضايا اللغوية معالجة تفصيلية، دقيقة – Idiographic في العلوم الإنسانية، بالكيفية الإجرائية، داخل النموذج اللساني الذي يمثل حلقة التكامل من خلال [الجينوم والبيولوجيا "الهندسة الجزئية" والمعلوماتية، وعلم اللغة المعرفي العصبي]»¹ وغيرها من الفروع المستحدثة.

لذا فقد دعا ثلة من اللسانيين أمثال حاج صالح، إلى ضرورة إعادة النظر في التراث، وتبني فكر تنظيري منهجي، وفق معايير علمية أكثر حداثة، تتناسب مع مقومات لغتنا العربية، في ظل تحديات العولمة ومحاوله تهميش التراث، مقارنة بتطور اللغات الحية، وتوسع التكنولوجيات الحديثة، التي تتناول اللغة دراسةً، وتطبيقاً، وتعليماً.

وأعتقد أنّ هذا ما شغل النقاد خصوصاً؛ إذا ما تعلق الأمر بالسير وفق منهج تنظيري، يضبط مناهل التلقي، ويوحد الجهود الهادفة إلى خدمة اللغة العربية، وهذا الانشغال ينبع من واقع موضوعي، يطرح عدّة أسئلة يمكننا اسقاطها على الوجه الآتي:

- ما علاقة النظرية بالفكر اللغوي على وجه الخصوص؟

- هل استطاعت النظرية مساندة الفكر اللغوي، والتربوي بما يتوافق و المتطلبات السيكولوجية

والابستمولوجية للمجتمع؟

- هل آن الآوان لإعادة تنظير وتحديد لما وصل إلينا من فكر غربي وثقافي ولساني تحديداً؟

¹ - عبد الرحمان طعمة، التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية، " قراءة بينية لبعض القضايا الأولية، رسالة المشرق،

- ما هي البدائل العلمية المعاصرة التي ينبغي أن تتحكم في بروز الفكر النظري العربي المستقل؟

إنّ هذه التساؤلات هي في الواقع أزمات تطرح الفكر العربي، ومحاولات إيجاد حلول مقنعة لها يحتاج إلى تكاتف، وتوحيد للجهود خاصة في ظلّ هذا الزخم، والتسارع الذي تشهده اللغات الحية في العالم نتيجة ليهمة العولمة اللغوية*.

3-المبحث الثالث: النظرية في الفكر العربي بين علمية المصطلح وحدائته

الاستعمال:

إنّ الأزمات التي تواجه الباحث بشكل مستديم، كلّما سلك طريق التنظير، أوحاول استقراء الوضع المزري الذي يطغى على اللسانيات العربية المعاصرة، والتهميش المقصود الذي يطال لغتنا العربية، يفرضُ عليه تحريّ أسرار العلاقة بين النظرية، والفكر العربي، وعلاقتهما بالتراث الحضاري على مختلف مستويات المعرفة. والتعرض لأهم الجهود العلمية التي قام بها الأعلام العرب، ومقاربتها مع أهم نظريات الفكر الغربي القديم والمعاصر.

وأرى أنّه من الموضوعي أن يتخذ الباحث العربي، منهجاً يجمع فيه بين التراث، والحدائته، ويعمّق النظر في المخزون التراثي للفكر العربي، لأنّ الرجوع « إلى التراث اللغوي من أجل الوقوف على ما يتضمّنه هذا التراث من آراء متطورة، هو من الأمور المهمة التي من شأنها أن تلقي على

* -العولمة اللغوية: من وجهة نظر البحث أعتقد، أنّ هذا المفهوم قد أصبح متداولاً بكثرة، في الوقت الراهن، بين جمهور اللغويين وأهل الاختصاص في اللسانيات، نظراً لعدّة اعتبارات موضوعية؛ منها أنّ العولمة كمفهوم حديث يعني سيطرة العلم الحديث، والتكنولوجيات على العالم حتى أضحي هذا التطور يتحكم في ثقافات المجتمعات وسلوكيات الأفراد، ولم يترك مجالاً إلاّ وقد أثر عليه، ومن ضمن ذلك اللغة، بصفتها ترجمان لكل علم، وبالتالي صرنا نرى تفوق اللغات الحية، عن اللغات الأخرى، على مستوى إدخال اللغة في مجالات تقنية متطورة، على الرغم من ضعفها المفاهيمي وبغض النظر عن التراث، وكل ما كان في السابق من علوم، صار معرضاً للتجاوز والتغيير، والعربية ليست بمنأى عن هذا الخطر الداهم إن جاز القول، بل بالعكس حان الوقت، لاستكمال مسيرة تطورها ودجما بكلّ ما هو حديث ومستحدث، دون التفريط في مقوماتها، وهذا ما دأب عليه حاج صالح وآخرون من صفوة اللسانيين المحدثين في الوطن العربي.

المواضيع العديدة، التي يلتقي فيها هذا التراث، مع أحدث ماتوصل إليه البحث اللغوي، ولا يخفى علينا مدى الفائدة الكبرى التي يمكن أن نتوصل إليها، من خلال هذا الربط، الذي بلا شك سيظهر مدى استمرارية الفكر اللغوي عبر الزمان.¹

خاصة ونحن نعلم تميّز الحضارة العربية الإسلامية، في مراحل من تاريخها الذهبي، بتفوقٍ ومقدرة علميين في شتى ميادين المعرفة، فقد ضاهت ما وصلت إليه الحضارات الأخرى كاليونانية، والإغريقية بفارقٍ كبير، و بحدیثنا عن مصطلح (النظرية)، نجد أنّ علماءنا العرب وظفوها توظيفاً عقلياً، يُقابل المذاهب العقلية لكل فرعٍ من فروع العلم، ويتجلى هذا في تعريف الجرجاني للنظرية بأنّها: «ما يتوقف حصوله على نظر وكسب؛ كتصور النفس والعقل والتصديق بأنّ العالم حادث.»² وهذا تحليل منطقي لماهية مفهوم النظرية.

وإذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، نظرية التواصل اللغوي - **The theory of linguistic communication**، على مستوى تحليل الكلام وما يتعلق بالتخاطب عن طريق اللغة، نجد أنّ العرب قعدوا، وفصلوا في العديد من المفاهيم المماثلة لها. ويشير حمادي في كتابه (التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره) إلى أنّ اللغويين العرب (...) يؤمنون بأنّ مكونات التواصل ثلاثة هي: المتكلم، والمخاطب، والكلام، والرابط بين هذه الأطراف، هو الوظائف الثلاثة: الوظيفة الإفهامية، والوظيفية الخطابية، والوظيفة الشعرية.³

¹ - البهنساوي، حسام (1994). أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي:

مفهوم اللغة والدراسات النحوية، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ص: 02

² - مُجّد السيد الشّريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: مُجّد الصّديق المنشاور، د، ط، القاهرة، د، ت، دار الفضيلة، ص:

³ - ينظر: مُجّد اسماعيلي العلوي؛ التواصل الإنساني، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2014، ص: 24.

وهو ما يثبت التفوق الذهني المتقدّم، الذي أحرزه العلماء العرب في العلوم المختلفة، بداية من علوم اللّغة والاتصال؛ فبرعوا في توصيف المفاهيم، وتأطيرها على نحوٍ مقبول في جانبها النظري المجرد، ومن ثم تيسير فهم مدلولات الظواهر، ولم يقتصر ذلك على العلوم اللّغوية فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى العلوم الطبيعية كالرياضيات ونظريات الجبر والخوارزميات، التي أبدعوا في وضعها، وفهمها على الوجه الدقيق، رغم افتقارهم إلى الوسائل المادية والتقنية المساعدة، كما هو موجود في الوقت الحاضر.

ثمّ أنّنا نلمس تمايزاً واضحاً، في فلسفة العلوم بمنظورها الفكري العربي، مقارنة مع نظيره الغربي، والسبب في ذلك أنّ « المعرفة العلمية تتمايز عن المعرفة العادية الفطرية في كثير من صفاتها، وأنّ هذا الاختلاف قد تفتّن إليه الفلاسفة تدريجياً منذ أقدم الأزمنة، وربما يكون أرسطو أول من أعطى المعارف العلمية أحكامها الحقيقية، فمن أهم ما حقّقه هذا الفيلسوف هو القول ((بأنّ العلم إنّما هو علمٌ الكلي)) (كتاب ما بعد الطبيعة، 1087). لأنّ معرفتنا للجزئيات أي الأعيان والأشخاص، ليس من العلم في شيء، ومادامت تتكون من انطباعات فردية، ومن أحاسيس ساذجة متقطعة لا رابط بينها، فلا يمكن أن تتخلى عمّا هو نقيض للعلم.¹

يُحيلنا هذا التعليق الدقيق على المعرفة العلمية، إلى مبدأ مفاده ضرورة إلمام الباحث بالكلي والجزئي، ومعرفة حدود الظاهرة العلمية للغة، في تصورها النظري والمفاهيمي، والتفريق بين ما ينطوي عليه فكره من أحاسيس ذاتية، وما ينطوي عليه واقع الدّراسة، فيتعمّم عليه فهم مختلف المتغيرات الموضوعية ضمن أبعاد البحث العلمي.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، كتاب بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص: 23

1-2-1-3 النظرية اللغوية في التراث العربي بين (المرجع والتوظيف):

إنّ الحديث عن التراث العربي، في هذه الجزئية من البحث، يستوجب الكشف عن أهم المفاهيم العلمية، والنظرية المتعلقة بالظاهرة اللغوية؛ فالمتصفح لتراثنا القديم يلمسُ حتماً وقوفَ علماءنا على درجة عالية، من التفطن الذهني المبكر حين فهموا وقتنوا عدّة علوم، ووضعوا شروطاً لطلبها. وقد احتوى تراثنا على مختلف الأنظمة التي تقوم في أذهان العلماء، حيثُ تتمثّل في تصوراتهم عن هذه الأنظمة.¹

إذ لا يمكن أن نكتفي بفقرة قصيرة في عرض النظريات، وإبراز مضامينها الإستموم-لسانية*، وهذا ما يطرحه الحاج صالح، في موقفه من المناهج اللغوية التي كانت قديماً عند العرب، فهو يستقرئ ذلك من منطلق ما ينبغي، أن يوجّه من خطاب لساني للقارئ العربي، الذي لم يطّلع بعدُ على مضمون اللسانيات الحديثة.²

لذلك فالبحث عن نظرية في التراث العربي، يستوجبُ البحث المعمّق والواضح؛ لأنّ المتلقي العربي في الوقت الراهن، قد أخذ نظرةً سلبية حين يعتقد أنّنا نستعير وتنبئ، كلّ ما هو غربي من نظريات؛ إذن هو يحتاج إلى اطلاع موسع لميدان، العلوم اللسانية الأصيلة بعريبتها، والغنية باصطلاحاتها، على اختلاف فروع العلم ومتغيراته.

¹ - ينظر: مُحمّد عبد العزيز عبد الدّائم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار العلوم، جامعة القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2006، ص: 19

² - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص: 81

* - الإستموم-لسانية: هذا مفهوم مركب، أرى أنّه أقرب وأيسر لفهم المعنى؛ وهو يمثل اقتران المعرفة باللسانيات، أو يمكن أن نقول المستوى المعرفي للغة، وعلى ذلك نسمع عن مصطلح اللسانيات العرفانية، وهذا التخصص يركّز في بحثه، عن الجوانب المعرفية للدراسة للغة، وإبراز مختلف العلاقات العلمية المختلفة بين المعرفة واللغة والفكر.

فمنهج البحث اللغوي الحديث، لا ينبغي أن يتم بأدوات العلم القديمة، بقدر ما يحتاج إلى استخدام المعايير العلمية الحديثة. ليتقن البحث في التراث، ويتهل من مشاربه، ونظرياته على الوجه الصحيح، دون الوقوع في خطأ المنهج والتأويل للمفاهيم التراثية.

وبالحديث عن مرجعيات النظرية اللغوية في التراث العربي؛ فإنَّ هذا « لا يعني البتة العودة إلى الوراء، أو البكاء على الماضي، وتمجيده، والتعلُّق به. كما أنَّ هذا لا يعني إلقاء مشاكل الحاضر وهمومه على الماضي في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة.¹» ضمن ما نلمسه من مفارقات في الإنتاج اللساني العربي.

من الضروري، التميُّز عند قراءتنا لتراثنا اللغوي بين موقفين: « موقف تكون فيه القراءة فعلاً و وسيلةً تكفلُ لنا التعرف على ذواتنا حضارياً، وتسمحُ لنا بإبراز خصوصياتنا أمام تحديات العصر المتعددة. وفي هذا الاتجاه تعتبرُ القراءة وسيلة ناجعة للتعريف بالتراث اللغوي العربي، لا باعتباره جزءاً من تاريخ الفكر العربي فحسب، وإنما باعتباره أيضاً محطةً تاريخية في مسار الفكر اللغوي الإنساني لا يمكن تجاهلها.²» أو استثناءها.

فنحن إذن أمام رصيد إستمولوجي ضخم، ومتنوع يحتاج فعلاً إلى التحقيق والتدقيق؛ لأنَّ تناول العرب للظاهرة اللغوية، بكل مستوياتها النظرية والإجرائية، كان على درجة كبيرة من الوعي والفهم العلميين، للمفاهيم المختلفة في النحو والبلاغة، وغيرها من علوم اللغة. وقد تجلّى ذلك في مصنّفات وجهود بحثية مختلفة، تناولتها العديد من الدراسات اللغوية، كما سنناقش ذلك في ثنايا البحث.

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة "دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته"، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان ط1، 2009.

² - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1986، 2، ص164.

إنّ علاقة التّظريّة باللّغة من المنظور العلمي- الفكري، تتفاوت بين ملاحظة الظاهرة وتدوين أحكامها، ويرى حاج صالح أنّ: «منطلق كلّ علم كما هو معروف، هو المشاهدة للظواهر، وبالنسبة للغة هو السّماع والتدوين لما يسمع من الكلام من أهل هذا الكلام الموثوق بهم، وقد رجع العرب إلى هؤلاء العرب الموثوق بعربيتهم، الفصحاء بهذا المعنى، فدونوا عيّنة كبيرة جداً من كلامهم نظماً ونثراً.»¹ فوصل إلينا ذلك بالتواتر، جيلاً عن جيل.

وقد «عرفوا التدوين والكتابة في وقت مبكر من التاريخ الإنساني، و أكدّ العديد من العلماء أسبقيتهم في هذا الميدان، ومنهم ابن فارس (329هـ-395هـ) حول معرفة عرب الجاهلية بعلم اللغة، وتؤكد النقوش الأثرية كنقش النماره*، وهو مصدر تاريخي دامغ، يثبت أنّ العرب كانوا على دراية بالكتابة وعلم الخط والقراءة، وعموماً كانت الكتابة شائعة في العهد الجاهلي ولاسيما في الحواضر وكان للعرب؛ إذ ذاك كتابات لتعليم القراءة والكتابة.»² وهذا معروف لدى المؤرخين والمستشرقين.

ولعلنا نجد في خضم حديثنا عن التراث، ما يثبت مبدأ تكيّفه مع الحاضر والمستحدث؛ فإن كان هذا التراث الذي يعدّ «ركاماً من العلم، فهل من الصواب أن نفرط بهذا الكنز، بدعوى أنّه جدّد جديد في الموضوع؟ أفلا يكون من الرصانة أن نحاول ربط الماضي بالحاضر ولاسيما، وأنّ هذا

¹ - حاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء 1، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص: 27
² - محمد أسعد طلس، تاريخ الأمة العربية 1، ص 152-153، عن الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل 1986، ص: 56

* - يعد نقش النماره المثير للجدل من أكثر النقوش العربية السابقة للإسلام أهمية على الإطلاق. وهو أقدم نقش نبطي عربي مكتشف، مدون بلغة مشابهة تماماً للعربية الفصحى، وقد ذهب معظم المستشرقين إلى أنّ نقش النماره الذي يعود لعام 328 م يعد دليلاً قاطعاً على أنّ الكتابة العربية الحديثة كانت قد تطورت من الكتابة النبطية المتأخرة، لتشابهها في رسم الخطوط ووصل الحروف. وقد اعتبر المؤرخون نقش النماره أيضاً مورداً تاريخياً مفعماً بالأحداث، وبالرغم من مرور ما يقرب من القرن على اكتشاف نقش النماره عام 1901م، إلا أنّه لا يزال موضع تساؤل وجدل كبيرين حتى يومنا هذا. للتفصيل أكثر يرجع إلى المصدر: سعد الدين أبو الحب، نقش النماره العربي النبطي (328م)، نشرت هذه الدراسة لأول مرة نهاية 2011م.

الماضي وضاء ... لهذا كان لازماً علينا أن نربط الحديث بالقديم.¹ وهذا مرتبط الفرس، وهدف من أهداف البحث اللساني العربي ككل.

ومنطلقاً لجهوداً علمية قلّ نظيرها، طغت على المشهد العصري، يلمسها الباحث، ويعايشها على المستوى الأكاديمي الغربي والعربي في نخبة اللسانية، كلما تصفحنا مؤلفات، ونظريات العلامة: عبد الرحمان حاج صالح، الذي تبنى كما قلنا منهجاً يجمع فيه بين الأصيل، و المعاصر، فتجده يحلل ويعمّق البحث، بتمحيصٍ ونظرٍ علميين، في ما خلفه العرب القدامى، من قضايا اللغة العربية بعد تراثي - حدائلي.

2-3-1-2 النظرية اللغوية في الفكر العربي بين الفهم والتأويل:

جديرٌ بنا التأمل في سلسلة فريدة، من مؤلفات حاج صالح المتعلقة بالتراث، والتي لا يمكن لأي باحث لغوي، أو لسانياتي، الاستغناء عنها كونها تمثل رصيذاً ابستمولوجيا ومرجعاً تراثياً، يستوقف الباحث لتصفحه، والانتقال من موارده، ففي كتابه " سلسلة علوم اللسان عند العرب".*

يتناول في إحدى مباحثه قضية " السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" (2012) حيث يقول في مقدمته معلاً ومفصلاً عن مبتغاه: « والذي نقصده من التراث اللغوي العلمي، هو ماتركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جلييلة، انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن للحفاظ على لغته، وذلك بطريقة علمية وهو الاستقراء للنص القرآني، واختراع نظام من الإعجام والنقط لتصحيح القراءة وظهر هذان العاملان معاً.¹ وهذا موقف صريح، يدعوا

¹ - ينظر: توطئة في علم اللغة، التهامي الزجاجي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1988م، ص: 05

* - وهو من المؤلفات المهمة، التي شكّلت مورداً علمياً للباحثين واللسانيين، لا يمكن للمبتدئ أو للمتخصّص في علم اللسانيات، الاستغناء عنها نظراً لأهميته في دراسة التراث اللغوي، عند العرب، وبخاصة تناوله للمنهج العلمي الحدائلي، كميّار ونظرية بل ومبدأ ينبغي، الاعتماد عليه في البحث والتنقيب في التراث، ومختلف علوم اللغة العربية.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، السماع اللغوي والعلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر - الجزائر 2012، ص: 07

إلى تنظير التراث بآليات حدائثة، بمنهج قويم ينتهز به الباحث، أفضل المصادر النظرية للتراث اللغوي من جهة، ومن جهة أخرى يسهل عليه طرحها بمنهج عصري، ومرن يتقبله القارئ والباحث العربي. وتجلى ذلك من تجديده للجانب المفاهيمي النظري والاصطلاحي؛ لما عرف ب: النظرية الخليلية-the theory Khalilian، ومشروعات أخرى سنتحدث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث.

فدعوته إلى التمسك، بتثبيت المصدر والتحقق منه، أثناء عملية التنقيب في التراث، مبدأ ألح عليه وهو في رأيه لا يتأتى إلا وفق « ضرورة الرجوع إلى مقاله القائل هو نفسه، أي إلى نصّ قوله أو أقواله، ممّا وثق والامتناع البات من الاكتفاء بما روي. بأحد أهم الأصول في البحث العلمي.»² وهذا يمثل القاعدة الجوهرية للباحث، في تحقيقه للتراث بأمانة علمية.

لأنّ الشواهد التي تحدّثت عن تراثنا العربي، لا يمكن حصرها في سطور، فقد تناول ثلاثة من المستشرقون في كتابتهم وبحوثهم اللسانية، قضية التراث العربي ولو باقتضاب، فنجد روبنز-Robins على سبيل المثال، قد خصّص في كتابه (لمحة عن تاريخ اللسانيات)، صفحتين يعرض فيهما الفكر اللغوي العربي، كما خصّصت جوليا كريستيف-J.Kristeva أيضاً خمس صفحات في كتابها (اللغة ذلك المجهول) تشير فيها إلى أهمية الفكر في العصور الوسطى. وفضلاً عن هذا فإننا نسجل بعض الاعترافات الهامة بتميّز الدرس اللغوي العربي.³

² - المرجع نفسه، ص: 09

³ - ينظر: هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، أعمال ميشال زكريا أنموذجاً، منشورات زين لبنان الوسام العربي الجزائر، ط1-2011، ص: 196-197.

يعلق العالم اللغوي المستشرق براجشتراسر G. Bergstrasser، عن تفوق العلماء العرب في مجال الدراسات الصوتية. قائلاً أنه: « لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان، من أقوام الشرق وهما: أهل الهند، يعني البراهمة، والعرب، وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب: الخليل بن أحمد المتوفي سنة 177هـ، وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من أجزاء علم النحو، ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة، مأخوذة من القراءان الكريم.»¹

ويضيف اللغوي الإنجليزي فيرث - Firth قائلاً: « لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين: العربية والسنسكريتية.»²

يفهم من هذا أن القوة الفكرية التي تميّزت بها العربية، حتى على اللغات السامية، ويتجلى ذلك في أعمال العرب التراثية الخالدة، التي لا يضاهيها إلا ما أبدعه العلماء الغربيون في أحدث أعمالهم، والغريب أن تكون هذه الأعمال مجهولة في جوهرها عند كثير من الدارسين، وأهل الاختصاص المعاصرين.³

ولأنّ البحث اللغوي عند العرب لم يتأتى مبكراً، بسبب انشغالهم بالبحث في العلوم الشرعية والإسلامية، غير أنهم اتجهوا إلى العلوم اللغوية بعد ذلك، و يذكر السيوطي في كتابه: (تاريخ الخلفاء) قائلاً: « إنّه من منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي، و يؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني. وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم الغير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو.»⁴ والمنطق والبلاغة وغيرها

¹ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، 2012، ص: 298

² - حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994، ص: 04

³ - عبد الرحمان حاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، ص: 367

⁴ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، 2012، ص: 298

حيث كانت الحاجة إلى تبني الدراسات اللغوية بشكل عام، والصوتية بشكل خاص، نابعة من عقيدة تتصل بتلاوة القرآن الكريم، وفهم أحكامه من جهة، ومن جهة أخرى تعليم العربية للوافدين الجدد على الإسلام من غير العرب.

فلا غرابة في أن تُسندَ معظم الروايات التاريخية، أول نشاطٍ لغويٍ لقارئ من قرآء القرآن الكريم هو: (أبو الأسود الدؤلي-ت69هـ)* الذي استخدم أسلوب التَّقَطِّ ليرمزَ به إلى ظواهر صوتية، اعتمد في رصدها على الملاحظة المباشرة لحركات الفم، بما لها من صلة بنطق هذه الأصوات.

وقد كان لمعظم النحاة واللغويين الأوائل من القراء، الدور البارز في التمهيد لظهور علم الأصوات عند العرب، بفضل ما لاحظوه، وما تنبَّهوا إليه من مشكلات تتعلق بنطق بعض الكلمات، وهو ما يعرف بعلم أمراض الكلام- speech-language pathology حيث أنّ هؤلاء العظماء، بدأوا باكتشاف ذلك في آيات من القرآن الكريم، نتيجة لاختلاف اللهجات العربية واختلاف رسم المصاحف، وما لاحظته بعضهم من تغير في نطق بعض الأصوات العربية، على ألسنة الأعاجم، والمولدين و وقوعهم في اللحن، وتجنّباً لذلك أسّس هذا العلم.¹

¹ - ينظر: حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1988، ص: 03

* - ويمكن القول أنّ معظم الرواة والمؤرخين القدماء ، يجمعون على أنّ أبا الأسود الدؤلي، فيما روي، قال لكاتبه وهو يضع نقط الإعراب: ((إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط فوجه على أعلاه. فإن ضممت فانقط نقطة بين يدي الحرف. وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فان اتبعت ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين.))، ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 12، وينظر: أيضا السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص: 12

بيد أن تلك الملاحظات الصوتية، التي تنبّه لها القراء وعلماء اللغة قد تراكت على مدى قرن من الزمن، دون أن تأخذ حيز الدراسة العلمية المنظمة، على المستوى النظري، إلا على يد أحد جاهذة علم اللغة، ألى وهو الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100هـ-170هـ-718م-786م)* الذي يعدُّ صاحب أول دراسة صوتية- Study of sound، منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب، وذلك في مقدمة كتابه (العين) الذي أغنى البحث الأكوستيكي، بمفهومه الواسع والمحدث في أوروبا وغيرها.¹

بيدو أن الخليل قد خصّ بمنهج منفرد، ونظرة أصيلة، بتحليله للأصوات، والنظام الصوتي، فمهد بذلك لبزوغ فجر المفاهيم الصوتية العربية، وهذا الإنجاز لا يوجد إطلاقاً في الصوتيات التقليدية الغربية، كمفهوم الحركة والسكون (الصوامت والصوائت) ومفهوم حرف المد. ومخارج الحروف وغيرها.²

دون أن نغفل عن اسهامه في بناء نظرية عربية كاملة الجوانب، شملت كل مستويات اللغة، و وظائفها من صوتيات، ونحو ودلالة. ما جعل العديد من علماءنا المحدثين يستشهدون به، وبأعماله التراثية فيها هو تمام حسن يقول عنه: « إن دوره في بناء النظرية يضعه في منزلة بين النحاة لم يبلغها أحد قبله ولا بعده، حتى تلميذه سيبويه، فقد كان الفضل لسيبويه أنه جمع، واستوعب وسجل. فأما الخلق والابتكار، فقد كانا من نصيب الخليل في الأغلب الأعم، ممّا

¹ - ينظر: حلمي خليل، المرجع نفسه، ص: 04

² - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1، موفم للنشر 2012، الجزائر، ص: 267
* - هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (100هـ - 170هـ). عربي الأصل من أزد عُما نبرع في علم العروض. نشأ بالبصرة وترقى فيها. وأما أستاذه عيسى بن عمر فقد كان إماماً في العربية والقراءات.. وقد روى الخليل عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضر بن شُمَيْل. قال ابن المعتز: «كان الخليل منقطعاً إلى الليث فيما صنفه». وهو أستاذ سيبويه. والحكايات والمرويات المذكورة في كتاب سيبويه كلها مروية عن الخليل وكلما قال سيبويه، وسألته، أو قال: من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل. للتفصيل أكثر يراجع المصدر: موقع المكتبة الشاملة على النت: <https://shamela.ws/index.php/author/883>

اشتمل عليه كتاب سيبويه. فجمع مادته كما قال هو للكسائي من بوادي الحجاز، ونجد وتهامة... ولم يقف من الانتفاع بهذه المادة عند إكمال النظرية التحوية فقط، وإنما انتفع بها أيضاً في حقل اللغة.¹ حين خرج لمفاهيمها وعرض للجزء الأهم من ظواهرها.

حتى أنه من أوائل العلماء الذين تفتنوا، وأدركوا أنّ اللّغة يسيّرُها نظام دقيق؛ وأنها تتركب من عدّة مستويات (نحوية وصرفية وصوتية...)، لذا فقد روي أنّهُ شبهها بالبيت أو الدار المحكمة البناء، يريد بذلك أركان اللغة ومقوماتها.² موقناً أنّهُ على اللّغوي، وصف، وذكر الحقائق، واستنباط القوانين، وهذا في اعتقادي يعدُّ من الأصول المنهجية للبحث العلمي، بمفهومه الحقيقي الحديث، الذي اعتدنا الاطلاع عليه في كتب النّظريات العلمية الأجنبية.

وروى الرّجّاجي (ت 337هـ) وهو من فطاحلة النّحو الثّقات، أنّ الخليل حين سئل عن تعليقاته اللّغوية أجاب: فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النّظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيتها، بالخبر الصّادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلمًا وقف هذا الرجل في الدّار على شيء منها قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا؛ سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني فعل ذلك للعلّة التي ذكرها الذي دخل الدار، وجائزٌ أن يكون فعله لغير تلك العلّة، إلّا أن ذلك ممّا ذكره هذا الرجل محتملٌ أن يكون علّةٌ لذلك. فإنّ سنح لغيري علّةٌ لما علّته من النّحو هو أليقٌ ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها.¹

¹ - تمام حسان، الأصول، دراسة استمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982، ص: 22-23.

² - ينظر: أبي القاسم الرّجّاجي (ت 338هـ): الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، ط 3/ 1979، ص: 65-66.

¹ - أبي القاسم الرّجّاجي، المرجع نفسه، : 66

لذا فمنهج الممارسة والتجريب الذي ميّز عقلية الخليل، يكمن في تأصيله للنظرية الصّوتية، داخل البحث اللغوي العربي القديم. بل إنّنا قد لا نجد هذه الممارسة، بنفس المنهج في العديد من مناحي الدّرس الصّوتي عند الغرب.

فلا مغالاة في استعراض تمرّس علماء العربية، واتباعهم للمنهج العلمي، في وقت مبكر من تاريخ الإنسانية، وقبل الغرب بقرون طويلة، فهذا النمط من الدّراسات، والتحدّيات، وهذا التوجه من تلمس الصّوت فيزيائياً، وقياس سرعته ومساحته أمواجياً، قد سبق إليه فريقٌ من الباحثين العرب، في بحوثهم.²

غير أنّ الباحث يلمس كما هائلاً من النقود، قد وجهت لهذا التراث بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، وهذه النقود تتجه في الغالب إلى نعته، بالافتقار للإطار النظري، والبعد عن المعيارية العلمية وغيرها، ولكن الحقيقة التي ينبغي أن ننصف بها تراثنا، هي تجنب وصفه بالاعتماد على النظريات التي بنيت لوصف اللّغات الأوروبية.³

ويقول الدكتور: حسن عارف نقلاً عن عبده الراجحي في هذا الصّدّد: « إنّنا نزعم أنّ التراث اللّغوي لم يصدر عن نظرات فردية، أو وقتية، أو صدفية، وإّما صدر عن نظرية متناسقة في المعرفة.»⁴ بكل تمثالاتها.

² - ينظر: كلاً من إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ص: 129-145، و خليل العطية، في البحث الصّوتي عند العرب: 6 و11.

³ - ينظر: عبد الوهاب صدّيقي، اللّسانيات وتدرّس اللغة العربية، مجلة الدّراسات اللغوية والأدبية، ص: 68

⁴ - عبد الرحمان حسن العارف، النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية ضمن كتاب (تمام حسان رائدا لغويًا)، عالم الكتب، ص: 242.

أما الدكتور خليل حلمي، فيعبر عن ظنه في هذه المسألة قائلاً: « النظرية موجودة [أغلب الظن] ولكنها تحتاج إلى الكشف عنها، فليس من المعقول أن يقوم هذا البناء الضخم في الدرس اللغوي دون نظرية.¹»

فمسألة وجود النظرية، بأبجدياتها في تراثنا العربي، لا غبار عليها بيدها أنها تحتاج إلى منهج محكم، يضبط أسلوب التعامل مع هذا التراث؛ بما يتماشى وآليات البحث اللغوي المعاصر، ودون الانجرار نحو الدوافع الذاتية، والأفكار الدخيلة، التي قد تمسُ بنزاهة الباحث، أو تغير ذهنية البحث لديه، بالسلب أثناء تعامله مع المادة التراثية بأصالتها.

لأنّ مانراه اليوم في ميدان الدراسات اللغوية العربية، من تشتت فكري، واستغراب عن علوم العربية، ماهو إلا نتيجة حتمية لتشتت مناهج البحث، وغياب أدواته المثلى لفهم التراث فهماً يتطابق، ومقوماته، فالباحث العربي لا بد أن تكون له «نظرية خاصة به مستوحاة من الحضارة التي يريد أن ينطق باسمها.»² وإذا كان هناك نفرٌ من الباحثين المحدثين، قد تأثروا بالفكر الغربي لدرجة الولاء والبراء، فأين هي قومية الباحث العربي من تراثه؟ وما موقع لغته من لغة غيره؟

وإن أردنا حقاً فهم التراث، والانتفاع بمحتواه الفكري واللغوي، لا بدّ في تصوري من إعادة تنظير، وتصحيح لمسار البحث في حدّ ذاته، والأخذ بالمعارف العلمية بأسلوبها العربي الصّرف، ومن ثمّ تبليغه للكثير من الناطقين بغير العربية، الذين تزدادُ رغبتهم كلّ يوم لاكتشافها.

إذ لا غرابة في أن تحظى العربية، بخصيصة احتفاظها بحالاتها الإعرابية، في حين أننا « لا نجد لغة واحدة من اللغات الأروبية والآسيوية، احتفظت بكلّ حالات الإعراب الثماني التي عرفتھا

¹ - حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص: 197.

² - منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية، ص: 15

اللغات القديمة، فقد نقص عددها بصورة متباينة إبان عملية الاندماج.¹ بينما لم يحدث ذلك في العربية، رغم ما مرّ بها من مراحل، وأحداث زاحمتها أثناء الاحتكاك الثقافي، والإجتماعي مع اللهجات، واللغات الدخيلة عليها على تعدّد قومياتها.

فإذا أردنا تصحيح اتجاه البحث اللساني العربي، لا بد أن نتخذ منهجاً تنظيرياً سليماً، بعيداً عن التنظير بمفهوم التحيز للزوايا الضيقة من البحث، أثناء التنقيب في مضان التراث، وهذا الذي يلح عليه صفوة من أصحاب لسانيات التراث.

لأنّ قراءة التراث كما قال حاج صالح: « ليس هو اسقاط المذاهب، والنظريات الحديثة على المذاهب العربية القديمة؛ إذ لانريد النظر فيما أخرجته القدامى، وفي أعيننا نظرات خاصة بالعصر الذي نعيش فيه، فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة، ولو من بعض الجوانب، وكلُّ يعرف أنّ لكلِّ عصر نظرة خاصة، وتصوراً خاصاً للظواهر، و كيفية خاصة للكشف عن أسرارها، والمنظور العربي يتميّز بلاشك في هذه العلوم اللسانية، عن المنظور الغربي الحديث، ثمّ لا بدّ أن نعرف أنّ الكثير ممّا هو موجود عند الغربيين، ورثوه عن الحضارة اليونانية.»² قومية ومرجعية.

فتراثنا العربي اللغوي، زاخر كما قلنا ومتنوع المصادر، وغني بالمعرفة النظرية كان حرّي بنا تقديم عدّة نماذج تمثل الإنجاز العربي المبهّر، في مجال تأصيل نظريات اللغة، وعلوم النحو و المنطق وغيرها، قبل أن يدرك ذلك الدرس اللساني الغربي الحديث بقرون طويلة، وهذا ممّا ينبغي أن يعتمد كمرجعية تُبلغ للأجيال العربية.

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربي الجامع بين التماسك والتنوع والتعدد، جامعة محمد الخامس المغرب، (ب ت ن)

² - عبد الحرمان حاج صالح، السّماع اللّغوي عند العرب، ومفهوم الفصاحة، ص: 08

4- المبحث الرابع: النظرية اللغوية ونماذجها في التراث العربي:

لقد بينا سلفاً جوانب من الثراء الفكري، الذي تميّز به تراثنا اللغوي على مر قرونٍ من زمن الحضارة العربية، وتطرقنا للعديد من الجهود التي قام بها فطاحلة اللغة العرب، وسنركز الاهتمام في هذا المبحث، على تقديم مقارنة مفاهيمية تُعنى بنماذج من النظرية اللغوية العربية، وما يقابلها في اللغويات الغربية، أو فنقل اللسانيات الغربية، كونها أكثر مناسبة من مصطلح اللغويات، على عدّة مستويات مهمّة (كالنحو والصرف والدلالة ... وغيرها).

لذا سنسلط الضوء على مقومات النظرية اللغوية، بهدف استظهار مكان القوة التي انفردت بها اللغة العربية عن اللغات الحية، في مناحي كثيرة قد يجهلها القارئ المعاصر، ويغفل عنها الباحث المبتدئ، في ظل تداخل القضايا اللسانية الحديثة، كقضية التأثير، والتأثير وغيرها من الإشكالات التي سنتطرق لها، لكونها من أولويات هذا البحث.

وعليه سوف نقدّم بعضاً من هذه النماذج، الدالة على تجذّر النظرية اللغوية في التراث العربي، من خلال ما أطلعنا عليه من مصادر، وما توفر من دراسات في هذا الشأن، وأول ما وقع عليه الاختيار من هذه النماذج هو: (نظرية المشترك اللفظي) نظراً لتمثلاتها، ومبادئها التأصيلية في اللغة، وتقاربها بما يماثلها في الفكر اللغوي الغربي.

4-1 نظرية المشترك اللفظي في التراث العربي:

لا ريب أنّ دراسة المعنى هي جوهر البحث في أي لغة من اللغات، وإذا كانت اللغة العربية غنيّة بتراثها وقوة معانيها، لما لها من خصائص منفردة، لم تمتلكها لغةً على المعمورة غيرها، جاز لنا القول أنّ علماءنا القدامى، قد تحدّثوا عن علاقة المعنى بالمبنى، وفضّلوا الحديث عن علم الدلالة، التي تمثل ما يصطلح عليه عند جمهور علماء اللغة، بالمشترك اللغوي أو اللفظي - Homonymy.

الذي يعدُّ « علامة واضحة في لغتنا؛ وهو بكثرته خصيصة لها، وعامل من عوامل تنميتها. وقد تنبّه العلماء له، وأشاروا إلى شواهد، والمعاني التي تدور ألفاظه حولها، وحاول بعض العلماء نفيه، وتنزيه لغتنا عنه وتأولوا ما ورد من أمثله. وجلُّ أئمة اللغة على إثباته، وأثبت المحدثون أنه واردٌ في معظم اللغات الأخرى.»¹ كاللغات السامية ونحوها.

فالاشتراك عكس الترادف إذ يشمل في ضمنياته: المشترك، والمتضاد، والمتداخل، والمتسلسل، ولعلّ فطنة العرب جعلتهم يصفون كل حال من الأحوال بلفظه، الذي هو عليه، وهذا عمل عبقرى: « فيقال لولد الظبية حين تضعه، طلاً، وإذا قوى فهو شادنٌ، ثم خشف، ثم رشاً، ثم شصر حين يطلعُ قرناه، ثم غزال، فإذا طال قرناه، وافترقا، فهو أشعب.»² وهذا يدل على الغنى المفرداتي الذي اتسمت به العربية.

لا شك أنّ هذا التفصيل، والترتيب اللفظي، يدلُّ على استبصار العرب بمعاني الأسماء والمسميات، وتداولهم لما يتعدّد من اشتراك بين الألفاظ، بأسلوب يقرب المعنى اللفظي للسامع، في حدود ذهنية توسع مداركه، وتزيد من رصيده اللغوي.

فالمشترك اللفظي في الاصطلاح، يمثل ظاهرة لغوية تتعدّد فيها دلالات المعنى، وقد عرّفه أهل الأصول: « بأنّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة.»³

¹ - توفيق مُجد شاهين، المشترك اللغوي نظريّةً وتطبيقاً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1980، ص: 15

² - شرح الجاهليات لابن الأنباري، ص: 520

³ - لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر، ص 141

⁴ - الصّاحبي في فقه اللغة/ لابن فارس

ذلك أنّ التصور العام عندهم للفظ أنّه متعدّد الدلالات، ويحتمل أكثر من معنيين على حسب الحال الذي تموضع فيه، والمقصود بالاشتراك « أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر.»⁴

كدلالة لفظ (العين) على الباصرة، وعلى الجاسوس، والبئر، وكدلالة لفظ (الحال) على أخ الأم، والشامة في الوجه والسحاب.¹

وعرّفه سيويه قائلاً: «اعلم أنّ كلامهم اختلاف اللفظين لا اختلاف المعنيين، واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين، والمعنى واحد، واتفاق اللفظين و المعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... واتفاق اللفظين والمعنى مختلف، قولك: وجدتُ عليه من الموجدة، و وجدتُ إذا أردتُ وجدان الضّالة، وأشباهُ هذا كثير»² في العربية.

وهذا القول هو إشارة واضحة على مقدرة سيويه على تحليل المسائل اللغوية ببراعة، ووصفه للاشتراك اللفظي، وتمثّلاته مع المعنى المراد من خلال تعدّد صورته الدلالية، داخل تركيب وسياقات الكلام.

كما تحدّث ابن فارس (395هـ)، عن المشترك اللفظي، وعرّفه بالقول: « ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا: عين الماء وعين المال، وعين الركبة وعين الميزان...»³ والشواهد في هذا الباب لا متناهية.

¹ - لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر، ص 141.

² - أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح، عبد السلام مُجدّ هارون المجلد الأول، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (دس)، ص: 24

³ - الصاحبي، ص: 327

وقد خصص باباً في كتابه (الصاحبي)، عرّف فيه المشترك، وضمّنه شواهد من القرآن الكريم، فقال: « معنى الاشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله تعالى جلّ ثناؤه ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ (سورة طه: الآية 39) فقوله ((فَلْيُلْقِهِ)) مشترك بين الخبر والأمر، كأنّه قال: فاقدفيه في اليم يلقيه اليم، ومحمّلٌ أن يكون اليم أمر بإلقائه... ومن الباب قوله:

﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (سورة المدثر: الآية 74)، فهذا مشترك محتملٌ أن يكون لله جلّ ثناؤه؛ لأنّه انفرّد بخلقه، ومحمّلٌ أن يكون: خلقتُه وحيداً وفريداً من ماله وولده.¹

ثم إنّ الملاحظ على قول ابن فارس، أنّه توسّع في مصطلح الاشتراك؛ فنقله من الألفاظ إلى إطار الأساليب والتراكيب، ومثّل لذلك من خلال ما رأينا في المثالين السابقين، الأول : الاشتراك بين أسلوب الخبر وأسلوب الأمر، والثاني: الاشتراك بين تركيب الحال من الفاعل، والحال من المفعول، وهذا إبداع وتحليل نحوي بارع.²

من المهم أن نجد في أغلب المصادر العربية القديمة، التي تحدّثت عن المشترك اللفظي، أنّه يقوم على اتّحاد اللفظ، وتعدّد المعاني فقط، دون قيود، أو شروط، ويتجلى ذلك من خلال استقراء بعض الشواهد التي ذكرها كراع التّم (ت310هـ)* في مصنّفه (المنجد)، فهو على سبيل المثال لا يشترط الدلالة الحقيقية، ولا يفصل عنها المجاز في معاني المشترك من الألفاظ، فيصح عنده أن

¹ - المرجع نفسه، ص: 45

² - ينظر: مُجَدُّ نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين التّظريّة والتّطبيق، دار الفكر المعاصر، دمشق سوريا، ط1، 1419هـ-1999م، ص: 30

³ - ينظر: المنجد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي)، تأليف: أبي الحسن على بن الحسن الهنائي، المشهور بكراع النمل، ، تح: أحمد مختار وضاحي عبد الباقي، ط2، 1988، عالم الكتب، القاهرة، ص : 254

يكون لفظ (الطلّ) من المشترك؛ لدلالته على المطر الخفيف، والرجل الكبير في السن، والعجوز والمرأة.³

على الرغم من أنّ بعض كتب اللغة، تحدّثت عن الخلاف الذي وقع بين العلماء، في إثبات وجود المشترك من عدمه، غير أنّ الرعيل الأول من علماء اللغة قد أثبتته، وضربوا له الشواهد كما رأينا في مصنّفاتهم، ومنهم الخليل، وتلميذه سيبويه، وحتى المتأخرين منهم كالمبرد، والثعالبي، وأبو عبيدة وغيرهم.

ويدعم هذا الرأي ما قاله أبو زيد الأنصاري: «أنّ المشترك قد ثبت وروده في اللغة، لكنه لم ينصّ على ذلك، ولم يناقش المشترك في معناه، وكتفى بسرد الأمثلة.»¹ دون الخوض في مسألة الإثبات من عدمه.

وهذا دليل على فطنة العرب القدامى، في فهمهم للمدلول اللغوي واللفظي، بدءاً من البيئة البسيطة التي كانوا يتداولون فيها استعمال الألفاظ، وفهم المعاني، ونظائرها من سياق أحوال الكلام، والخطاب داخل اللغة.

لأنّ «فهم المنهج العربي في أي علم من العلوم العربية التراثية، ينبغي أن يُلتَمَسَ من داخل الحياة العقلية العربية، ومن خلال المناخ العقلي العام الذي نشأ، وتطور، وتأسّص في ظلّ القراءان. فمن المعلوم أن المفكرين المسلمين بدأوا بما هو عملي، قبل أن يصلوا إلى وضع "منهج نظري" لكلّ فرع

* - وقد اشتهر بهذا الاسم، كُراع النَّمْل لدمامته وقيل لقصره، سكن مصر وأخذ علم اللغة عن أهل الكوفة والبصرة، ولم يكن كُراع النَّمْل واسع الثقافة متعدد المعارف على عادة علماء عصره، وإنما قصر نفسه على الدراسات اللغوية وفقه اللغة والمعاجم. اسم كُراع النَّمْل وأسماء مؤلفاته يتردد عشرات المرات في أمهات كتب اللغة، كالحكم ولسان العرب، وكثيراً ما تقف الرواية عند كُراع النَّمْل، ويكون هو أعلى مصدر لها تُنسب إليه، وكتابه المنتخب لا يقل شأنًا عن مصنف أبي عبيد الذي قضى في تصنيفه أربعين سنة، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه اشتمل على مفردات بمعان مروية عن كُراع النَّمْل في كتب اللغة، ويدل هذا على أنه يُعد مصدرًا من مصادر اللغة الأولى

¹ - أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة،: 141

من فروع البحث، وكانت مثلاً- قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض، أسبق من وضع كتب تحدّد منهج القراءات..»¹ وأحكامها.

وما يدعوننا للتدبر أكثر في فهم الجوانب الحياتية للبيئة العربية، التي نشأ فيها التراث فهماً علمياً دون إهمال، أو تحريف القواعد والأصول، التي لطالما حرص اللغويون العرب على تعييدها، وهذا مطلب مشروع، وموضوعي من مطالب دعاة لسانيات التراث كما أسلفنا، وما يدلُّ على مستوى التعيد والتأصيل في قواعد النظرية اللغوية، والنحوية على وجه الخصوص قولهم على أنه «كلّما كان الإضمار أقل كان أولى.»² للمعنى داخل التركيب.

ومّا يثبت وجود مصطلح النظرية، في الفكر اللغوي العربي أيضاً، هو ما تحدّث عنه العلماء المتأخرين، من ظواهر حول اللغة، وتجسّدت فيما تركه علماءنا من مؤلفات لغوية في النحو والبلاغة، والأدب، وعلوم اللغة، وغيرها من المفاهيم التي نراها اليوم في نظريات علم اللسان الحديث، ولعلّنا نستحضر هنا ما يسمى ب(نظرية النّظم) عند عبد القاهر الجرجاني (400-471هـ). التي تعدُّ بحق عملاً، يستحقُّ الدّراسة والتنظير على كافة الموضوعات، التي تعالجها اللّسانيات العربية.

4-2- نظرية النّظم تفوق لغوي ومرجعية في الفكر العربي:

لا ريب أنّ مفهوم النّظم عند العرب ارتبط بمفهوم الكلام، والحقيقة حسب العديّد من النّقاد اللّغويين، أنّ الجاحظ يعدُّ أوّل من أورد مصطلح النّظم، و وضع الأسس البيانية التي يقوم عليها المفهوم، محدّداً بذلك معالم المذهب الاعتزالي في الإعجاز القرآني، وهذا موقف جاء في خضم ردّه

¹ - علي سامي النّشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص: 31

² - ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا، مصر: الهيئة العامة

المصرية للكتاب، 11969-197م، ص: 315

على أصحاب من أنكروا إعجاز القرآن بنظمه، كما ردّ على أصحاب المعاني الذين يذهبون إلى قياس الجمالية الشعرية، وقد أبان على القيم الفنيّة التي تعود إلى جمال الصياغة، والتلاؤم اللفظي، والانسجام الصوّتي، والبديع وغيرها من المسائل المرتبطة بمفهوم النظم.¹

لذلك يفسّر في الغالب، على أنّه تعليق الكلم بعضها ببعض، حيث يقول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجها التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخل بشيءٍ منها.»²

ويقصد الجرجاني في شرحه للنظم، ما يترتب عن تأليف الكلام، وفق ما يقتضيه علم النّحو، حتى يكون في موضعه الذي أراده من تكلم، على نهج سليم صحيح.

يتناول الدكتور مُجّد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث) قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر حيث يرى أنّه: «قام في هذا الباب بجهد عظيم الخطر، فهو يقصد بالنظم ما يطلق عليه الغربيون علم التراكيب (syntax)، وهو عندهم أهم أجزاء النّحو، ويعرفه عبد القاهر بأنه: وضع "كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو.»³

لأنّ ما يرتبط بالجانب الدلالي لأصول النّحو، هو تجسيد للنظم، داخل التركيب الكلامي، لكون الدلالة عنده هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول.⁴

¹ - ينظر: حاتم أبو زيد: مقدّمة في الأصول الفكرية والبلاغية وإعجاز القرآن، دار الأمان الرباط، ص: 53

² - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 55

³ - مُجّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 268، دار الثقافة، بيروت، ص: 277

⁴ - الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط03، 2009م، ص: 108

عرفَ هذا الفن عند اليونان من خلال ما كتبه أرسطو عن (الخطابة)، كما تحدّثت عن ذلك كتب الهنود، ويظهر ذلك في مصنّفي (البيان والتبيين) للجاحظ و (الصحيفة الهندية) وما جاء فيها من أصولٍ تتصلُّ بالخطيب وأصول الكلام، وصفاته، وما ذكره البيروني وغيره. تطورت فكرة النّظم، قبل عصر الجرجاني واعتبر أنذاك (النّظم) انتظام الألفاظ بعضها ببعض، وفق نظام دقيق، وتآلف معانيها، وصدق تصوراتها.

كما عرفه ابن قتيبة (ت276هـ) قائلاً: «النّظم بمعنى سبك الألفاظ، وضم بعضها إلى بعض في تأليف دقيق بينها، وبين المعاني فيجريان معاً في سلاسة، وعذوبة كالجداول، لا تعثر ولا كلفة، ولا حوش في اللفظ، ولا زيادة أو فضول.»¹ ومفرده فضلة، وهو الزائد من الحرف.

كما يعدُّ الرّماني أحد أشهر العلماء، الذين تناولوا مسألة الإعجاز والنظم، في القرن الرابع للهجرة، ويتجلى هذا في مصنّفه (النكت في إعجاز القرآن) مشيراً إليه بمصطلح التأليف - (Authoring) في قوله: «دلالة الأسماء والصّفات متناهية، أمّا دلالة التأليف فليس له نهاية، كما أنّ الممكن من العدد ليس له نهاية يقف عندها.»²

ومن العوامل التي ساعدت على نضوج فكرة النّظم، اهتمام العرب بدراسة القرآن الكريم، وقد تحدّث عن ذلك علماء كثر أمثال «أبو سليمان أحمد بن مُحمّد الخطابي المتوفي سنة (388هـ) من أنّ القرآن صارَ معجزاً، لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، و في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني،

1 - مُحمّد زغلول، أثر القرآن على النقد العربي، ص: 108

2 - علي عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: مُحمّد خلف الله، ومُحمّد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت)

ورأى أنّ سرّاً من أسرار الإعجاز أيضاً، هو ذلك الجمع بين المعاني الرائعة، والموضوعات المختلفة إلى ذلك النّظم البديع، والتألف الملائم¹ للبنية الكلامية.

فهذا التطور الذي رافق نظرية النّظم، هو نتاج ما اكتسبه الجرجاني من علوم سابقة، كالنحو والبلاغة وغيرها، خاصةً اطلاعه على أعمال (سيبويه والباقلاني) وغيرهم، ويؤكد صحة هذا الدكتور أحمد مندور قائلاً: ومن المؤكد أنّ ما كتبه النّحاة العرب منذ سيبويه شيء يفوق الحصر، وأنّ عبد القادر أفاد ممّا كتبه إفادةً كبرى، في دراسته التي انتهت به إلى وضع نظريته في المعاني الإضافية، وصور الآراء النّحوية للكلام، أو بعبارة أخرى في النّظم، والخواص التركيبية للعبارة.²

لأنّ ما أراه الجرجاني من هذا المنهج، هو تأليف الكلام على الدقة التي تقتضيها القاعدة النّحوية، والوضع الذي يتطلبه المعنى، وهذا في حدّ ذاته يعدّ مستوى علمي، متقدّم في مجال العلم بالنظرية، وأساسياتها وفق المنظور الحديث.

يمكن أن نورد جملةً من الأمثلة المتعلقة بمصطلح النّظم، وموضوعه، وأوجهه داخل بنية الكلام، فنرى أوجه الخبر، على سبيل المثال فيما يلي:

فقولك: ((زيدٌ ذاهبٌ)) و ((زيدٌ يذهبٌ)) و ((ويذهبُ زيدٌ)) و ((و ذاهبٌ زيدٌ))

و ((زيدٌ الذاهب)) و ((الذاهبُ زيدٌ)) و ((و زيدٌ هو الذاهب)) و ((زيدٌ هو ذاهب))

فالخبر هنا يتعدّد من حال إلى حال، حسب موضعه، وحسب قصد القائل من وراء إيراده.

¹ - وليد مُجدّ مراد، نظرية النّظم وقيمتها العلمية في الدّراسات اللغوية، عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1، 1983م، ص: 60

² - ينظر: مُجدّ مندور: الميزان الجديد، ص: 174، وأحمد مطلوب، القزويني، ص: 212-213، وأيضاً شوقي ضيف، البلاغة تطورها وتاريخها، ص: 169

أما إذا جاء الكلام على صيغة الجزاء، والشرط كقول القائل:

((إن تخرج أخرج)) و ((خرجت - خرجت)) و ((وإن تخرج فأنا خارج)) و ((أنا خارج إن خرجت)) و ((وأنا إن خرجت خارج))

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك:

((جاءني أحمد مسرعاً)) و ((جاء يسرع)) و ((جاءني وهو مسرع، أو هو يسرع)) و ((جاءني وقد أسرع)) فيعرفُ لذلك موضعه فيأتي به حيث يطلبه سياق المعنى والقصد.¹

يشير الجرجاني إلى مفهومي نحويين في تأصيل نظريته، هما المسند والمسند إليه، في الجملة إضافة إلى التقديم، والتأخير، والحذف، وهذه المسائل التي تحدت عنها في (دلائل الإعجاز)، وهو مصنف يعد مرجعية هامة، يستقي منها الباحثون في علوم البلاغة، و من يشتغلون بنظريات الكلام في علم اللسان الحديث، الفائدة الكبرى، والقواعد المهمة، التي لا يوجد لها نظير، في الفكر الغربي من حيث الأصالة والتفرد.

لأنّ القواعد النظرية التي وضعها العرب، انطلقت من تدريبات علمية، وتجارب على اللغة، حتى أنّ ابن فارس يقول: « من سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة في مثل قولهم: جذب وجبذ وبكل ولبك بمعنى خلطاً.»² فهذا الإبداع لم يأتي من فراغ؛ بل كان نتاج بحث وتمحيص معرفي عربي بحت، بعيداً عن كلّ مغالطات، أو تكلف، حتى وإن لم يأتروا ما أبدعوا؛ بالتصّور النظري المعياري الحديث، إلاّ أنّهم حدّدوا أعمالهم، وفق شروط، ومخرجات أصيلة، في تنظيرهم اللغوي للمفاهيم التي كانت تتداول بينهم بشكل يومي.

¹ - ينظر: وليد مجّد مراد، نظرية النّظم وقيمتها العلمية في الدّراسات اللغوية، عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1،

1983م، ص: 64

² - ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشومري، بيروت، 1963م، ص: 329

في تصوري أنّ من ضمن الشروط التي وضعوها لغاية التنظير - Theorizing، أثناء استنباطهم للقواعد اللغوية (اللهجات - والشاذ عن القواعد وغيرها)، هي: « العموم، والتجريد والاكتمال والبساطة والاتساق العام والكفاية في وصف اللغات، وصلاحيتها للتطبيق على أكبر قطاع من اللغات. »¹

وهذه الشروط العلمية، هي بمثابة المحدّات التي توجه التنظير، وتتحكم في مقومات النظرية؛ فاللغويين العرب طبقوا هذه الشروط، حين قابلوا بين جملة من العلوم، كعلم الأصوات والصرف والنحو من جهة، وبين علمي الدلالة والمعجم من جهة أخرى، على مقوم أساسي تمثّل في قيام الأنظمة، في الأولى وغيابها عن الثانية، وإن تأملنا هذا الإبداع، جاز لنا القول أنّ العرب مارسوا التنظير، بمنهج علمي سديد وموضوعي.

3-4 المحتوى التراثي العربي بين أزمة المنهج وحادثة النظريات:

لا ريب أنّ اللسانيات العربية، وفق واقعها الراهن تعاني من صدام، مع الفكر الغربي، الذي بدأت ملامحه تتجلى مع المذهب البنيوي، وتطورت نظرياته مع المدرسة التوليدية والتوزيعية وغيرها، من المذاهب اللسانية الحديثة، وقد أدى ذلك إلى انقسام في منهج التعامل مع هذه النظريات، سواء على مستوى التلقي، أو حتى على مستوى الفهم والإدراك الصحيح لهذه النظريات، وعلى الرغم من كلّ هذا الصدام والعجز العلمي، الذي أصبح يعطلّ تطور منهج الدرس اللساني العربي، إلّا أنّ هناك مبادرات وجهود عربية ناجحة، اتخذت منهجاً سديداً ورؤيةً جلية، في التعامل مع قضية التراث والحداثة وغيرها من مسائل التلقي.

¹ - مُجّد عبد العزيز عبد الدّائم، النظرية اللغوية في التراث العربي دار السّلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، لصاحبها عبد

القادر محمود البكار، ط 1-2006م، ص: 22

شكل البحث في التراث العربي، اختلاف المحدثين، في الرؤى بين من يرى بضرورة إعادة تمحيصه، وفهم مظانه من جهة، ومن جهة أخرى موقف مغاير يرى بربطه ودمجه بما وصلت إليه اللسانيات الغربية من نظريات حديثة، وبين هذا وذاك هناك من دعا إلى عدم التفريط في التراث، وضرورة دراسته، والتعمق فيه بآليات العلم الحديث، لأنّ اللسانيات فكر أشمل من الفكر اللغوي القديم، فهي لم تنفصل عنه فقط ولكنها احتوته، وهذا ما يفرض علينا إعادة فهم، وتنظير للتراث وهذا ما دأب عليه عبد الرحمان حاج صالح، وآخرون أمثال تمام حسان و عبد القادر الفاسي الفهري.¹

فالتراث في نظر هؤلاء: «دعامة لبناء المستقبل، لا تجديد ولا تحديث بدأ من الصفر؛ بل لا بد من الانتظام في عمل سابق أعني في التراث.»²

ثم إنّ تناول تراثنا اللغوي، لا يمكن أن ينظر إليه من زاوية ضيقة، أو يدرس بحجة إخراجه من المنهج التقليدي إلى المنهج العصري الغربي، وفي هذا الصدد يقول عبد السلام المسدي: « إنّ مقولة التراث عند عامة المفكرين العرب تسندُ إلى مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز، وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر والمتميّز، فلا غرابة أن تعدّ قراءة التراث تأسيساً للمستقبل على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب.»³

كما أنّ مسألة إعادة قراءة التراث اللغوي، من خلال ما وصل إلينا من جهود عملية ليست بالهينة؛ لأنّها تحتاج إلى منهج حكيم وموضوعي، يراعي دقة النظر، في مختلف المسائل الخلافية، لعلوم اللغة والتحو، خاصة في العصر العباسي، الذي يمثل ذروة تفعيد العلوم اللسانية للعربية، التي

¹ - ينظر: مصطفى غلفان، قراءات معاصرة في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث، 2019، ص: 146

² - مجّد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986م، ص: 569

³ - مباحث تأسيسية في اللسانيات، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص: 25

مهدت فيما بعد لكل ما لحقنا من علوم اللغة، (التحو والصرف وعلوم الصوت والدلالة وغيرها)، وما تفرّع عن ذلك من تخصصات.

فمن الطبيعي أن يلمس الباحث حين يتصفح، تاريخ تراثنا تلك الاختلافات في الآراء التحوية المشهورة وأحكامها، والسبب في ذلك، أنّها كانت نابعة من الفرق، والاتجاهات العلمية، التي طرحتها مدرستا الكوفة والبصرة، وتلتها بعد ذلك عدّة مذاهب كالبغدادية، والأندلسية والقاهرية، فلكل فريق مرجعيته في بناء أحكامه، وقواعده، من منطلق البيئة اللغوية المحيطة به، حتّى أنّنا نجد آنذاك كثيرٌ ممّن خالف رأيه فرقته، أو مذهبه بصرياً كان، أو كوفياً، أو غير ذلك.¹

من المهم أن نورد في هذا السياق، ملامح هذا التنافس العلمي، من خلال المناظرة الراقية والشهيرة، التي ذكرت في تاريخ التحو العربي، وقد قامت بين سيوييه والكسائي، فيما عرف عند المؤرخين اللغويين (بالمسألة الزنبورية)*، وقد ألّفت حولها أبيات رائعة، تصفها، يحفظها طلبة العلم ، وقد أوردها القرطاجاني في منظومته، التي اخترنا بعضاً منها حيث يقول :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذ * * * إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما

وربما نصبوا للحال بعد إذا * * * وربما رفعوا من بعدها ربما

فإن تولى ضميران اكتسى بهما * * * وجه الحقيقة من إشكاله غما

¹ - سميح أبو مغلي: في فقه اللغة العربية وقضايا العربية، عمان دار مجدلاوي، 1987، ص: 122

* - وهي مناظرة شهيرة كما أشرنا وسببت تسميتها بهذا الاسم: قال سيوييه: سل أنت، فقال له: هل يقال كنت أظن أنّ العرق أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو يقال مع ذلك فإذا هي إياها؟ فقال سيوييه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فسأله عن أمثال ذلك نحو: خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم، فقال: كته بالرفع، فقال الكسائي: العرب ترفع ذلك وتنصبه، واحتدم الخلاف بينهما طويلاً، فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هؤلاء العرب ببابك وفدت عليك من كل صقع، وقد قنع بهم أهل المصرين (أهل البصرة وأهل الكوفة) يحضرون ويسألون، فقال يحيى قد أنصفت، واستدعاهم، فتابعوا الكسائي، وقالوا بقوله، فأقبل الكسائي على سيوييه، وقال له: قد تسمع أيها الرجل! فاستكان سيوييه عند ذلك وانقبض خاطره، فقال الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير، إنه قدم إليك راغباً فإن أردت أن لا ترده خائباً، فرق له يحيى وجبر كسره، إذ أمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصيّر وجهه إلى فارس فأقام هناك حتى مات، ولم يعد إلى البصرة. للتفصيل أكثر: كتاب نشأة التحو وتاريخ أهر النحاة، الطنطاوي. دار المعارف للنشر، 1995.

لذلك أعييت على الأفهام مسألة * * * أهدت إلى سيبويه الحتف والعمما

قد كانت العقرب العوجاء أحسبها * * * قدما أشد من الزنبور وقع حُما

حيث شهدت هذه المناظرة خيبة أمل سيبويه، بعد أن استعان الكسائي بعرب الحطيمة «الذين كان الكسائي يأخذ بلغتهم واستنبط منها، ومن أمثالهم أقيسته، وأحكامه في تجويز بعض الظواهر النحوية من مّا لم يكن من منهج سيبويه، وأشياخه، والأخذ بها وإمّا أخذوا عن العرب الخالص الفصحاء، الذين نزل بلغتهم القرآن وهكذا كُتب لسيبويه أن يعود من حيث أتى.»¹ والحقيقة أنّ التنافس بين النحاة البصريين والكوفيين لم يكن موجوداً « في عهد الخليل وأبي جعفر إلاّ بصرياً كما قيل، أو تعلم على معاهد البصرة (...) وأكبر الظنّ أنّ التنافس بين النحاة البصريين ظهر في عهد الكسائي، وسيبويه بعد وفاة الخليل، وكان هناك من الأسباب ما حمل الكسائي على مخاصمة سيبويه، وأقواها: خوفه أن يتقرب سيبويه أو غيره من البصريين، من السلطان فيفقد الخطوة لديه.»¹ والباحث حين يمعن النظر، فيما حدث من خلاف بين الكوفيين والبصريين في مثل هذه المسائل اللغوية، يدرك أنّ هناك جوانب إيجابية لهذا التنافس، فيلتقيان فيه بالتوافق تارة، والتباين تارة أخرى.

ذلك أنّ المناظرة طغت عليها نزعة الذاتية، والانتصار للموقف الشخصي المذهبي، وقد عرفت عند المؤرخين اللغويين ب(المسألة الزنبورية)، وشهدت خيبة أمل سيبويه بعد أن استعان الكسائي بعرب الحطيمة، «الذين كان الكسائي يأخذ بلغتهم ويستنبط منها ومن أمثالهم أقيسته وأحكامه في تجويز بعض الظواهر النحوية ممّا لم يكن من منهج سيبويه وأشياخه الأخذ بها، وإمّا لأخذوا عن

¹ - مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها، في دراسة اللغة والنحو، مكتبة ومطبعة البايع الحلي وأولاده، مصر، ط2،

العرب الخالص الفصحاء الذين نزل بلغتهم القرآن الكريم وهكذا كتب لسيبويه أن يعود من حيث أتى.¹ عالماً نحريراً.

على الرغم من النهاية المحزنة التي عايشها سيبويه في هذه المناظرة، إلا أن ذلك لم يزد إلا علواً في المنزلة العلمية، التي لم يحظى بها أقرانه، ومن كان ندأ له في ميدان البحث والتقصي، حتى أن عالماً كبيراً كأبي العباس المبرّد (210-286هـ) حين قصد التأليف في علم النحو، كان كتاب (المقتضب) يقترب في أسلوب تأليفه من مؤلف سيبويه، مع إختلاف طفيف في الترتيب والتوبيب.²

حتى أن هناك من المحدثين، من يرى تفوق سيبويه على تشومسكي، حين قال بضرورة موافقة المنطوق من الكلام، لما يقتضيه النحو في لغة معينة، بما يحقق اقتضاء دلالة الدلالة، في فهم سياق المعنى، الذي هو جزء منه، وهذا مبحث خاض فيه سيبويه، تفصيلاً وإيضاحاً في مؤلفه (الكتاب) وغيره.

لذا فإنّ العديد من المتتبعين، يرون أنه « وظّف في كتابه (الكتاب) المنهجين الوصفي والمعياري، ويتجلى المنهج الوصفي في وصفه للغات العرب وصور كلامهم، ومن أمثلة ذلك قوله: « وإمّا يدخلون الألف واللام" (الكتاب/2/198)، وقوله والدليل على ذلك أنّ العرب تقول: لا غلامين عندك، ولا غلامين فيها، وأثبتوا النون؛ لأنّ النون لا تحذف من الاسم الذي يجعل ما قبله أو ما بعد بمنزلة اسم واحد.»³ وهذا ثابت في أصول النحو.

على النقيض من ذلك يرى تمام حسّان، وهو من رواد الوصفيين العرب، قائلاً: أنّ « النحو العربي في بداياته لم يكن معيارياً خالصاً، بل كان ألصق ما يكون بالتنظير اللساني الحديث... وقد

1 - خديجة الحديثي، المدارس النحوية، مكتبة اللغة العربية، دار الأمل بغداد م،، إريد ط3 2001 ص: 197

2 - محمد عبد العزيز الدائم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار عبد السلام للطباعة والنشر، ط1، 2006م

3 - حمزة المريني، مرجعات لسانية، ج2، كتاب الرياض، ع75، فبراير/2000م، ص: 303

اكتشف المتخصصون في اللسانيات الحديثة، وبخاصة في إطار اللسانيات التوليدية، هذا الغنى النظري في النحو العربي المبكر، وهو ما دعا هؤلاء إلى القول بأنّ النحو العربي في صورته تلك يتشابه مع الدراسات اللسانية الحديثة، إن لم يتماثل معها، في الأهداف وفي طريقة البحث والوصف والتفسير.¹ وقد يكون هذا الموقف، أقرب إلى الموضوعية، لأنّه في اعتقادي دعوة إلى أن تكون للغة، حاجة إلى منهج مستقل بكيانه العلمي.

ومن الصعوبات التي واجهت الباحثين اللسانيين العرب، مشكلة اللغة العلمية، والمصطلحات، وذلك بسبب ما أصاب المفاهيم والمصطلحات، من تشتت دلالي ومعنوي، فأضحت مجرد مدلولات. تحتاج إلى إعادة نظر وفهم، منهجي لاسقاطها على البحث العلمي، حيث يعلّق على هذه المسألة حاج صالح بالقول: أنّ « أهم الأخطاء المنهجية الشائعة اليوم في الأوساط العلمية العربية، تنوزع في هذه الآونة على نوعين من البيئات: البيئة التقليدية التي حافظت على التقاليد الدراسية، والبيئة التجديدية التي نشأت عن احتكاك العرب بالحضارة الغربية الحديثة.»²

ذلك أنّ « انتقال المنهج الوصفي للدرس العربي لم يراعي فيه أصحابه خصوصية التراث العربي، فما عيب على النحو الأوروبي لبسه النحو العربي فقط لكونه نحواً قديماً في نظر أهله، لأن بعض الباحثين العرب ساروا على خطى الوصفيين من الغربيين فسلموا بأن ما صح من نقد الأوروبيين لنحوهم التقليدي ينسحب أيضاً على النحو العربي.»³ الذي يزخر بالموارد المعرفية، ويمثّل أرقى المراحل من تاريخ الحضارة الإنسانية، خاصة ما تعلق بالظاهرة اللغوية، من المفاهيم والنظريات، التي أصّلت ومهدت السبيل لميلاد العلوم اللغوية، على اختلاف مستوياتها الفكرية والمعرفية.

¹ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2000م، ص: 22

² - الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، (دون ط)، 2007، ص 16.

³ - جلول تهماي، ربط النحو بالمنهج الحديثة، مدونة اللسان السابع، رابط المدونة على الشابكة:

بناءً على ما سبق، في حيثيات هذا الفصل، ندرك أنّ تحليل المنهج المتبع في خلق نظرية معينة، يفرض إمكانية التحقق، من بعض المرجعيات التي استندت إليها النظرية في حدّ ذاتها، سواء كانت نسقاً، أو رؤى، أو نظاماً، ولعلّ تراثنا العربي غنيّ بنماذج من المفاهيم العلمية، كالتحليل، والتصنيف، والاستقراء، والاستنباط، والمماثلة، وغيرها ممّا لا يحصى، من الأدوات التي تقوم عليها النظرية كمصطلح علمي معاصر، يثبت لا محالة أهمية ما تركه علماءنا، من آليات ومناهج تستحق أن تدرس، ويعاد فهمها وتحديثها، إن أردنا حقاً إيجاد بدائل علمية تخدم العربية، وتحقق انسجامها، وأرى أنّه لولا وجود التنظير، الذي يكون بمفهوم التخطيط، لبناء استراتيجيات حديثة، لما تعدّدت نظريات المعرفة الإنسانية.

أمّا عن علاقة المصطلح بالعلوم اللغوية، فهو كما أسلفنا يحتاج إلى فهم واسع، لما ينبغي أن ينظر، دون تناول جانب من دراسة اللغة، على حساب جانب آخر، بنظرة ضيقة، ومتحيّزة لموقف معين، أو محاولة دحض أفكار بجهة عدم ملائمتها، لمتغيرات الظاهرة اللغوية، وسنعكف على مناقشة أهمّ أزمات اللسانيات العربية المعاصرة، وتطلعاتها، وأفاق الإنتاج اللساني العربي، وتقاطعها مع النظريات اللسانية الغربية، مع إبراز مكان هذا التقاطع، والتوافق في الفصل الثاني من هذا البحث.

الفصل الثاني: قراءة في أسس

المحتوى الإستمولوجي

للسانيات العامة للسانيات

-توطئة:

قد يبدو من البديهي أن يتصفح الباحث اللغوي العربي، الإنتاج العلمي للسانيات المعاصرة، ولكنه سرعان ما سيدرك حجم الغموض، الذي يتلازم مع المحتوى الفكري لهذا العلم، عبر عقود من الماضي التاريخي له، ولعلّ هذا ما يصنع الفضول لديه في البحث، والاستكشاف عن خبايا علم، قد بدأت مفاهيمه الحديثة، وتصوّراتها تروّج وتنتشر في البلدان العربية.

بالرجوع إلى تاريخ هذا العلم المستحدث، نلمس محاولة التجديد للمنظور التاريخي الذي ساد الدراسات اللغوية والأدبية، حيث بدأ الناس آنذاك ولاسيما علماء اللغة، يتساءلون عن جدوى هذه المفاهيم، التي وعلى الرغم من كثرتها لم يطلع بعد على تطورها، نظراً لكثرة الآراء والمذاهب التي أثارها، من خلال نظرياتها، ومواقف كل مذهب حول اللغة، وسبب هيمنة مذهب على مذهب جديد، وما الذي ثبت من أسس، وأبجديات بعد هذا التجدد. ثمّ أنّ أهم سؤال يُطرح إزاء هذا الأمر الطارئ، هو ما شأن العلوم اللغوية في الآونة الأخيرة؟ وهل تأثيرها على المثقفين العرب يعتبر مستأً بالأصالة والتراث العربيين؟¹

¹ - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء 1، موفم للنشر - الجزائر 2012، ص: 11

1-المبحث الأول: السياق التاريخي لنشأة الفكر اللساني:

يحلينا الموقف العلمي الذي طرحه البروفيسور حاج صالح، عن نشأة اللسانيات العربية، في مؤلفه (بحوث ودراسات في اللسانيات العربية) تحديداً الجزء الأول منه، إلى إدراك حقيقة مفادها ارتباط اللسانيات بالسياق التاريخي للدراسات الأدبية واللغوية، هذا الارتباط الذي رافق هذه النشأة من جهة، ومن جهة أخرى ما نتج عن ذلك من مذاهب، وتيارات تأثر بها على وجه الخصوص علماء اللغة العرب، ردها من الزمن.

لأنهم وجدوا أنفسهم محاطين بمفاهيم جديدة و مستحدثة، أثارت نوعاً من الحيرة في أذهانهم، حول منهج التعامل معها، حتى أنّ النقاد اللغويين والمتتبعين لميدان الدراسات اللغوية، أضحوا أمام ظاهرة، وعلم غربيين أحداثاً قطيعةً، في الفكر اللغوي العربي على مر عقود، فأضحت اللسانيات «ذلك المجهول الذي يثير فينا ريباً وشكاً وتوجساً وخوفاً، مما يثير فينا- ولو فوضولياً- لمعرفة موقفنا من واقع الثقافة والعلم، والمعرفة في العالم.»¹

وبالتالي كان لابد في دراستنا هذه، من البحث عن أسباب، وخلفيات نشوء هذا العلم الغري((اللسانيات))، والكشف عن مظاهر تقاطعه مع الفكر اللغوي العربي القديم، إضافة إلى تحليل أهم المرجعيات المشتركة والمتباينة.

إنّ الحديث عن قضايا اللغة، وماهيتها كان في البداية على شكل تأملات فلسفية، تمحورت كما قلنا في مدخل البحث، حول أصل، ونشأة اللغة، والأسبقية بين اللغة، أو الفكر، والعلاقة بين الدال، والمدلول، وأقسام الكلام، وغير ذلك من القضايا اللغوية.

¹ - منذر عياش، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1991، ص: 11

أمّا ظهور الدّراسات اللّغوية التي تبنت المنهج العلمي، فقد ظهرت عند الغرب أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والباحث المتتبع لهذا التطور، يلاحظ أنّ هناك علاقة وطيدة بين القدماء والمعاصرين، ودون شك هناك مسائل عاجلها الأوائل بطريقة وصفية، و موضوعية، مهدت الطريق لاحقاً لاستفادة علماء اللغة في العصر الحديث.¹

سنحاول في مطلع هذا الفصل التعرض، إلى أهم المتغيرات الفكرية، والعلمية التي رافقت السياق التاريخي لنشأة الفكر اللّساني، لأننا نمتلك « بين أيدينا اليوم زاداً ضخماً من المعارف المتعلقة بطبيعة الظاهرة اللّغوية، وبوظائفها.»² وتجلياتها العلمية.

وهو ما يستوجب الوقوف على جوانبه، ومناقشته لأجل تقديم قراءة دقيقة، لما يخدم البحث، دون أن تتسع هذه القراءة لتحيط بكل مراحلها، لأنّ ذلك قد يحتاج إلى عقود من التحقيق والبحث إن جاز الوصف؛ بقدر ما يكون التركيز على أهم الاتجاهات النظرية، التي طغت على الدّراسات اللّغوية الغربية.

إنّ نشأة اللّسانيات كعلم نهل من منابع الدّراسات القديمة، التي لا يمكنه بأي حال الاستغناء عنها، هو علم ترجع بداياته كما يرى بعض المؤرخين إلى « القرن الثامن عشر مع وليم جونز- William- Jones الذي لاحظ شبيهاً قوياً بين اللغة الإنجليزية من جهة، واللغات الآسيوية والأوروبية من جهة أخرى، بما في ذلك اللغة السنسكريتية-Sanskrit، وهو ما دعاه إلى استنتاج

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1-2005، ص:7

² - مدخل إلى اللّغويات التطبيقية، بيت كورد، تر: جمال صبري، مجلة اللّسان العربي، ع14، الرباط، 1976م، ص: 46

وجود صلة تاريخية، وأصل مشترك بينهما. وأدى ذلك إلى الاهتمام بالمنهج التأثيلي^{1*} -
étymologique الذي يتوسلُ به في معرفة الصلة بين اللغات، وتطوراتها التاريخية. «
وعلى هذا شكّلت المصنّفات والبحوث السابقة التي أجريت حول اللغة، مادةً خصبة انطلقت
منها اللسانيات العامة، في توصيف اللغة ووضع معايير* خاصة بمنهج البحث فيها، تندرج في
عمومها حول مصطلح علم اللسان-Linguistics.

لذا يمكن القول إنّ نشأة مصطلح اللسانيات كعلم غربي حديث، مستمدٌ في مبادئه النظرية من
صلب الدراسات اللغوية التاريخية السابقة. وبالحدّث عن مصطلحي (اللغة واللسان)؛ فإنّه ليس
بغريب عن علماءنا العرب، الذين تحدّثوا عن تصنيفاتهما، ومسائلهما ببراعة، وتفصيل، حتّى أنّ
الفارابي(260هـ/339هـ) تناول ذلك، بنظرة فلسفية موضوعية في تقسيمه لأصناف علم اللسان،
وهذا في اعتقادي يعدُّ منهجاً تنظيرياً، أسهم في بلورة المفهوم العلمي، الذي ينبغي أن ينتهجه، علم
اللسانيات الحديث، على اختلاف فروعه.¹

¹ - ينظر: الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق و تقديم عثمان أمين، القاهرة، ط 3، 1968.

* - المنهج التأثيلي: منهج عوّل عليه الكثير من اللغويين، ولاسيما في 19، حين وضع على أساس أمّتن، مما كان عليه قبل ذلك، وما زال
يستخدم حتى الآن، ويعدُّ فرعاً محترماً من اللسانيات التاريخية، أو التعاقبية لما له من أسس منهجية خاصة، تتوقف مصداقيتها على كمية الشواهد،
ونوعها التي يؤتى بها لتأييد تلك الأسس، وعلى الرغم من ذلك، فمما أصبح واضحاً للتأثيلين في القرن التاسع عشر، وسلم به اللسانيون عامة في
الوقت الحاضر، أنّ معظم الكلمات في معجم أية لغة لا يمكن أن تعزى إلى أصولها، وما يفعله التأثيليون الآن هو ربط كلمات لغة ما (في مرحلة
قابلة للوصف التزامني من مراحل اللغة)، للتفصيل أكثر يراجع: بحث د محمد محمد يونس علي، رابط المدونة الإلكترونية:

<http://outoftext.blogspot.com/2009/06/1.html>

* - المعايير الخاصة: تمثلت في النظرية البنوية التي جاء به ((دي سوسير Desessure))، والمعايير الوصفية التي أقرها في دراسة اللغة، ويمكن
الرجوع إلى كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، وهو كتاب أعده ((تشارلز بالي وألبرت سيشيهاي)) وهما تلاميذة دي سوسير وقد دونوا عدّة
ملاحظات حول المحاضرات التي ألقاها فرديناند دي سوسور في جامعة جنيف بين عامي 1906 و 1911م.

لأنّ الحديث عن مختلف الفروع التي اندرجت تحت هذا العلم الجديد؛ يحمل في ثناياه جدلاً واسعاً؛ نتيجة الخلط الاصطلاحي في وقتنا الحاضر بين فروع اللسانيات، واندماجها مع علوم وتخصّصات أخرى.

وكان لهذه الأحداث، الأثر الواضح على اللسانيات العربية، فاختلقت مذاهب الباحثين، وأهل اللغة منذ تلك المرحلة، وحتى عهدنا الحاضر. والواقع أننا «نشكو أزمة لغوية حادة على جميع الصعد تنظيراً وتعليماً، ونحواً ومعجماً، اسخداماً، وتوثيقاً إبداعاً ونقداً»¹ بما يحتاج إلى آليات جديدة للتنظير اللغوي.

يتجلى هذا اللبس في طريقة تعاملهم مع المصطلح اللساني الغربي، سواءً من ناحية الترجمة، أو من ناحية التوظيف المباشر داخل السياق اللغوي، للكتابات اللسانية العربية، ومردّد هذا لعدّة أسباب متشعبة سنعرض بعضاً منها، في ضمّيات هذا الفصل تفصيلاً وتحليلاً.

1-1- علم اللسانيات العامة (الأصل والمرجعية):

إنّ تاريخ الدّراسات اللغوية التي ظهرت في أوروبا، خلال القرن التاسع عشر الميلادي، اصطبغت بنزعات دينية، وفلسفية مختلفة. عرفت لاحقاً باصطلاح اللسانيات التاريخية - Historical Linguistics أو الفيلولوجيا - Philology. الأمر الذي جعل هذه الدّراسات تتباين؛ لأنّها انتقلت من المنهج المقارن إلى المنهج التاريخي، وكان لهذا الأثر الواضح على النّحاة المحدثين - Neo grammarian².

¹ - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، العدد،/265، ص: 236

² - ينظر: الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية، ومدارسها، وليد مجّد السّراقي، مركز الفهرسة ونظم المعلومات، مركز العتبة

العباسية المقدّسة، بيروت، ط1، 2019، ص: 19

رغم أنّ البحوث التي سبقت هذا العهد كانت مفتقرة، إلى أجدديات المنهج العلمي بمعاييره الحديثة، والمتخصّصة في فروع علم اللغة. ويدعمُ هذا الرأي ما قاله العلامة عبد الرحمان حاج صالح: «إنّ المقصودَ في هذا الفصل هو أن نبين كيف نشأ علم اللسان، لا كما فهمه العلماءُ في غابر الأزمان، بل بمفهومه الحديث.»¹ ومصطلحاته المعاصرة.

لذا فاللسانيات -Linguistics أو (الألسنية، وعلم اللغة و غيرها من التسميات) عرّفت بأنّها ((الدراسة العلمية للغة)) تميّزا لها عن الجهود الفردية، والخواطر والملاحظات التي قام بها المهتمون من علماء اللغة عبر العصور، ومن الشائع في تاريخ البحث اللغوي كما هو معلوم أنّ الهنود، والإغريق كانت لهم اهتمامات باللغة منذ أكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وقد أشار مؤرخو البحث اللغوي الغربي إلى جهودهم في ذلك (الفكر اللغوي السنسكريتي)* ، واللافت أنّهم لم يغفلون عن جهود العرب، والمسلمين في هذا المجال، ونهلهم من فكر الحضارة العربية في عصورها الذهبية.²

لأنّ هذا يدلُّ على مسألة التأثير، والتأثير التي شكّلت أزمة في اللسانيات العربية، على مستوى الفكر، والمنهج، حتى أنّ هناك من يرى، في محاولة اكتشاف الفكر اللساني الغربي، محاولة غير ناجحة بحجة « أنّه لا يمكننا -نحن العرب- معرفة هذا العلم الجديد، إلّا من خلال نافذة

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للطباعة والنشر - الجزائر 2012، ص: 47

² - ينظر: مُجدُّ مُجدُّ يونس علي، المرجع نفسه، ص: 09

* - الفكر اللغوي السنسكريتي: ازدهر بازدهار اللغة السنسكريتية، في بلاد الهند خاصة من خلال ما عرف في الثقافة الهندية بكتاب ((الفيد))، وقد اشتهر وازدهر الفكر اللغوي السنسكريتي بعلوم النحو والصرف والفلسفة وغيرها، " إنّ اللغة السنسكريتية، مهما كان قدمها فلها بنية رائعة، فهي أحسن من الإغريقية وأغنى من اللاتينية وأشدُّ تهدياً وضقلاً من كليهما ولكن تربطهما بالأخيرين قرابة وثيقة للغاية سواء من حيث الأصول الفعلية أو الأشكال النحوية..." ينظر: John Waterman ,p,16

اللغات الأجنبية، الإنجليزية أو الفرنسية؛ ذلك أنه للحق وللتاريخ، وإنصافاً للعلم والعلماء، لا يمكننا إلا أن نعترف بأنّ اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها.¹

فهذه الرؤية تحتمل تأويلات عدّة، بل هي حمالة أوجه؛ بالنظر إلى اتجاهات البحث في مسألة التلقي، وموقف النقاد العرب، تجاه العديد من القضايا المهمة التي نحن بصدد الحديث عنها، في ضمنيّات هذا البحث.

ثمّ إنّ المبتغى الذي نصبو إليه، هو إعطاء رؤية نظيرية لأهم مرجعيات الفكر اللساني المعاصر، وهذا المطلب في اعتقادنا هو تحدّي واجتهاد، ليس بالهين سواء بالنسبة لنا كباحثين، أو بالنسبة للمتخصّصين اللغويين؛ لأنّ «هذا العلم ينهض على دعائمين؛ نظرية لغوية – theory Linguistics ، و وصف لغوي –Linguistics description»² فالخوض في غمار السّابق واللاحق من نظريات واتجاهات، هو مغامرة علمية تحتاج إلى تكاتف للجهود وتبادل للأفكار.

كما أنّ البحث في عمق اللسانيات الحديثة. التي اطلعنا على أشهر تعريفاتها من خلال ما وصلنا، لا يمكن أن يُدرس بمعزل عن الملابسات، التي رافقت نشأتها كما أشارنا سلفاً، وتشمل تاريخاً طويلاً، من زمن الدّراسات اللغوية الغربية والعربية، بدءاً من دراسة اللغة عند قدماء اليونان، والهنود، والمجتمعات الأنجلوسكسونية.*

¹ - مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، ص: 21

² - عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار النهضة العربية، سنة الطبع 2004م، ص: 13

* - الأنجلو سكسونية: وباللفظ الإنجليزي (Anglo-Saxon England)، وهي جماعة ثقافية سكنت إنجلترا منذ القرن 05 ميلادي، وكانوا يتألفون من القبائل الجرمانية التي هاجرت إلى جزيرة بريطانيا العظمى من أوروبا القارية، ونسلهم، والمجموعات البريطانية الأصلية التي تبنت العديد من جوانب الثقافة واللغة الأنجلو- سكسونية. أوتدين اللغة الإنجليزية الحديثة للغتهم بما يقرب من نصف كلماتها، بما في ذلك الكلمات الأكثر شيوعاً في الكلام اليومي. وهذا المصطلح يعن الدّين والمعتقدات الوثنية وقد تأسست مدرسة حملت اسم المدرسة الأنجلو سكسونية، أسسها العالم الشهير (ألفريد لوتكا) وللتفصيل أكثر راجع: إعادة إنتاج السكان... بلحسن بلخير، مجلة إنسانيات، ع 10، سنة 2000، ص: 02

إذن علينا الإقرار بحقيقة، أنّ ما قام به العرب القدامى، في مجال تفعيد علوم اللغة العربية، لا يمكن المرور عليه، أو تجاوزه؛ لأنّه قد يكون هو الأصل في نشأة اللسانيات؛ نظراً لتداخل المقومات الحضارية، والثقافية للفكرين العربي و الغربي، «وعلى عكس ما يعتقد قراء اليوم، الذين ليسوا مجبرين على الحصول على أجزاء من تاريخ اللسانيات، فإنّ المسألة ليست جديدة، التضخم أو بابلية المصطلحات، ليستا خاصيتين مميّزتين تكدران الفترة الحالية وحدها وتكونان مثلاً لضعف جهوزيتنا، أو وعيينا العلميين في هذا المجال، أو المقابل الذي لا يمكن تفاديه لهذه الهيمنة، وهذا الزهو وهذا الانفجار، وهذا الخداع الذي يسيطر على اللسانيات منذ 1960.¹» ورؤية جورج موان، هذه تحتاج إلى إعادة فهم، وسلامة تأويل؛ لأنّه لا يرى في اللسانيات علماً يحتاج إلى كلّ هذه الضجة من البحث، ولا إلى الإثارة الفكرية، كلّما عرضت اللغة على الدّراسة العلمية.

هذا ما يثبت حجم الهوة المعرفية التي أحدثتها، المفاهيم اللسانية بانعكاسها على ميدان الدّراسات اللغوية، وقد نتفق مع (جورج موان) في ضرورة أن يكون البحث هو الاستفادة من اللسانيات كعلم وفكر، دون الرجوع إلى مراحل نشأتها، وسبر أغوار تاريخها، والدخول في متاهة «الاختلافات المصطلحية قليلة الأهمية أو بلا أهمية؛ إذ نتجت عن اختبار مصطلحات مختلفة لنفس المفهوم خاصة إذا كان أحد هذه المصطلحات، ليس إلّا ترجمة للآخر المستخدم في لغة أخرى.»² التي لم تجلب لنا حسب رأي مارتيني سوى الاختلاف حول الشكل، والتغافل عن المضمون.

¹ - معجم اللسانيات، جورج موان، ترجمة جمال الحضري، ط1-2012، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص: 09
² - Martinet, structural linguistics, dans Anthropology to-day, kroeber éd, chicago University Press, 1955, P 576

من المؤكد؛ أنّ هذا المضمون يحتاج في الحقيقة إلى إعادة نظر واسعة، في عديد مفاهيمه ومخرجاته، لأنّ « التّنظير في اللّسانيات، كما في غيرها من العلوم، يستلزم عدم التوقف عند مستوى الرصد، والوصف المحض للوقائع موضوع الدرس... للنموذج الذي يسوغه المنظر على أساس تلك الفرضيات، ضابطان اثنان يحكمان العلاقة بين هذين الشقّين للنظرية (أ) مبدأ أو قيد التناسق. بتعبير آخر يقضي شرط الانسجام، ألا تناقض صياغة النموذج، ما تتبناه النظرية من فرضيات عامة عن بنية اللغة.¹ والمتغير (ب) يجب أن يستتبع كل تغيير، في تنظيم النّحو بما يناسبه ويضمن المحافظة على ما يحيط باللغة من تغيرات.

لكون اللغة تشكل جوهر الخطاب، وروحه في عملية الاتصال، وتناولها كظاهرة ضمن تفرعات الدّراسات اللّسانية، يتطلب الكشف عن عناصر ومقومات الخطاب اللغوي، وفق العلاقة التي تجمع بين المنطق والنموذج، في البناء اللغوي الذي يساعد على فتح المجال لتنوع الخطاب اللّساني وتوسيعه.

ذلك أنّ « الخطاب اللّساني حين ظهوره في بداية القرن العشرين، آخر ما انضاف إلى الخطابات التي تتخذ اللغة موضوعاً لها، كخطاب المنطق، وخطاب البلاغة بتسمياتها المختلفة وكفلسفة اللغة ... ومعلوم أنّ وجود أكثر من خطاب واحد حول اللغة يرجع في أساسه، إلى أنّ اللغة نفسها متعدّدة الوجوه... أمّا الأسئلة العامة التي تطرح أمام أي خطاب يسعى إلى الانتماء إلى هذه الزمرة من الكيانات المعرفية، فنفتح أن تكون هي تلك التي سبق أن طرحها ميشال فوكو -M. Foucault (1926-1984).² في أفكاره البنيوية الفلسفية.

¹ - Martinet, structural linguistics, dans Anthropology to- day, kroeber éd, chicago University Press, 1955, P 576

² - مُجّد مُجّد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللّسانية، " البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، (2012)، ص19

فوجود، علاقة ترابط بين (بنية اللغة) وتعدّد (الخطاب)، هو موضوع اللسانيات، لأجل دراسة اللغة لذاتها. وكما هو معلوم، فإنّ القرن التاسع عشر هو عصر اللسانيات التاريخية، والدّراسات اللغوية، والمقارنة دون منازع، لأنّ «المراحل التطورية التي تمر عليها اللغة، وإثبات القرابة بين اللغات باستعمال مناهج المقارنة التاريخية.»¹ التي مهدت لنشأة اللسانيات.

كما أنّ التطور الذي مسّ مناهج البحث اللغوي، خاصة ما تعلق منه بالدّراسات المقارنة، يعدّ سابقةً تاريخيةً مهدت لبزوغ فروع، وتيارات جديدة في علوم اللغة على الصعيد الغربي. ومن المسلم به أنّ «القرن العشرين، لاسيما التّصف الأول منه، يعدّ ضمن التطور التاريخي للسانيات الغربية، عصر البنية، وما ذلك في حقيقة الأمر، إلّا رد فعل طبيعي حيال الإغراق في التاريخية، والإسراف في المقارنة.»² بالمناهج الكلاسيكية.

فاللسانيات التاريخية تدرس اللغة الواحدة من خلال تطوراتها عبر المراحل المختلفة، منذ النشأة إلى الوقت الحاضر لمعرفة تاريخها... وقد أطلق ((دي سوسير)) * على هذا الفرع من الدّراسة مصطلح اللسانيات التطورية - **Evolutionary Linguistics** ... أما اللسانيات المقارنة - **comparative linguistic** أو الفيلولوجيا المقارنة - **Comparative philology**، التي كان هدفها البحث والتنقيب في الإرث التراثي أو الحضاري لأيّ أمة من

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص: 24

² - عبد الرحمان حاج صالح: مدخل إلى علم اللسانيات الحديث، مقال مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، العدد، 7، 1997، ص: 07

* - فردينا ند دي سوسير: ولد في 26 نوفمبر 1857 وتوفي في 22 فبراير 1913، عالم لغوي سويسري شهير. يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنوية في علم اللسانيات. فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث. عُني بدراسة اللغة الهندية، الأوروبية. وقال إن اللغة يجب أن تعتبر ظاهرة اجتماعية، وقد ترك عدّة محاضرات تبّناها تلامذته بعد وفاته، أسّست لعلم اللسانيات الحديث، وله نظريات هامة حول اللغة، عرفت بالبنوية، والثنائيات وغيرها من الأفكار التي لا تزال تدرس في مناهج البحث اللساني الحديث.

الأمم، ويهدف هذا العلم إلى مقارنة لغتين أو أكثر، على المستوى المفرداتي، والتّحوي، والصّوتي والتركيب، بغية الوصول إلى الأصول المشتركة، وإعادة بناء اللغة الأولى في الأسرة الواحدة.¹ لأنّ الذي يتفق عليه أغلب النقاد اللسانيين، هو أنّ اللّسانيات انطلقت من تطور المنهج المقارن في حقل الدّراسات اللغوية الغربية، الأمر الذي مهد لبروز الفكر البنيوي، الذي تبناه دي سوسير، رغم أنّ هناك من اللّسانيين من يرى خلاف ذلك، في القول أنّ المنهج البنيوي كانت بدايته «منذ زمن هاريس-Z.harris.»² وما أحدثته مذهبه التوزيحي.

وانتقل مع تشومسكي إلى دراسة اللغة، على مستوى بنية علم التّحو، بمنهج تحويلي توليدي وفق اعتبارات النّظام المتزامن أو الآني.³

ما جعل أغلب لسانيي القرن العشرين يعتقدون أنّ «المظاهر البنيوية في اللغات، هي الموضوع الأساسي للدّراسة اللغوية، ولا يسري هذا على اللّسانيين البنيويين فحسب، (أمثال سوسير وهمسليف وبلومفيد ومدرسة براغ)، بل يسري كذلك على مدرسة التّحو التوليدي، التي قدّمت أفكاراً هامة جداً، بخصوص التحليل الصّوري للبنية اللغوية، ومعلوم أنّ أهم الميادين التي نجح فيها البنيويون الصّواتة والصّرف والتركيب، إلّا أنّ البنية الصورية للمحتوى (أو المعنى في اللغة) لم يكن لها الحظ نفسه؛ فقد انصرف عدّد من البنيويين عن هذا المجال، وذهبوا إلى حدّ إنكار أن تكون الدّلالة جزء من الدّراسة اللغوية.»⁴ وهذا الاعتقاد بعيد عن غاية اللغة، وتحيدّ لما يحيط بها من متغيرات.

1 - ينظر: أحمد مومن، اللّسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005، ص: 63-64

2 - جان بياجيه: البنيوية، تر: عارف ميمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1982، ص: 67

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 67

4 - المنطق في اللّسانيات، ينس ألوود، لإرس غونار أندرسون، أوستن دال، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد

المتحدّة، ط1، ص: 13

إنّ تضارب الرؤى الذي أحدثته البنيوية، قد انعكس سلباً وإيجاباً على تطور الدرس اللساني الغربي، حيث برزت اتجاهات جديدة، تقاطعت مع البنيوية التي نسبت إلى ((سوسير)) تارةً، وتوافقت معها في جوانب آنية تارةً أخرى، بالرغم أنّ معظم ما عرضته النظريات اللسانية الغربية، هو في تصوري موجود تفصيلاً، وتأصيلاً، في تراثنا العربي.

لأنّنا إذا تتبعنا المشهد اللغوي العربي، في إنتاجاته اللسانية نجد «أنّ الباحثين العرب المختصين، في العلوم الدقيقة والتجريبية، ويعدّ الLinguistique من جملة هذه العلوم، يعانون صعوبات كثيرة جداً عندما يحاولون، أنّ يقدموا لجمهور المثقفين ما حصل لديهم من المعلومات الفنية، إمّا بمجهوداتهم الخاصة، وإمّا بالنقل عن غيرهم من العلماء. أمّا الصعوبة الراجعة إلى عسر المادة نفسها لشدة تقنياتها أو تجريدها، فهذا لا يخصّ الشعب العربي بالطبع، بل هو عام الوجود، فكل من يشتغل بالعلوم الدقيقة الشديدة التجريد يلاقي نفس الصعوبات خصوصاً، إذا حاول تقريب هذه المعلومات إلى أفهام الكافة.»¹ أو العامة ممّا تبني عليه ثقافتهم اللغوية.

من المنطقي، أن يلمس الباحث العربي، حجم الغموض الذي اكتنف، علم اللسانيات وفروعه الكثيرة*، ومنهجه في التعامل مع اللغة، بمنظور علمي، واجتماعي، ونفسي وتاريخي. وبالتالي فالصعوبة تكمن أساساً، في تصادم أهداف البحث عن خبايا اللغة، التي تعتبر المادة الخصبة للسانيات، بداية من السياق التاريخي الذي سبق نشأتها كما قلنا، وصولاً إلى تأثير المنهج العلمي على مجمل العلوم الإنسانية فيما بعد.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر - الجزائر 2012، ص: 11

* - يقصدُ بهذه الفروع مختلف التخصصات التي نتجت عن اللسانيات العامة واللسانيات النظرية، بما فيها القديمة والمستحدثة وهي (اللسانيات التطبيقية والوظيفية والحاسوبية والعرفانية والرياضية والجنائية، والإدراكية والنفسية والعصبية وغيرها ممّا لا يمكن حصره).

انطلاقاً من سياق هذا التحول الذي طرأ على اللسانيات، يرى حاج صالح أنّ: «الذي منع أيضاً الباحثين من الاهتمام، أو الالتفات على الأقل إلى ما كان يجري في القديم من البحوث العلمية، من الناحية الإستمولوجية هو الاقتناع المطلق بتطور العلوم وارتقائها على خطّ مستقيم لا يكون فيه سبق أبدا حسب ما يقرره المذهب الإيجابي.* الذي أسسه أوغست كونت - Auguste Comte كل ما أتبعه ابتداء من القرن التاسع عشر الميلادي إلى عهد قريب. وذلك بإقرارهم الأطوار الثلاثة لتطور الفكر الإنساني عندهم: الديني والميتافيزيقي والإيجابي.¹ وهذه الخلفيات، كان لها التأثير الواضح في انتقال الفكر اللغوي، من النزعة التقليدية التي طغت عليها النزعة الدينية، إلى توسيع دائرة البحث اللغوي لعلوم أخرى.

2-2 المبحث الثاني: الفكر اللساني المعاصر بين التأصيل العربي والتلقي الغربي:

لا ريب أنّ المفهوم العام لعلم اللسانيات، كما رأينا سلفاً، يقوم على الجانب العلمي أولاً وأخراً في دراسة اللغة، ذلك «أنّ اللسانيات هي قبل كلّ شيء مجال علمي اختياري، فهي تتناول مادة - الألسن واللغة - وجودها سابق لدراستها، فلا شبهة من هذه الوجهة بينها وبين الرياضيات أو المنطق: لغة الرياضيات أو المنطق لا توجد من دون الرياضي أو المنطقي، وليس للغة العادية

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص: 9 وما بعدها

* - المذهب الوضعي: أو "الوضعية" **Positivism** وهي فلسفة، تستند إلى مبدأ أنّه في مجال العلوم الاجتماعية، كما في العلوم الطبيعية، فإنّ المعرفة الحقيقية هي معرفة البيانات المستمدة من التجربة الحسية، ويعدّ أوغست كونت - 1798 - 1857 في باريس. ينظر: يوهان غوته: سيرة شخصية، تر: وراد الحمادة، تدقيق: مصطفى شحاتة، رابط الموقع على النت:

<https://www.ibelieveinsci.com/?p=92049>، تم الاطلاع بتاريخ: 2021/04/20

(وتسمى أيضاً الألسن الطبيعية) كالفرنسية والإنجليزية واللينقلا... حاجة إلى اللساني لتوجد؛ وهكذا غاية اللساني الأولى هي ((وصف)) ما يعرضه الواقع عليه.¹ من ظواهر.

جرت العادة على تداول مصطلح اللسانيات، كما قلنا لدى الغالبية العظمى من الباحثين في الدراسات اللغوية كعلم غربي بحت، قام على ما خلفه، الفكر الإغريقي والهندي واليوناني، وصولاً إلى الثورة التي أحدثتها نظريات ((دي سوسير))، ولا ينبغي التغاضي عن الاختلاف القائم، في العديد من مسائل اللغة التي تجاوزتها الرؤى الغربية، درءاً لعدم إظهار النقص في المقوم الفكري واللغوي، والقومي بشكل عام للحضارة الغربية.

رغم أنّ اللسانيات انتحت منحاً علمياً، في الوقت الراهن، بعد أن تخلصت من الفكر التقليدي، الذي انتهجته لعقود؛ إن لم نقل لقرون إذا ما تصفحنا تاريخ اللغات السامية، إلا أنّها لاتزال تحتاج إلى إعادة تنظير، شاملة وهادفة للعديد من دعائمها، لأننا نحتاج كباحثين عرب لإعادة نظر وتغيير للذهنيات التي رسبت بعقولنا، تجاه التلقي المطلق للدرس اللساني الغربي، الذي استشرى فينا ولاءه (مسألة التلقي المطلق)*. فلا ينبغي التسليم بأن كل ما جاءت به اللسانيات غير قابل للنقاش أو التمهيص.²

وهذا يستوجب التمسك بالاتجاه العقلي في دراسة اللغة، بعد تنقيح المحتوى اللساني، وتوجيهه إلى العمل الأكاديمي في أعماله، التي تربط بين الدراسات الغربية.³ وما يقابلها في الدراسات

¹ - روبير مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة، عبد القادر المهيري، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية.

² - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005م، ص: 04

³ - ينظر: صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة - الجزائر - 2004م، ص: 148

* - ونقصد بالمطلق أخذ كل ما هو غربي، من نظريات ومفاهيم دون النظر إلى خلفياتها الفكرية مرجعياتها، التي أسست عليها، وهذا لا يعني ترك ما هو نافع من الفكر اللغوي الغربي، خاصة فيما تعلق بالجانب الاصطلاحي العلمي.

العربية، والتّظنير ينبغي أن يمّسّ كلا الطرفين، التراث الغربي وتراثنا العربي الأصيل، بما يعني الفهم والتحقيق للموارد التراثية، ومن ثم نقلها وفق المنهج العلمي إلى موارد حديثة.

لاشكّ أنّ إعادة التّظنير التي نتحدثُ عنها تقتضي، الخوض في قضية مرجعية المصطلح الغربي وتسمياته من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى البحث عن مدلولاته اللغوية، وما يكافؤها أو يفوقها في التراث العربي، من مفاهيم ناجعة، حتى يكون لها حضور في «الغلاف الثقافي الأساسي»¹ فالجدل لازال يطرح، على المستوى الأكاديمي - الدّيداكتيكي (مناهج تعليمية اللسانيات)، كلّما تعلق الأمر بمدى نجاح هذه المناهج، التي لاتزال محوراً مهمّاً، في الملتقيات والمؤتمرات الدولية كما هو معلوم.

بالنظر إلى تاريخ اللسانيات المعاصر، ندرك أنّ العلماء قد اعتادوا على تحديد مضمون التسمية المذكورة في مقدّمات كتبهم، تحديداً أولاً مساوياً تماماً لما يقتضيه لفظ ال (linguistics) في ذاته؛ فوصفوا هذا المصطلح على أنّه الدّراسة العلمية للسان، فمازادت عبارتهم، على ما دلت عليه الكلمة الأوروبية، إلّا فائدة الحصر والتوكيد... وقد يحتاج إلى ذلك حتى القارئ الأوروبي، الذي لم يكتشف بعد محتوى هذا العلم، وهذا راجع للغموض الذي يكتنف التسمية، خصوصاً في اللغة الإنجليزية والفرنسية، أمّا موقف لغتنا العربية من هذا التضارب، فهو بمنزلة اللّغو، أو الحشو، الذي لا يستفاد من الخوض فيه.² ومن الصواب قول ذلك، مدام النقاش يولي الأهمية للشكل، دون المضمون الفكري، الذي تقوم عليه اللغة أساساً.

¹ - مالك ابن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص: 74

² - ينظر: حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012م، ص: 21

2-3 اللسانيات بين المرجعية اللغوية والمنهج العلمي:

إنّ السعي لفهم مضمون اللسانيات وإدراك موضوعاتها، لم يحصله المتلقي والباحث العربي، بما يرجع عليه بالفهم والاكتشاف؛ فكيف بالقارئ والمتعلم أن يحقق ذلك؟

والسبب في هذا قد يعزى إلى التأثير بالتسميات دون المسميات، والانقسام الفكري الذي رسخ في الذهن العربي، ممّا جعله قارئاً للشكل دون المضمون، والحقيقة أنّ كل الآراء الأجنبية والغربية عموماً، لها حضور مكثف داخل « النشاط الفكري العربي، بدعوى أنّها صادرة عن أمم راقية تقدّمت علينا تقدّماً ملموساً، ونزعةً أخرى تؤمن بما يسمى ب"الإيجابية" فقالت فيها حتّى صارت لا تعترف بأي بحثٍ تحليلي غير الوصف، بل تعتقد أنّ كل بحث يرمي إلى تغيير هذا الواقع فهو عملٌ غير علمي، إمّا هو مجرد محاولة انتفاعية لا علاقة لها بالعلم.»¹ ولا بأصوله النظرية.

وفي رأيي أنّ هذه القراءة التي قدّمها حاج صالح، موضوعيةٌ إلى حدّ معقول، وتنبئ عن صدام فكري لساني متأزم، فرض علينا النزعة الوصفية في البحث اللساني العربي، وعطل كل إجتهد صادق في تحقيق استقلالية للسانيات العربية، « فالأزمة عادة ما تكون نتيجة لا سبباً، حتّى وإن صح الحديث عن أزمة، فإنّ إدراك حقيقتها لا يمكن أن يكون إلاّ يجعلها أزمة انطلاق لا أزمة نمو.»² تتطلب إنجازات حقيقة، وحلول تعالج، كلّ ما انسلاخ عن المقومات التراثية للغتنا العربية. بقصد أو بغير قصد إن جاز القول.

« ثم لما ظهر علم اللسان توزع علم الدلالات والمرجع ونظريات شتى مثل نظرية (Katz) و فودو (Fodor) ، والنظرية السوفياتية كما تعرض هذه النظريات المعاجم اللسانية، ويضاف إلى

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر اللغوي، مجلة الثقافة، السنة الخامسة، ع2- أبريل- ماي

1975م، ص: 16

² - حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص:

كلّ هذا تيار المناطقة الوضعيين مثل فريجه وفيتجينشتاين، وكارناب، وكواين وغيرهم.» وقد سعى هؤلاء إلى الاجتهاد في وضع أبجديات علم اللسان، بما يتوافق مع ما أدركوه من علوم، كالمنطق والرياضيات وغيرها.

ويعلّل حاج صالح أسبقية المدلول المعرفي للفظ(اللسانيات)، على المدلول الحرفي قائلاً: «وهناك شيء آخر يثبت اعتقادنا بصلاحيّة هذا اللفظ، للدلالة على علم اللسان الحديث وذلك هو الترجمة اللاتينية لكتاب إحصاء العلوم التي قام بها Girardo Cremona في القرن الثاني عشر الميلادي، فقد جاءت فيها هذه العبارة Scienta Lingue مقابلة للفظ علم اللسان، وقد عرفنا أنّ هذه العبارة هي التي يحدُّ بها مضمون اللسانيات في جميع الكتب التي تعالج هذه المادة وهي The science of Language وما يمثّلها في اللغات الأوروبية الأخرى، ثمّ إنّ هذه التسمية بهذا المفهوم الذي وجدّه الأوروبيون في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر، وبما أنّ هذه الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي كأقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الفي عصرنا الحاضر فلا تظن أنّّه يوجد لفظ أصلح لتأدية هذا المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الLinguistics أنفسهم.»¹

يتّضح من هذا الرأي، أنّ تسمية اللسانيات كعلم غربي حديث، مستمدّ في مبادئه وخلفياته النظريات، من الدّراسات اللغوية السابقة، وما أوجده الأوروبيون من مفاهيم علمية وظواهر لغوية، مطابق لما هو موجود في تراثنا العربي الذي ناله التهميش.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللسانيات المجلد الأول 1971م، ص: 52

فحين يطالع الباحث، كتابات العديد من المستشرقين الغربيين، في تناولهم لتراثنا العربي، ندرك أن هذا التهميش كان مقصوداً، ولعلنا نستحضر في هذا المقام، ما جاء في كتاب جورج مونان - George Mounin (تاريخ علم اللغة)، نكتشف، أنه قد مسّ التراث اللغوي العربي، ببساطة وإيجاز، بعد حديثه عن جهود الرومان، واليونان، والفراعنة، والهنود، حيث نراه يشير إلى ذلك في صريح قوله: «كذلك يستحيل علينا أن نأخذ أن نتجاهل علم الصّوت عند العرب، فندرس أولاً أصوله ثم انتشاره في الثقافة العبرانية، إلى ما بعد القرن السادس عشر، وما أحدثه من أثر في الغرب من ناحية التفكير الصّوتي.»¹ والدلالي والبلاغي ونحو ذلك.

لأنّ ما أبدعه العرب (كالفراي وابن سينا وسيبويه والخليل وغيرهم) ممّا لا يمكن حصره، قد تم ترجمته وإعادة تنظيره، لإنتاج المصطلحات الخاصة بعلومهم، وقد نوّه الحاج صالح في العديد من مواقفه، إلى ضرورة مراجعة التراث العربي، وتأسيس مصطلحاته وتوليدها كلّما اقتضت المعرفة العلمية ذلك؛ فالفكر اللساني الغربي عندما انتهج الوصفية أو التوليدية، وكل ما تلاهما من نظريات، أخذ ما يخدم لغته، وقوميته، ومناهجه في التعليم. وهذا يولد لدينا قناعة بأنّ اللسانيات في محيطنا العربي نضجت واحترقت.² حين غاب الوعي بالتراث.

وهذا الوضع لم يمنع من وجود نزعات غريبة، أدركت الهوة والتناقض، في هذا العلم الجديد بوجه عام، وكانت قراءتها للمشهد قراءة نقدية بالقول: «إنّ اللسانيات كتنظير علمي غير معياري لملاحظة الأحداث اللغوية ومشاهدتها، قدّمت لواضعي الطّرق التعليمية الصّورة الواقعية التي يتحقّق فيها اللسان وهو مستعملٌ بالفعل في وقت معيّن، ولم تقدّم له النمط يتمنون ويودّون اقتراحه. وقد

¹ - جورج مونان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين، ترجمة بدر الدّين القاسم سلسلة الكتب العلمية، دمشق 1972، ص: 206.

² - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص: 13

ساهمت بهذا، في إبعاد ميدان تعليم اللغات النصوص الأدبية التي كانت تقليدياً هي مصدر الأصالة اللغوية الوحيدة.¹ التي تحتاج اللغة لاستمراريتها.

بالنظر إلى اللغات الأوروبية الحديثة، ندرك أنّها فقدت الكثير من قواعدها، ومميزات أسلافها التراثية من اللغات المعربة كاللاتينية أو الجرمانية القديمة، التي لم تكن حينها مبنية على التأصيل والاستنباط، من واقع تلك اللغات، بل كانت قواعد مفروضة عليها، وتسير وفق معايير اللغتين الإغريقية واللاتينية بوجه خاص ومحدّد. ولعلّ هذا هو الدافع الرئيسي الذي جعل ((دي سوسير)) يحدث تلك الطفرة، في تبني الوصفية كمنهج للبحث اللساني، على مختلف مستويات وظواهر اللغة.² كما سنرى تفصيل ذلك فيما يلي من هذا المبحث.

2-4-1 لسانيات دي سوسير فكر بنيوي معاصر أم فلسفة اللغة؟

اعتاد كلٌّ من يسمع عن علم اللسانيات الحديثة، ونظرياتها اللغوية أن ينشغل فكره بالعالم السويسري، فرديناند دي سوسير - F.Dessisure، الذي يعدّ المنظر والرائد في ميدان الدراسات اللغوية منذ مطلع القرن 19م، وحتى وقتنا الراهن، وقد ذاع صيته في أوروبا والعالم أجمع، نظراً لأرائه المنفردة في نقل الدرس اللغوي من المنهج التقليدي*، إلى منهج الدراسة العلمية، فأصبح يمثّل قومية مرجعية، في المجتمع الغربي والأوروبي منه بشكل خاص.

1 - لويز دأبن: اللسانيات وتعليم اللغات، ترجمة: خولة طالب الإبراهيمي، ص: 150

2 - ينظر: نايف خرما، و علي حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، مجلة عالم المعرفة، 126، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص: 22

* - المنهج التقليدي: والذي نقصده هو المنهج الذي كان سائداً في المجتمعات الغربية، وقد تناول اللغة والدراسات الفكرية باتجاه ديني قومي ترافق مع نظريات الأدب والفنون، دون أن يبحث في اللغة كعلم، وتلا ذلك محاولات عدّة لروبنز وويليام جونز، حتى أنّ هناك من المؤرخين من يرى أنّ ويليام هو الذي تنسب إليه نشأة اللسانيات، قبل دي سوسير.

حتى أنّ أغلب المدارس العربية، تأثرت بهذه المرجعية في ميدان علم اللغة؛ فكانت انطلاقته العلمية، فيما خلفه من محاضرات بعد وفاته، وقد جمعها طلابه، وكان أبرزهم ممن تقربوا منه ((شارل بارلي و ألبير سشيهاي)) اللذان جمعا محاضراته في مؤلف شهير.¹

فبرز كتاب ((محاضرات في الألسنية العامة - Linguistique*))، الذي احتوى مضمونه على رؤيته الوصفية لعلم اللغة، وتاريخ اللسانيات، وانتقالها من المنهج المقارن إلى المنهج التطوري، والآني والثنائيات وغيرها من المسائل المتعلقة باللغة، التي حاول سوسير وضعها في الفكر اللساني، وقد تأثرت بهذا المنهج الجديد، العديد من المدارس التي ظهرت فيما بعد، بين مؤيد، ومتبّع، وبين من حاول نقد المنهج البنيوي برمته. حتى أنّ هناك من عاب ونقد هذا المؤلف لعدم احتوائه على تعريف واضح للغة "La langage"، كما انتقد تشومسكي النموذج التوزيعي والنموذج البنيوي في مقوماتهما الوضعية المباشرة، وهذا المؤلف يحتاج إلى تمحيص وتحقيق معمق للكشف²

¹ - مختار زواوي، دوسوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للتّشّير والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت، 2017م، ص: 56

* - كتاب جمعه طلابه تحت عنوان "محاضرات في الألسنية العامة" Course In General Linguistique"، كان هذا سنة 1916م، واشتمل المؤلف على مقدمة وخمسة أجزاء، وعدد صفحاته 287 صفحة، وترجم للعديد من اللغات، لم ينشر دي سوسير كتابه بنفسه، إلى عام 1911 تخللتها فترات انقطاع في الدروس جمعها اثنان من طلبته بعد وفاته هما شلرل بالي Charles Bally وكلود سشيهاي Claude Sechehay، وقاما بنشره سنة 1916، ولم يتأخر الفكر العالمي عن الاهتمام به، فقد ظهرت ترجمته إلى اليابانية سنة 1928، وإلى الألمانية سنة 1931، وإلى الروسية سنة 1933، وظهرت ترجمته إلى الإسبانية سنة 1945، ولم يقرأه أهل الإنجليزية بها إلا سنة 1959، ثم نقل إلى الإيطالية سنة 1967 المسدي 1994، إضافة إلى ترجمة مختار زواوي في كتابه "دوسوسير من جديد" ينظر: صفية بن زينة، قراءة في مقدمة الكتاب المترجم، وأيضاً- علم اللغة العام لـ"فردينان دي سوسير" - ترجمة يوثيل يوسف: نموذجاً، مجلة أقلام الهند إلكترونية محكمة، ع/03، 2020، دراسات ومقالات، رابط المجلة: <http://www.aqlamalhind.com/?p=1855> تم الاطلاع: 2021/06/15

² - ينظر: مجّد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص: 76

من وجهة نظر البحث، فإنّ هذا الكتاب هو في الحقيقة تجديد للأفكار، الكلاسيكية المتراكمة في علم اللغة لعقود خلت؛ وقد اعتبر((اللسان)) ظاهرة اجتماعية يمتلكها كل البشر، والتسليم بهذا يستوجب النظر، والتحقيق في المنطلقات التي أسس عليها.

لأنّ « إعادة وضع منهجية فكر دوسوسير عن كتب، مع محاولة الإجابة عن هذا السؤال الأساسي: إذا كان اللسان اجتماعي، فما الرابط بينه وبين ما هو لساني، وما هو اجتماعي؟.

الجواب : إنّه مرة أخرى القيمة. يمكن للقيمة أن تكون بشكلٍ مجرّد، المعنى الذي تتخذه عناصر نظام لغوي ما بالنسبة إلى بعضها البعض. ويمكنها أيضاً أن تكون، بشكل نفسي، المعنى الذي أعطيه أنا لإشارات اللسان الذي أتكلّمه، ويمكن للقيمة أخيراً أن تكون، من وجهة النظر الاجتماعية، المعنى الذي تعطيه جماعة ما لإشارات اللسان ولتحقيقها في الكلام.¹ الذي تسييره اللغة وتتحكم فيه عناصرها، وبنيتها فالكلام، واللسان، واللغة كلّها قضايا، تناولتها الدراسات الغربية والعربية السابقة قبل دوسوسير، ولكنّها لم تعتمد منهجاً علمياً محدّد بعينه.

أمّا أن نعتبر « النظرية اللسانية كسائر النظريات، هي بناء عقلي يتوقّف إلى ربط أكبر عدد من الظواهر، بقوانين خاصة تكون مجموعة متّسقة يحكمها مبدأ عام، هو مبدأ التفسير ويمكن تمثيلها كمجموعة من المفاهيم الأساسية ومجموعة من المسلمات تستنتج منها النتائج التفسيرية للنظرية، وكل المفاهيم اللسانية للنظرية تعرفُ انطلاقاً من المفاهيم الأساسية التي تعتبر أولية(Primitive). وهناك عدّة إمكانات لاختيار مجموعة الأوليات التي يبنى عليها النسق

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية دلالية)، دار توبقال للنشر، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، ط2، 1988، ط3، 1993، ص: 13

الاستنتاجي أو الأكيومية التي تشتف منها القضايا المبرهنة (Theorems).¹ وهذا اتجاه يراهن على الجانب العقلي الفكري الخاص باللغة.

ولعل ما جاء به دي سوسير لم يكن سوى منهجاً جديداً، وجهداً فردياً في حقل الدّراسات اللغوية، وما أبدعه من نظريات حول قضايا اللغة، ما هو في حقيقة الأمر، إلاّ إجابات لأسئلةٍ طرحته، قبله في العديد من المؤلفات التي انشغلت بها أوروبا.

برجعنا للتاريخ تحديداً « بعد القرن السادس الميلادي، أي بعد برسيانوس والنحاة الذين عاصروه حتى القرن الثاني عشر، لم يطرأ شيء جديد يستحق الذكر. فقد دخلت البلدان الأوروبية إثر انهيار السؤدد الروماني في سبات عميق...أما الطوارئ فهي تلك الأحداث التي مكّنت الغرب من الاحتكاك لأول مرة بالحضارة الإسلامية مباشرة، فكانت الحروب الصليبية أولاً، ثم صدمات حربية أخرى وقعت في كلّ من إسبانيا وصقلية، فتبعتها، بعد اطلاع الأوربيين على رقي المسلمين...وعند ذلك تسربت إلى أذهانهم من بين المفاهيم اليونانية، والعربية مفاهيم لغوية جديدة استحسناها، وامتثلوها في دراستهم، وهكذا يكتشف اليوم مؤرخو اللسانيات أنّ الكثير من مفاهيمها التي يعتبرونها جديدة كان قد أشار إليها المدرسيون (Scolastiques) في القرون الوسطى.² وهذا في اعتقادي حقيقة لا غبار عليها.

وبالتالي فاللسانيات لم تكن علماً أوجده دي سوسير، بل كان امتدادها لقرون سالفة، من الحضارة الإنسانية، ممثلة في تراث اليونان، والعرب، والهنود من خلال الرحلات التي كانت تجوب الأندلس، وبلاد المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى الدور الذي لعبته الترجمة في نقل العلوم،

¹ - اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية دلالية)، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، ط2، 1988، ط3، 1993، ص: 13

² - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، 2012م، الجزائر، ص: 89-90

وهو ما أغنى البحث اللغوي في أوروبا، ومهد فيما بعد لبروز العلم الخاص باللسان، أو اللسانيات كمادة خام تحتاج إلى النظرية والمنهج.

لكن ورغم اتفاق غالبية اللسانيين المعاصرين، على الأهمية الإستمولوجية التي احتلها مؤلف ((دي سوسير))، إلا أن هذا الموقف كان واضحاً، حتى لدى ثلثة من الغربيين، في كونه لم يكن المؤسس الأول للسانيات « بل إنَّها موجودة قبله بزمن طويل في عدد من الثقافات، وفي الثقافة العربية على وجه الخصوص، لكن سوسير وجَّهها إلى مسالك لم يسبق لها أن سلكتها، أو أنها كانت ستتأخر في سلوكها.¹ الثقافي والحضاري واللغوي.

ولئن كانت البنيويات، قد احتفت بلسانيات دي سوسير احتفاءً كبيراً، وحذت حذو علوم إنسانية (كالأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها)، إلا أنَّها تأثرت بعلوم كالسيمائيات وفلسفة اللغة عموماً بأفكاره ومعاييره التي وضعها في دراسة اللغة، وفي تصوري أن أصالة فكر دي سوسير تجسّدت في مرحلتين أساسيتين من تاريخ الدراسات اللسانية والسيمائية، رغم أن هذا التفوق لم يكن يعلمه إلا قلة قليلة من المقربين منه، وبالتالي ظل كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة المنفذ الوحيد لفكره، والمرجع الفريد في تدريس مادة اللسانيات العامة في كل الجامعات، ومراكز البحث العالمية طيلة القرن الماضي.²

¹ - ميشال أرفيه، البحث عن فريديناد دو سوسير، ترجمة: د. محمد خير البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2009، ط1، ص:7

² - ينظر: مختار زواوي، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية- ناشرون، ط1 2017ص: 11-12

كما أنّ دي سوسير كانت له اهتمامات أخرى، غير اللغة ومسائلها، وهذا ما يثبته نص «الرسالة التي عثرت عليها السيدة (مايي) في مكتبة زوجها اللسانياتي* (أنطوان مايي)، الصديق المقرب لدوسوسير، ولولاها ما كنا لنعلم يوماً أنّ دو سوسير كان إلى جانب بحوثه في اللسانيات العامة، يستكشف في خلوته مجالات بحث أخرى، صبّت في نظرية الأدب، تقدمت على بحوث كلود ليفلي ستروس، ونيكيفوروف، وفلاديمير بوب.»¹ السابقة لعهد سوسير.

فتفوقه كان جلياً، ربّما في الكاريزما العلمية التي امتلكها، نتيجة تأثره بعلماء أمثال دوركايم وغيره، ما أكسبه فكرة إشراك اللسانيات مع هذه العلوم، فاتخذ منهجه الوصفي المعياري في الحكم على الظواهر اللغوية، وتحدّث عن علاقة علم اللسانيات بالعلوم التجريبية، ثمّ إنّ «جهد ((سوسور)) النظري ينصبّ، أيضاً في ((التقابلات)) أو ((الثنائيات)) التي أقامها في صرح الحقل اللغوي: كثنائية ((اللغة)) و ((الكلام)) ومحوري ((التعاقب)) و ((التزامن)).. إلخ، ليقودنا بعد ذلك، إلى نظر منهجي في ((المفهومات)) أو ((المقولات)) اللغوية.»²

بالرغم من كلّ هذا النجاح الباهر، الذي قام به سوسير، فإنّه لم يشفع له من التعرض للنقد، بحكم تركيزه على بنية اللغة، وإهمال المستويات الأخرى، أو بالأحرى وضعها في موضع ثانوي،

¹ -D' atco Silvio Avalle, « La sémiologie de la narrativité chez Saussure », in ch. Bouazis, Essais de la théorie du texte », Paris, Galilée ,1973 ,p26.

² - فردينا ند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النصّ مالك يوسف المطليبي، دار أفاق عربية، 1985، ص: 09

* - اللسانياتي: المقصود بهذه اللفظة العالم المتخصّص في ميدان علم الألسن، واللغويات فهو مهتم بهذا العلم لدرجة الممارسة والتوظيف والتأليف، دون غيرها من العلوم، لذلك يقترن هذا الوصف به. وهو لفظ عربي مستحدث، قياسا على ما يقابله بالقرّيب في اللفظ الإنجليزي : The lingual man أمّا في الفرنسية : L'homme lingual .

يضافُ إلى ذلك أنه أتبع نفس منهج سيوبه، في تحليل الظاهرة اللغوية، وهذا يؤكدُ فرضية اطلاعه على مصنّفات سيوبه والاستفادة منها.

2-3 - مرجعية دي سوسير مؤلفٌ شخصي أم تأويل مذهبي:

ثمّة مشكلةٌ بارزة على مستوى النقد المعاصر، كلّما تعلق الأمر بترجمة كتاب ((محاضرات في اللسانيات العامة))، وقد أشار إلى تلك المشكلة الدكتور يوثيل يوسف في ترجمته للكتاب بقوله: «إنّ صعوبة ترجمة دي سوسير تكمن في ((المصطلحات اللغوية)) الكثيرة فما زال ((علم اللغة)) (أفضل أن يضيف المؤسس في الغرب) حديث العهد في العربية، لم يتبلور كثيرٌ من مصطلحاته، التي دخلت العربية، وقد فضلت المصطلح الإنكليزي، على المصطلح الفرنسي الأصلي، لأنّ هذا العلم (علم المصطلح) قد تطوراً كثيراً في البلدان الناطقة بالإنكليزية، وأصبحت مصطلحاته الإنكليزية هي الشائعة، بين المثقفين، لاسيما في الوطن العربي.»¹ وفي الأوساط الأكاديمية المتخصصة.

فمعضلة الترجمة الصحيحة ((للمصطلح)) في بيئته ولغته الأم، وفهم معناه ومدلولاته اللغوية والمنطقية والواقعية، يعتبر تحدياً صعباً أمام الباحث، ما يحتم عليه الاستعانة باللغة الأجنبية الأكثر شيوعاً، وتوظيفاً للمصطلح اللغوي، وهذا ما أنتج العديد من الترجمات التي أفقدت كتاب محاضرات سوسير، بعض الحقائق المتعلقة بالظواهر اللسانية، العلمية و غيّب ربما لمساته وطموحاته الفكرية، التي أرادها سوسير للفكر اللساني أن تكون، ضمن منهجه ونظرياته.

يضافُ إلى ذلك مصداقية المحاضرات التي جمعها طلابه، هل هي فعلاً كلّ التركة العلمية كاملةً (مخطوطات و مذكراته الشخصية)، والتي خلفها سوسير بعد وفاته؟، والجواب عن هذا يلفه

¹ - ينظر: يوثيل يوسف، المرجع نفسه، ص: 15

الغموض، نظرا للعلاقات المحدودة لشخصية سوسير داخل مجتمعه، « وهذا يستوقفنا لا محالة لتوضيح بعض الرؤى العلمية وبلورتها للقارئ على وجه أخص، لأنّه لن تكون هذه المغالطة الأخيرة التي يقع فيها الرجل عن جهل وتجاهل. »¹ وهو الأمر الذي يتطلب التحقيق.

قد يعزى السبب، لنعته بأنّه كان دائم الانزواء والخلوة، اللهم إلا ما تحدّث به طلابه عنه، أو ما جاء في نص الرسالة، التي تركها لصديقه المقرب ((مايي))، الذي ترجم له الدكتور: مندور مقالاً بعنوان (علم اللغة) سنة 1946م، إضافة إلى بعض الترجمات الضئيلة في تلك الفترة.

فمسألة مصداقية محتوى هذه التركة العلمية لسوسير، والتي جُمعت في الكتاب المنسوب إليه*، تحدّثها عنها أحد أبرز طلابه هما: ((شارل بالي و ألبير سشهالي)) قائلان: « لقد كنا نأمل أن نجد ضمن مخطوطاته التي وضعتها السيدة دوسوسير في متناولنا، صورةً أمينة أو كافية على الأقل، للمحاضرات، وبدت لنا إمكانية النشر متيسرة لا تتطلب سوى ترتيب لمخطوطات دوسوسير الشخصية، وفق ما دونه طلبته، فقد كان دوسوسير يمزق تباعاً كل مسوداته التي كان يخطّ فيها يوماً مخطط درسه.»²

وهذا الرأي شاهد مقنع وكفيل؛ بأنّ يُحيلنا إلى الاصطفاف مع الموقف الذي يرى؛ بضرورة إعادة النظر في مرجعية كتاب دي سوسير، وتنظير ما جاء فيه بأسلوب موضوعي، بعيداً عن كلّ نزعة فردية أو قومية؛ بل ينبغي أن يكون النقد بناءً، وحيادياً للقضايا اللسانية، التي نظر إليها سوسير بمنظار فكري فلسفي، حين ربط اللغة بوصف أنظمتها.

¹ - عبد الجليل مرتاض، في مناهج البحث اللغوي، دار النهضة للنشر، الجزائر، 2003م، ص: 13

² -F. De Saussure ,Course de linguistique ,publié par c .Bally et A .Séchehay avec la collaboration de Ride linger ,édition critique de T .de Mature ,Payout & Rivages ,1995 ,pp, 8-7

فنجده في إحدى الوثائق يقرُّ بهذه النظرة الفلسفية، قائلا: « وما غاب عن الفلاسفة والمناطقه أنه في اللحظة التي يكون فيها نظام الرموز مستقلاً عن الأشياء المعينة، فإنّ هذا النظام يصبح قابلاً لأن يدخل عليه التغيير بفعل الزمان، وأن يتحول على وجه لا يمكن أن يحسب له المنطق حسابه، كما يلاحظ دي سوسير في الوثائق(209).»¹

فهذا دليل كافي على قدرته المنفردة في التحليل الفلسفي، وتوظيفه للمنطق في دراسة اللغة، وخروجه بأهم المرتكزات، التي قصد من خلالها وضع الأسس المعرفية، و الإبتيمية لقيام علم اللغة، ومحاولته طرح علم اللغة كعلم مستقل، وكأنّه لم يكن موجودا بعد كل هذه القرون الطويلة، مع الهنود، والإغريق، والرومان، والعرب بما يستحق البحث و التثمين.

وبتنظيرنا لجزئية الدال والمدلول، في الثنائيات التي طرحها سوسور، أنذاك نجد أنّه حاول نقلها من صورتها التقليدية، إلى صورة معيارية تشتمل على عدد من المبادئ والقوانين، لقد أرساها وفق تصوراته حول اللغة، لذلك فإنّ هذه الثنائياتشكلت الطبيعة المزدوجة للظاهرة اللغوية التي يصفها سوسير «جوهرًا زئبقيا»²، و يقف أمامها حائرا في أكثر من موقف.

والأرجح أنّه استنبطها من مشاهدته، وتحليلاته لظاهرة التخاطب اللغوي- Linguistic communication، وأداته التي هي اللسان والتّظنر إلى تلك الأداة وعناصرها وتركيبها من جهة، ومقارنته بين مختلف النظريات وطرق البحث التي سبقته، والتي عرفها الغربيون في زمانه من جهة أخرى، ويمكن أن نحصر أصالتها في عاملين هما:

¹ - فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان، ترجمة عبد القادر قبيني، إفريقيا الشرق 2016، ط 3، المغرب، ص: 05

² - ميشال أريفيه، المرجع نفسه، ص: 64

1- منهجية تحديده للعلاقة القائمة بين الدال والمدلول - The signifier and the signified- في الأذهان، وفي الأعيان وبنائه بذلك نظرية للدليل اللغوي (Linguistic evidence theory) تفسر ماهية الدلالة اللغوية إلى حدّ ما، وإشارته بعد هذا إلى وجود علم أشمل، من علم اللسان يتضمنه ويتضمن الأنظمة الدلالية الأخرى، يسميه **Sémiologie** أي علم الدلالة (أو علم السّمياء).

2- تميّزه الصّريح - واحتجّاجه لفك اللبس والتفريق - بين اللسان (Langue) (أو مجموعة منظمة من الرموز) في المصطلح العام، أي ما يشترك في استعماله جميع أفراد المجتمع وبين الكلام (talk) كتأدية فردية للسان.1* وخروجه بعد ذلك إلى الحكم على لفظ اللسان

بهذا المعنى، هو صورة (forme) وليس بمادة (substance). ولربما يقصدُ بذلك الجانب الحسّي الصّوري للسان، دون الجانب الفيزيولوجي.¹

يرى الحاج صالح، أنّ دي سوسير يعدُّ أول: « من وضع وحدّد ونظم هذه الأفكار الجديدة (بالنسبة إلى اللسانيات التاريخية)... ونستطيع أن نقول إنّه أول من أظهر للناس -من دروسه- أهمية الدّراسة البنيوية، بوصفه وتحليله لمفاهيمها ومناهجها.»² المتفرعة في حقل دراسة الظاهرة اللغوية بشكل عام.

فالمنهج البنيوي الذي أراد سوسير، قد لا يتفق مع تركته اللغوية كما ذكرنا، والتي تجري التحقيقات العلمية بشأنها، وهذا طبعاً موضوع شائك في النقد اللساني، يثار من حين لآخر

¹ - ينظر : عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، الجزائر، موفم للنشر 2012، ص: 154-155

² - المرجع نفسه، ص: 151-152

ذلك؛ أنّ الناشرين أنفسهم قد قاموا بالعديد من التغييرات، التي ربما قد تتعارض مع ما أراده من معايير بنيوية مثالية فحسب؛ بل تجلّى ذلك عند أتباعه ومن اقتنعوا بمنهجه .

إنّ المتصفح لكتاب (المحاضرات) لا يجد كلمة (بنية-structure) بل استبدلها بكلمة (نظام-System)، وهذا يخلقُ لبساً كثيراً؛ إذا ما نظرنا إلى حقيقة أنّ السمة البارزة من سمات فكر دوسوسير التي تهافتت عليها الأقلام، في التعريف بها سمة تعدّد فكره... لذلك لا يمكن أن يختزل في جملة من الفروق، أو بعض الرؤى المفاهيمية، التي روجت لها النظريات اللسانية، بالاستناد إلى مؤلفه المفترض.¹

وهذا اللبس قد أدّى إلى تأويلات، متضاربة حادت في كثير من الأحيان، بالفكر اللساني المعاصر عن جادته، في العديد من مسائل اللغة ومصادرها.

لأنّ اللجوء إلى هذا القدر الضئيل من المصادر، قصد وصف فكر دي سوسير اللساني، هو في الحقيقة مجازفة، ومخاطرة كبيرتين انتهت بالناشرين أو قل المؤلفين، إلى فشل ذريع، في تحليل مخرجات المفاهيم النظرية التي نظر لها دي سوسير، في محاضراته؛ فألحقت اجتهادات طلابه تلك أضراراً لاتزال البحوث الفيلولوجية الحديثة والمعاصرة، تعاني منه... وفضلاً عن النقود التي وجهت لكتاب (المحاضرات) من قبل عدد من اللغويين، مباشرة بعد نشره، فقد ظلّ قرابة الأربعين عاماً المصدر الوحيد والمنفرد لفكر دي سوسير اللسانياتي، كما تعدّدت وجهات النظر حول البنيوية، إلى جملة من المرجعيات.²

¹ - ينظر: مختار زاوي، المرجع نفسه، ص: 11

² - ينظر: مختار زاوي، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية-

ناشرون، ط1 2017، ص:30

وإذا نظرنا إلى التاريخ العلمي للغرب، وما أحدثته نظرية داروين في أصل الأنواع، من تأثير على المنهج التاريخي*، نجد أن جميع المدارس اللسانية، والمناهج اللغوية، هي في الحقيقة محصلة أعمال سابقة، قد حصر أغلبها في مرجعيات ثلثة من كبار العلماء، والمفكرين والفلاسفة الغربيين أمثال: لينيبيز-Leinbniz و هاردر-Herder و وليام جونز-William jones.

الذين وقفت أعمالهم على تصورات، ومفاهيم أثرت مصادر علوم اللغة، وأدت إلى تطور منهج اللسانيات التاريخية واللسانيات المقارنة، وصولاً إلى القرن التاسع عشر، الذي يعدُّ زمن ذروة اللسانيات التاريخية، والمقارنة بامتياز، وهذا من خلال «إثبات المراحل التطورية التي تمر عليها اللغة، وإثبات القرابة بين اللغات باستعمال مناهج المقارنة التاريخية»¹ التي استمرت وهيمنة على ساحة الدراسات اللغوية لعقود طويلة.

وعطفاً على بدء، يجدر بنا الحديث عن مرحلة ما بعد البنيوية؛ إذا أردنا الحديث عن مختلف المتغيرات، والمقاربات، التي طرأت على الفكر اللساني المعاصر، و بروز المدارس الجديدة التي روجت لأفكار دي سوسير اللسانية، وتصادمها مع العديد من نظريات التوليدية، وما تفرع عنها لاحقاً، كالوظيفية والبنائية والعرفانية وغيرها، مما هو مستجد في ساحة الفكر اللساني المعاصر. فظهرت المدارس اللغوية في أوروبا وأمريكا. وربما كانت أول المدارس التي قامت على أفكاره مدرسة

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ص: 24

* - المنهج التاريخي: هو وصف اللغة ببيان ما طرأ عليها من تغييرات، فهو يراقب تطور ظاهرة لغوية ما، ويرسم خطها البياني من حيث في استعمالها زماناً ومكاناً، وما يتعلق بها من جوانب تتم بقلة استعمال الظاهرة، وكترتها، وحياتها، وموتها مع بيان مجموعة من القوانين تحكم هذه الظاهرة، أما المنهج المقارن فهو بحث الظاهرة في أكثر من لغة، وهذه اللغات تنتمي إلى أرومة واحدة، أي أسرة لغوية واحدة، كالتالي اصطلاح عليها بالساميات والحاميات والهندو-أوروبية وغيرها، للتفصيل أكثر ينظر: سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 1982م. وينظر أيضاً: المرهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي(911هـ)، تحقيق مُجَّد أحمد جاد المولى ومُجَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُجَّد البجاوي، دار التراث، ط3، القاهرة.

براغ البنيوية التي ازدهرت سنة 1942م، وأفل نجمها 1957م عندما نشر العالم الأمريكي تشومسكي مؤسس النظرية التحويلية -التوليدية أول مؤلف له حمل عنوان (البنى النحوية).¹

فتعددت بذلك اتجاهات الدرس اللساني الغربي، وتفرعت لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة وإنتاج برامج مرتبطة بعلوم دقيقة كالرياضيات، وعلم المعلوماتية، فظهرت اللسانيات التطبيقية، والحاسوبية، والرياضية والاجتماعية، والعصبية والنفسية وهكذا دواليك، وكما هو معروف لدى الباحثين أنّ كل هذه التفرعات، كانت نتاج الطفرة التي أحدثتها اللسانيات الوصفية وما حدثها بينها وبين اللسانيات العامة التي تمثل المرجع أو المصدر الأم من تفاعل.²

ومن دون شك تأثرت الدراسات العربية بكلّ هذا التحول، تأثراً بالغاً لدرجة أصبحت فيها أروقة البحث الأكاديمي العربي، لا تتداول سوى المصطلح اللساني الغربي، بل وتنتهج نظرياته وتدعوا إلى الاستفادة من نتائج ما وصل إليه هذا العلم.

فكيف لهذا التأثير أن يطغى على فكرنا العربي؟ وكأننا لا نمتلك لغةً ولا تراثاً ولا علوماً؛ سوى ما استقدمته عقول المستشرقون، ومن تأثروا بالمنهج الغربية في حقب مختلفة من رحلاتهم، أو دراستهم لمرجعيات (دي سوسير وبمسيليف وهاريس وتشومسكي وغيرهم).

لذا فهذا الوضع يمثل ما يعرف عند النقاد والباحثين بأزمة التلقي - Receiving، لدى القارئ العربي الذي مارس عقله «كل ألوان الاجتهاد العلمي في ميادين علمية مختلفة، رغم أنّ هذه الاجتهادات كانت مؤهلة وجديرة بالتطوير والإثراء؛ وليس التجاهل والتهميش الذي يؤدي بها إلى الاندثار.»¹ وضياع الجانب العلمي للغة.

¹ - ينظر: خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير التحويلي والتطبيق اللغوي (بحوث في التفكير النحوي والتطبيق اللغوي)، ط1، 2004، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ص: 249

² - نهاد الموسى، نحو توصف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م، ص: 53

¹ - عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، عالم المعرفة؛ الكويت، 2001، ص: 247

تعدُّ قضية التلقي من القضايا الشائكة، نظراً لتقاطعها مع التراث والحداثة، وقد تناولها حاج صالح وآخرون، ممّن أمنوا بضرورة تغيير وجهة البحث والتنقيب، عن مرجعيات الفكر التراثي العربي الأصيل، لأننا أحيانا نجد ما أنجزه سيوييه والخليل من فكر، يفوق ما جاء به سوسير وتشومسكي وغيرهم، وهو متواتر حتى على لسان المستشرقين منهم، وهذا ليس انتقاصاً من قدر الآخر، أو دعوة للتغاضي عما أبدعوه، بقدر ما هو دعوة للاجتهاد العلمي السليم، وهذا الذي نصبوا إلى الإحاطة بجوانبه بعد حين.

3-المبحث الثالث: الجذور العلمية العربية للفكر اللساني الغربي :

لا يخفى على أحد من الدّراسين حجم التفوق والإبداع، الذي خلفه العرب القدامى في شتى ميادين العلم الإنساني، وبخاصة ما تعلق منه باللغة وعلومها، وما قعدوا له من تخصّصات كالنحو والبلاغة والمنطق وعلم الكلام وغيرها، من الفنون التي تسابقت عليها الأمم الغربية، للنهل منها، حين كانت تتخبط هذه الأمم في الظلام عبر حقبة كرنولوجية متفاوتة.

والحقيقة أنّ الدّراسات اللغوية العربية، «قد بدأت تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن الأول للهجرة، الموافق للقرن السابع للميلاد. وبدأت تظهر معها بعض المسائل اللغوية التي ناقشها اليونان والرومان وغيرهم، فمنهم من قال بأنّها وضعية اصطلاحية، وضعها العربي الأول لتيسير الاتصال، وتلبية المطالب الاجتماعية، كما نجد ذلك عند ابن جنيّ في كتاب ((الخصائص))،

ومنهم من قال بأنّها توقيفية أي أنّها إلهام من الله تعالى إلى عبده الأول آدم عليه السلام.¹ انطلاقاً من مسألة نشأة اللغة.

ثم إنّ هذا الطرح حول أصل اللغة، هو في الحقيقة إشكال قديم وجديد، تعدّدت حوله الدّراسات والبحوث إلى الآن، وقد عرّجنا على ذلك في مدخل البحث، وما يهّمنا في هذا الجانب تحديداً هو تناول الظاهرة اللغوية بكلّ أبعادها، وما وصلت إليه الجهود العربية المعاصرة في هذا الشأن.

فتناول العلماء العرب للظاهرة اللغوية متجدّزاً، وثابت من خلال أصوله البحثية، وقواعده التي أرسوها جيلاً عن جيل، وكان أول ذلك في (علم النّحو) الذي يمثّل جوهر اللغة السليمة، وإصلاح الألسن النطقية، وهو مبتغى علم اللغة، و«ميدان دراسته هو الجملة وتغيّراتها، وإنّ هدفه هو التعبير عن مفاهيم العقل في جمل محكمة البناء.»² وسليمة المباني.

والواقع أنّ هذا العلم قد تميّز به اللغة العربية، عن غيرها نظراً لامتلاكها قوة المعنى، والمبنى وسعة المفردات، وهذا لا يوجد في لغةٍ أخرى غيرها.

فمن باب إيراد ما يتناسب مع مسألة أولوية البحث اللّساني العربي، يمكننا الاستشهاد في هذا السّياق، بأقدم نص يمثّل ويؤرّخ لأرجح الروايات وأقربها حقيقةً ما قاله مُجّد بن سلام الجمحي عن بداية علم النّحو (ت231هـ): « كان أول من استنّ العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي... وإنّما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فعُلبت السليقة، ولم تكن

¹ - أحمد مومن، اللّسانيات النشأة والتطور، ط2، 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 36

² - Courtrai in Robins ,pp.88-89

سراة الناس يلحنون وجوه الناس، فوضع باب الفعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم.¹ وشرح عدّة مسائل ترتبط بالإعراب.

من المعقول أن يكون أبو الأسود وأصحابه ممّن تأثروا بمنهجه، من رجال الطبقة الأولى ينفضون أيديهم من بعض التصنيفات النحوية الأولية كمراتب الكلام، وأقسامه، وحركات الإعراب وغيرها.²

ثم إنّ هذا النصّ الذي رواه ابن سلام، وهو من العلماء الثقاة بالإجماع، سمعه «مّمّ كان يعرفهم من النّحاة وأقدمهم يونس بن حبيب وهو تلميذ أبو عمرو بن العلاء وأخذ أبو عمرو من تلميذي أبي الأسود يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم فبين الجمحي وتلميذي أبي الأسود رجلين فقط.»³ وهذا يؤكّد صحة الرواية.

رغم ما أثير حولها من نقد لاحقاً، إلا أنّها تعدّ نسخة مفقودة، وجوهرة فريدة، تلخص تاريخ العرب اللغوي، وانفرادهم بالريادة والأسبقية في تناول علوم لغتهم، وتقعيدها تحوّاً، وبلاغاً، وصرفاً وغيرها. وهذه الأعمال الخالدة تستلزم، إعادة فهمها، وتكليفها مع متطلبات الدرس اللغوي المعاصر.

وينبغي أن ننوّه في هذا المقام إلى مسألة مهمة، وهي أنّ مصطلحات اللغة العربية، وما اختصّت به من قوة، ومتانة في اشتراك ألفاظها ومفهوم الترادف، والاشتقاق، وعلم الدلالة وغير ذلك من السّمات، تعبّر كلّها عن النشاط اللغوي المتعلق بدراسة العربية، دراسةً علمية منتظمة

¹ - مجّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود مجّد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، 1394هـ/1974م)، ص:12

² - تمام حسّان، الأصول دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص:27

³ - عبد الرحمان حاج صالح، منطق علوم العرب، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص: 18-19

تتأسس على جمع المحتوى اللغوي واستقرائه وتحليله إستمولوجياً، من منظور وصفي، وبعد ذلك تُستخلص النتائج، وتصاغ على نسق قواعد ومعايير علمية محكمة تخدم اللغة.¹

قد يجدُّ الباحث في تاريخ العرب اللغوي فطنتهم، وحقاقتهم البالغة في الدراية بالمعنى، وأساليب وضعه في البنى الكلامية، وغيرها من المفاهيم اللسانية الحديثة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: « لما كانت العرب تضعُ الشيءَ لمعنى على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصةً بها، فرّق ذلك عندنا بين الوضع، والاستعمال، واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر.»² ونحو ذلك من المسميات.

فبداهة العرب و فطنتهم جعلتهم، يدركون أسماء الأشياء ومسمياتها، و يعرفون مواطن الوضع والاستعمال الخاص بكل معنى لغوي متداول، ليس هذا فحسب، بل اهتموا باللغة وأبجدياتها أكثر من أي أمة خلت من قبلهم. ولا بعدهم مثلهم، وكانوا أئمة الناس في الشعر واللغة والعلوم المختلفة والتاريخ يشهد على ما أبدعوه من شعر ونثر، ومصنّفات في علوم مختلفة. ممّا لا يمكن حصره ولا إيجازه.³

وما يهمنّا في هذا الجزء من دراستنا، هو تسليط الضوء على تناول علماءنا، للظاهرة اللغوية وجهودهم العلمية الراقية في ذلك، وتأصيلهم للقواعد والضوابط النظرية للغة، بمناهج قد تنافس أوتفوق، ما أبدعه الغربيون من نظريات. كما أنّ البحث عن مرجعيتنا اللغوية هو مطلبٌ، ومبتغى

¹ - ينظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 203

² - ابن خلدون، المقدمة، ط، بيروت، ص: 1062

³ - ينظر: السيوطي، المزهري في علوم اللغة، دار إحياء الكتب العربية، ط1958، 04م، ج/02، ص: 401

يستوجب النظر وسعة الاطلاع، على أهم ما ابتكره هؤلاء الجهابذة، من أسس ومناهج في تراث اللغة.

ذلك أنّ اللغة كما يرى جلّ الباحثين في اللسانيات، لا تقتصرُ على نظام واحد ولكنها «متعدّدة الأنظمة فلها نظامها الأصواتي، الموزع توزيعاً لا يتعارضُ فيه صوت مع صوت، ولها نظامها التشكيلي الذي لا يتعارض فيه موقع مع موقع، ولها نظامها الصّرفي الذي لا تتعارض فيه صيغة مع صيغة، ولها نظامها النّحوي الذي لا يتعارض فيه بابٌ مع باب، ولها بعد ذلك نظام للمقاطع ونظام للنّبر ونظام للتّنعيم.»¹ لذلك لا يمكن وصف اللغة معيارياً، خارج نطاق هذه الأنظمة مجتمعةً.

لعل ما عجزت عن تحقيقه البنيوية مع دي سوسير، والتوليدية مع تشومسكي وغيرهما، حقّقته العربية في تراثها، اللغوي والعلمي، لأنّها لغة لينة وهي ليست بدعاً من اللّغات، فهي تشمل في أبنيتها كلّ الأنظمة التي ذكرناها، وهذا ما أقرّه سيوييه والخليل من قواعد ومفاهيم صوتية وصرفية وتركيبية، كما سنورد نماذج ذلك في ما يلي.

¹ - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، المجلد/1، 1990ص: 66

3-1 براعة العرب في تأصيل الفكر اللغوي وأثره في اللسانيات المعاصرة:

إنّ الخوض في غمار الجهود التي قام بها اللغويون العرب، شاسع المناهل ومتعدّد المشارب، ولكننا سنبدأ كلامنا عن أهم، الكتب التي أرخت لنشأة علم اللغة العربي، وأرست مفاهيمه الجديدة التي استفادت منها جلّ اللغات السامية* فيما بعد، ولعلّ أبرز تلك المؤلفات التي مهدت، لنشأة الدّراسات الصوتية عند العرب، هو مؤلف (العين) للخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري(100هـ-ت170هـ) بدايةً من القرن الثاني للهجرة، الذي لُقّن النّحو لتلميذه (سيبويه 148هـ - 180 هـ)، وقد دأب الخليل في مؤلفه على دراسة مخارج الحروف، ومستوياتها الصوتية ببراعة.

ويتحدّث عنه ياقوت الحموي قائلاً: « بدأ فيه بسياسة مخارج الحروف (...) فرعم أنّ مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي من غير تكرير ينساق إلى ثني عشر ألف وثلاثمائة ألف، وخمسة آلاف وأربعمائة واثنى عشر، الثنائي منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين، والثلاثي إلى تسعة عشر ألف وستمائة وستة وخمسين، والرباعي إلى أربع مائة و واحد وتسعين ألفاً وأربعمائة، والخماسي إلى أحد عشر ألف

* - يطلق مصطلح (اللغات السامية) على لغات الأسرة التي تنتمي إلى الفصيلة السامية الحامية؛ طبقاً لتقسيم علماء اللغة للفصائل اللغوية في العالم. وأول من اطلق اسم (اللغات السامية Semetic Languages) على هذه الأسرة؛ هو اللغوي الألماني شلو تسر Schlzer. وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي سنة 1781م...ولاشك أنّ هناك فوائد كثيرة تعود على الدرس اللغوي، من معرفة الدارس باللغات السامية، فإنّه فضلاً عمّا تفيد هذه المعرفة، في الإلمام بتاريخ الشعوب السامية، وحضارتها ودياناتها، وعاداتها وتقاليدها...وقد تفتن الخليل في كتابه (العين)، إلى العلاقة بين الكنعانية والعربية، فقال" (332/1) : " وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية." لتفصيل أكثر ينظر: فقه اللغات السامية، تأليف المستشرق الألماني، كارل بروكلمان، تر: رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس، 1977، ص:4وماتلاها

ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألفاً وستمائة.¹ حتى أنّ هناك من نظم الترتيب الذي جاء به الخليل في أبيات شعرية تسهياً لحفظها:

ياسائلي عن حروف العين دونكما ❖ في رتبة ضمّها وزن وإحصاء
العين والحاء تم الهاء والخاء ❖ والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعه ❖ صاد وسين وزاي بعدها طاء
والتدال والتاء ثم الطاء متصل ❖ بالظاء ذال وتاء قاف بعدها راء
واللام والتون ثم الفاء والبهاء ❖ والميم والواو والمهموز والياء²

وهذا يدل على عبقريته في التمييز بين ألفاظ اللغة، فحاول استقرائها بدقة متناهية، وقد جمعها مشافهة من الرواة بمنهج رياضي، مدركاً أنّ الكلمة في العربية قد تكون ثنائية أو ثلاثية، أو رباعية وقد تكون خماسية، من خلال إمكانية تبديل حروف الكلمة إلى جملة من الاحتمالات، بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه، وهكذا دواليك حتى انتهى إلى إنجاز معجمه إنجازاً نظرياً، ومن ثم ضمّنه أمثلة حتى يميّز بين المستعمل والمهمل من ألفاظ اللغة.

لذا نجده قد أدرك المعايير اللسانية المثلى في التأليف المعجمي من جهة، واستنبط ما يسمى في النظرية اللسانية الحديثة (المورفيم-Morphème)، بما يعني عندنا الوحدة الصوتية الصغرى أي (المستعمل-user)، والمهمل في المفهوم الحديث يقابله مصطلح (مورف-Morphe). وكانّ

¹ - معجم الأدباء لياقوت الحموي، 1261/3

² - السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص: 90/89

الخليل تفتن إلى شيء في التطور التاريخي للعربية، وابتدأ كتابه بحرف العين واتبع في ذلك نظاماً صوتياً خاصاً، دون أن يتبع النظامين الألفبائي و الهجائي.¹

وهذا يتجلى فيما، سنعرضه من شواهد تتلج الصدر، استقاهها الخليل من الأثر والحديث الشريف، ففاس عليها وفسر من ألفاظا، ففي الحديث: ((أَجْنُكَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ)) قال الخليل: أي من أجل أنك، وتقول أجنك بمعنى: أجل أنك فحذفت اللام والألف.²

قال الخليل: وإن شئت طرحت ((من))، قال الكسائي والعرب تفعل ذلك تدع (من) مع (أجل) و حديث آخر: ((مُؤَارِبَةُ الْأَرِيْبِ جَهْلٌ وَعِنَاءٌ))، وذكر أن المُوَارِبَةَ مدهنة الرجل ومخاتلته، كما ذكر أن الأريب لا يندع عن عقله.³ والشواهد التي استقاهها الخليل من الحديث النبوي كثيرة، لا يمكن حصرها في فقرات، وهذا في الحقيقة يدل على سعة اطلاعه، وامتلاكه لآليات توظيف المفاهيم، ودرايته الواسعة لمعاني الألفاظ، وأساليب وضعها وتموضعها في أبنية الجمل.

أما الشواهد من الألفاظ المتداولة، والتي رتبها على أكمل وجه وفق نظام صوتي متميز، فيمكن ذكر بعض منها، كالآتي:

1- « باب العين والطاء والثاء معهما:

(ث ع ط - ث ط ع) يستعملان فقط

- ثعط :

¹ - ينظر: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، سلسلة

المعاجم والفهارس، ج1، ص:09

² - معجم العين، 178/6-179

³ - هادي عطية مطر الهلالي، زيادة الاستشهاد بالحديث والأثر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، ساعدت جامعة بغداد على

طبعه، 1991، ص: 8-9

- التّعيط : دفاقٌ رملٍ يسيرُ على وجه الأرض تنقلهُ الرّيحُ

- الثّطع: الثّطعُ من الرّكّام. تُطعُ فهو مثطّوع، أي: مزكوم

2- باب العين والطّاء والرّاء معهما:

(ع ط ر) فقط

- عطر

- العطر: اسمٌ جامعٌ لأشياء الطّيب

وحرفة العطار: عِطارةٌ

- ورجلٌ عطرٌ وامرأةٌ عطّرةٌ، إذا تعاهد نفسه بالطّيب.

- قال أبو ليلى: امرأةٌ معطّير، وأنشد:

يَتَبَعْنَ جَاباً ❖ ❖ ❖ كَمَدَقِ المِعْطَرِ

يصفُ حمار الوحش¹ و سارَ الخليل، على هذا المنهج في ترتيب الحروف من الثنائي، إلى الثلاثي والرباعي، مراعيّاً توليد كلّ لفظ على حسب المعنى الموضوعي الدقيق له.

أليست هذه الملكة في الترتيب والتصنيف، المعجمي التي اختصّ بها الخليل، جديرةً بإعادة تنظير مصنّفه المنفرد؟ الذي يعدُّ تفوقاً في الدرس الصّوتي، واللّغوي العربي يضاها ما وصلت إليه أحدث نظريات الاتجاهين البنيوي، والتوليدي وغيرهما.

¹ - كتاب: العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج2، ص: 7-8

ثم إنّ المتمعن في مؤلف (العين) يجد أنّ الخليل قد ركّز على انتقال الحروف، في مورفولوجية الكلمة معتمداً «في هذا الإحصاء على تنقل الحرف في بنيته من الكلمة، فالحرف في الكلمة الثنائية ينتج عن تنقله صورتان يكون أولاً ويكون ثانياً، والحرف في الكلمة الثلاثية ينتج عن تنقله صوراً ثلاث أولاً وثانياً وثالثاً، والحرف في الكلمة الرباعية ينتج عن تنقله صور أربع، وفي الكلمة الخماسية صور خمس. ولا شك أنّ هذا الاستقصاء ثم الاستصفاة اقتضى من الخليل جهداً، حثيثاً وفكراً كبيراً.»¹ ودقة في المعاينة البحثية.

يضاف إلى ذلك أنّه، لم يقتصر على تأليف معجم (العين) الذي ذاع صيته فحسب؛ بل ألف عدّة مصنّفات منها: كتاب (فائت العين)، وكتاب (العروض)، وكتاب (الشواهد)، وكتاب (النقط والشكل)، وكتاب (النغم)، وكتاب (معنى الحروف)، وكتاب (العوامل)، وكتاب (الإيقاع)، وكتاب (تصريف الفعل)، وكتاب (التفاحة في النحو)، وكتاب (جملة آلات الإعراب)، وكتاب (شرح صرف الخليل)، وكتاب (الجمال)، وكتاب (المعنى)، وغيرها.² كما يعدّ المؤسس الأول لعلم العروض والأوزان الشعرية، وكان له جانب من الاهتمام بالموسيقى والتّغيم وفنون المنطق.

¹ - رحاب خضر عكاوي: الخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري، ص: 68-70

² - ياقوت الحموي: معجم الأدباء 1/461. ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/246. د/رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام 3/123. د/رحاب خضر عكاوي: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، ص 26، 27.

فمن الأمانة أن يثمن البحث اللغوي الإنساني، ما قام عليه منهج الخليل، في دراساته الصوتية، وما استحدثه من مصطلحات جديدة: (كالصّوت والمجرى والحرف والسّاكن والمدّ واللّين، وحروف الهجاء، والمذلفة وغيرها)، وهو أوّل من نظّر للدرس «الصّوت اللغوي مفردًا، معزولًا، ومجرّدًا عن سياقه، وذلك في مقدّمة معجمه (العين)، وهو ما سمح له بترتيب معجمه مستندًا إلى الصوت المعزول والمجرّد، مبتدئًا من الحلق ومنتهيًا بالشفيتين. وهذا ما جعله يدرس أعضاء النطق ويصنّف الأصوات على صحيحه "voyelles"، وصائفة "consonnes".»¹

فبهذا العمل الخالد أثرى الخليل، الدّراسات العربية الحديثة، حين استفاد أئمة اللغة منها، وحافظوا عليها بمضامينها وألفاظها ودلالاتها، اللهم إلّا في بعض المسائل، والترتيبات التي ارتأوا التعديل عليها، أو اجتهدوا فيها زيادة على ما قصد، جيلًا بعد جيل، وإتّما بفعلهم هذا أرادوا توسيع بعض المصطلحات النّحوية²* ونقلها بالتواتر والمشافهة، حسب حاجة الاستعمال.

ولاريب أنّه رحمه الله، قد نهل من شيوخه التّزر الوافر من العلم، ثمّ إنّ أشهر تلامذته سيبويه لم يكن بالمطلق مقلدًا، بل متّبعا لمنهج أستاذه وقد دعم نظرياته وأغلب ما جاء به، حتّى وإن خالفه في مطارحة بعض المسائل كما سيأتي بيان ذلك لاحقًا، وقد جاء بعده الأخفش والمازني، وبروز ما عرف ب(مدرسة السّراج)، التي ضمّت فطاحلة من العلماء، أمثال: أبي علي الرماني، والسّيرافي والزجاجي ثمّ ابن جنيّ، وبعدهم بزمن طويل الرضي الأسترابادي، الذي يعدّه أهل العربية من أروص العلماء، وأكثرهم أصالةً وهو شاذ في زمانه وسيد عصره.³

¹ - سالم مبارك مُحمّد حسن بن عبيدالله. نحو و صرف، منصة أريد، تم الاطلاع بتاريخ: 2021/06/17 على الرابط:

<https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/f3c5e56d-3f5a-4cbb-93ba-df3e4c00a642>

² - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، ج1، موفنم للنشر، الجزائر 2012، ص: 20

* - والذي نقصده بإشارتنا إلى المصطلحات النّحوية، هو تلك المفاهيم التي برع فيها العرب، وفي هذا الصّدّد يشير البروفيسور: هشام خالدي بالقول: «يتّضح من تاريخ تكون المصطلحات اللّغوية المعاصرة، أنّها بدأت بداية متواضعة عند الطهطاوي(1-18-1872)، وذلك عندما حاول

حتى أنّ أحد العلماء المتصوفة، وهو سفيان الثوري يقول عنه: « من أحبّ أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب، والمسك فليُنظر إلى الخليل ابن أحمد الفراهيدي.»¹ وهذا قول يصف مقامه، ونبيل شخصيته الروحية.

لا غلّو في تميّز الخليل، في نظره الحكيمة للظاهرة اللغوية، وتأمّلاته التي غلب عليها الفكر الرياضي، لأنّه استطاع الجمع بين عنصر الصّوت، واللغة في تحليل الظاهرة اللغوية، حيث يقول الدكتور المخزومي في هذا الصّدّد: «أنّ الخليل أوّل من التفت إلى صلة الدّرس الصّوتي بالدراسات اللغوية، الصّرفية والتّحوية، ولذلك كان للدراسة الصّوتية من عنايته نصيب كبير، فقد أعاد النّظر في ترتيب الأصوات القديمة، الذي لم يكن مبنياً على أساس منطقي، ولا على أساس لغوي، فرتبها بحسب المخارج في الفم، وكان ذلك فتحاً جديداً، لأنّه كان منطلقاً إلى معرفة خصائص الحروف وصفاتها.»² ودلالاتها المختلفة.

يعدُّ هذا الابتكار الخليلي، في الحقيقة تأصيلاً لعلم الأصوات - **Phonetics***، في تراثنا العربي، يضاهاي المعايير العلمية الغربية لهذا العلم، الذي لاغنى عنه في تعليل مسائل التّحو. والسّر في براعة الخليل يكمن في توظيفه لأساسيات وضع التّظرية استناداً على مفاهيم علمية (الإحصاء

أن يبيّن عدد اللّغات الأوروبية القديمة والحديثة.» للتفصيل أكثر ينظر: أ.د هشام خالد، آليات صناعة المصطلح اللّساني الحديث، مجلة، آفاق الثقافة والتّراث، قسم الدّراسات والنّشر والشؤون الخارجيّة، بمركز جامعة الماجد للثقافة والتّراث، ع23، 2015، ص: 22

¹ - أحمد عفيفي، المنظومة التّحوية للخليل ابن أحمد الفراهيدي، أعدّه للطبع: مجّد الصليبي، ط1، 2000م، ص: 07

² - ينظر: مهدي مخزومي: في التّحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي البائي وأولاده، 1988ص: 04

* - والحقيقة أنّ هذا العلم قديم لأنّه، تأسس مع مطلع القرن التاسع عشر مع فرديناند دي سوسير، وجديد لأنّه واحد من العلوم التي تقوم عليها كلّ لغة، فاللغة أصوات تتألّف منها كلمات، تنظم في جمل فتؤدّي معاني شتى، وهذا ما يدل عليه قول ابن جيّ في تعريفه للغة، على أنّ اللغة أصوات يعتر بها كلّ قوم، يضاف إلى ذلك تفوق الخليل، في مجال الدّراسات الصّوتية، وبلورة مفاهيم الدّرس الصّوتي. للتفصيل أكثر ينظر: مقال:

لنيفاء حسان: 143 | Al-Ta'rib, Journal Pendidikan Bahasa Arab Dan Kebahasaaraban Vol. 6, No. 2, 2018

والاستنباط و التحليل والوصف والتصنيف..)، عالج بها تداخلات الظاهرة اللغوية في معجمه. بمنهج علمي راقى، فجاءت مقدمة (العين) على إيجازها، أول مادة في علم الأصوات دلت على أصالة علم الخليل، وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول.¹

إنّ هذا الاهتمام والعمل الجبار الذي أولاه الخليل، حين ربط الصّوت باللغة، واعتبره امتداداً للمستويات البنيوية والتركيبية للغة، يحيلها إلى إكتساب صفة المرونة الدلالية، ويصنّف تقسيماتها بصورة جليّة، تيسّر للباحث التعامل مع الأبنية اللغوية.

يتطابق هذا مع ما وصل إليه (دي سوسير) بعد قرون خلت، وكأنّه يتّبع نفس منهج الخليل في كلامه عن بنية اللغة، حيث يقول سوسير: « إنّ المادة الصوتية ليست أكثر ثبوتاً، ولا أشدّ تحديداً من الفكر: وهي ليست قالباً يصب فيه الفكر بالضرورة؛ بل هي مادة مرنة تنقسم في كل حالة إلى أجزاء متميزة لتوفر الدوال- Significes التي يحتاج إليها الفكر. وبذلك يمكن أن نتصور الحقيقة اللغوية في مجملها على أنّها سلسلة من التقسيمات المتجاورة التي حددت على مستويين: المستوى غير المحدد للأفكار المكدسة، ومستوى الأصوات... إنّ الدور المميّز للغة بالنسبة للفكر ليس وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر والصوت، في ظروف تؤدي بالضرورة إلى التمييز المتبادل لوحداث الفكر والصوت.»²

ولا مبالغة في القول، أنّ الخليل كان له دور كبير في ما يصطلح عليه لسانياً، بالتصحيح اللغوي- Language correction، أو علم التصويب، فكان نموذجاً مثالياً لما لحق من أتباعه، وقد تأثروا بتفسيره للمفاهيم اللغوية ومعلولاتها، وبسطها للمتلقّي بأسلوب علمي دقيق، حدّد من خلاله جوانب هي بمثابة المعايير، إذا ما قورنت بالنظريات اللسانية الحديثة، وهي:

¹ - كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم

والفهارس، ج1، ص: 10

² - دي سوسير، علم اللغة العام، ص: 131 وما بعدها

الجانب الصّوتي والبنوي، وحركات البناء والإعراب لهذه الألفاظ في التراكيب النّحوية وجانب الدّلالة الأصليّة والفرعية للألفاظ وسياقاتها الصرفية وغيرها من المسائل المهمّة.¹

مات الخليل ولم يمت علمه، ولن تستوفي كتب العلم الإحاطة بكلّ ما قام به، « فسيرته لم تمت هي بموته الجسدي، فهو حيٌّ بعلمه وعلم حواريه الحاضرين، كما علا شأنه أيّما علو بعقري كبير أقلّ منه كعباً وقامه هو سيبويه العظيم؛ الذي عملَ على إخراج أماليه في سفر كبير يتجاوز الألف ورقة، مبتغاه دراسة اللغة، واستخراج قوانينها العامة وجمع مفرداتها، فنهج الطريق لطلابه لأخذ النّحو على أنّه مجموعة القواعد والأصول العامة، وكما نزجي الفضل في هذا المقام لأبي الحسن الأخفش، الذي أطلق على عمل سيبويه اسم (الكتاب) تحرّجاً من أن يعطي له اسماً لم يعطه سيبويه، ويتعدى فضله أكثر بتنبهه إلى قيمة الكتاب، الذي لا مثيل له في اختصاصه فأجازه، وباركهُ وقال عنه: "إنّه الغاية في استخراج مسائل النّحو وتصحيح القياس"² ومسائله.

فالمصنّف الذي أبدعه سيبويه (148 هـ - 180 هـ) يمثل طفرة منفردة في تأصيل قواعد النّحو العربي، من حيث إخرجه وتقييده للمفاهيم النظرية الأولى التي انبنى عليها، وسنحاول تقديم قراءة توصيفيه حول مصنّفه (الكتاب)، مع تحليل أهم ما جاء فيه من مسائل حول النّحو واللغة، ومقاربتها مع أحدث التّطبيقات اللّسانية المعاصرة، والنظر في ذلك بغية إدراك مختلف التقاطعات الفكرية والعلمية للمنهجين اللغويين العربي والغربي.

¹ - ينظر: هادي عطية، مطر الهلالي، ريادة التصحيح اللّغوي وتصويبه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، 1991، ص: 08

² - صالح بلعيد، الخليل ابن أحمد عبقرى العرب، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد الأول، 2006، ص: 12-13

3-2-1- سيويه وفكره اللغوي بين (المرجعية التراثية والمقصدية العلمية):

تميّز عصر سيويه في تاريخ الفكر العربي، بالتأليف والتدوين، ونقصد القرن الثاني للهجرة «وبأخذ الكتب المؤلفة مناهج خاصة ومنظمة»¹ خاصة وأنّ هذا العصر قد بلغ في البحث اللغوي العربي ذروته، تحديداً في عهد شيخه الخليل، الذي حفّزه للمضي قدماً نحو اتباع منهج البحث والتأمل الفكري، لكل ما يتعلق باللغة من ظواهر.

فمصنّف (الكتاب) الذي جمع فيه سيويه أبواباً شتى، ومثّل لها بما تقتضيه من شواهد؛ فكانت بدايةً منتظمة لقواعد النحو العربي، ويرى الدكتور مُجّد كاظم البكاء² في تقويمه لمنهج سيويه أنّه كان «منهجاً منطقياً جرى عليه صاحب الكتاب في تصنيف الأبواب، وترتيبها فبلغ البحث حاجته، وأدرك هدفه»³ منهجاً وأسلوباً.

وقد طبع لعدّد من النسخ وتم التحقيق فيه، من طرف باحثين كثير، وأثيرت حول بعض الطّبّعات جملة من النقود، تتعلق بالحذف والاختصار، الذي طال الطّبّع والنشر، ممّا أدّى إلى تحريف الكثير من المفاهيم النحوية عن أصلها، ومقصديتها التي أرادها سيويه.

علق عليه يقول عبد الرحمان الحاج صالح : « والغريب أو ما يبدو أنّه غريب أنّ هذا الكتاب على الرغم من قدمه، فإنّه يحتوي على جميع ما عرف بعد سيويه من أبواب النحو والصّرف وجمع

1 - أحمد كمال زكي، الحياة الأدبية للبصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط1، دار الفكر، دمشق، 1961م، ص: 150

2 - مُجّد كاظم البكاء، منهج كتاب سيويه في التقويم النحوي، تقديم: د. خديجة الحديشي. و د. مُجّد ضاري حمادي.

ط1، بغداد 1989م ص: 450

* باحث ومدقق لغوي وعضو بالاتحاد الدولي للغة العربية، وقد أعدّه وهو في مرحلة الدكتوراه لطبع كتاب سيويه، و اعتمد على أقدم النسخ من الأصول التي اعتمدها نشرة هارون، وفي هذا الصّدّد يقول: " اعتمدت في التحقيق على نسخة كاملة نفيسة لم يطلع عليها أحد، وفيها إضافات مهمة ومخالفة للذين نشروا الكتاب، " ومزايا هذه الطبعة تكمن في التّصنيف المنهجي والتبويب الذي يسهل الإفادة، على عكس بعض الطّبّعات التجارية الرديفة، كطبعة إميل بديع يعقوب، التي كانت عالية على نشرة هارون، ومثلها أيضا طبعة مُجّد فوزي وهي عالية على نشرة بولاق وغيرها، ومزيد من التفصيل ينظر: مُجّد جمعة الدّربي، حاجة سيويه إلى تحقيق جديد، مجلة العرب، دار اليمامة السعودية العدد56، ج1 و6، ص: 26

ما اشتهر بعده من مسائله، فهو عمل ناضج تمام النَّضج، وبما أنه - لم يسبقه على أصح الأقوال - أي كتاب يماثله في غزارة المادة والدقة العلمية (...)، إلا أنّ هذا لا يعني أنّ النظرية العلمية للغة التي يعتمد عليها، هي التي نعرفها اليوم من خلال ما قاله المتأخرون من النحاة، مثل ابن مالك في ألفيته... أو مثل أبي البركات بن الأنباري قبله، أو ابن هشام صاحب (أوضح المسالك وغيرهم)، فقد مضت أكثر من 40 سنة مضت على جهود بذلناها، لمعرفة هذه النظرية القديمة، فاتضح لنا الفرق الكبير الذي يميّز المنظور العلمي الدقيق لسيبويه وشيوخه وتلاميذه للغة، وكيفية تحليلهم لها بناء على هذا المنظور.¹ الذي اقتنع به حاج صالح، وبذل حياته الفكرية والعلمية في سبيله.

بني سيبويه كتابه على التوثيق والتثبت، من مصادره العربية الأصيلة، فهو يتحرى « الدقة في العرض، ويعنى بتمييز الصريح من المشوب والتببيه على ما يصادف من المنحول.»² يظهر ذلك في أسلوبه الموجه للقارئ، وقد أشار إلى هذا علماء كثير، ومن ذلك قوله: في مواضع مختلفة ((حدّثني من أثق بعروبيته))³، وقوله: ((أخبرني الثقة))⁴ وهذا اثبات على أصالة المرجعية التي نهل منها سيبويه.

ولا يخفى اطلاعه على جهود من سبقوه من العلماء، و ذكر أرائهم، واستشهد بمقولاتهم في كثير من مسائل النحو، كعبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، وعيسى بن عمر الثقفي (ت149هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)، ويونس بن حبيب (ت183هـ)، إضافة

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، بحث ألقى في الجلسة الخامسة للمؤتمر المنعقدة وم السبت 21 من شوال

سنة 1414هـ الموافق ل2 من أبريل (نيسان) 1994م

² - على النجدي صالح، سيبويه إمام النحاة، ص: 150

³ - الزبيدي، طبقات النحويين واللّغويين، ص: 67

⁴ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص: 64، الففطي، إنباه الرواة على أبناء النحاة، 350/2

إلى آراء أستاذه الخليل، أمّا التّحويين الذين جاءوا بعد سيبويه كثير، كما تذكر ذلك كتب الطبقات، كالأخفش سعيد بن مسعدة، الذي تتلمذ على يديه العديد من العلماء، منهم أبو عمر الجرمي (ت220هـ)، وأبو اسحاق الزيادي (ت249هـ)، الذي يعدّ أول من ألف كتاباً بعنوان (شرح كتاب سيبويه)، وأبو عثمان المازني (ت248هـ)، الذي وضع كتاب (التّصريف)، وأبو العباس مُجّد بن يزيد المبرّد (ت285هـ)، في مصنّفه (المقتضب)، فهذه الفترة الذهبية من القرن الثاني للهجرة، توسعت فيها دائرة التّأليف وكثر المشتغلين بعلوم اللغة لاحقاً، كالكسائي (ت197هـ)، والفراء (ت207هـ)، وابن جيّي (ت377هـ) وغيرهم.¹

ومن باب عزو الفضل لأهله، فإنّ سيبويه تميّز في أسلوبه العلمي الرائع، حين نظر إلى الظاهرة اللغوية، نظرة شمولية؛ فتناول في كتابه عدّة مفاهيم (كالتّصريف والمعنى والتّظهير والدلالة) وغيرها من المصطلحات، التي استحدثها ولم يكن للعرب بما عهد قبل ذلك، لأنّ جلّ العلوم المنضوية تحت العربية، لم تتّصف حينها بالمعيارية. وسنحاول تقديم جملة من النماذج التّظهيرية التي برع في تنظيرها سيبويه، منهجاً وتأصيلاً.

3-2-2-1 السياق عند سيبويه:

عمل سيبويه على تصنيف أوجه الكلام، بحسب الوضع وما يفرضه المعنى على المبنى، وهذا المستوى من التّظهير نجده في بعض المضامين من النظريات الغربية الحديثة، التي تحدّثت عن مصطلح السياق-Context، رغم أنّها لم تتوسع فيه والسبب يرجع إلى ضعف اللغات مقارنة بالعربية، التي من سماتها كثرة الاحتمالات التي تستوعب السياق.

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005م، ص: 40

حيث يقول سيبويه: « فأما المستقيم الحسن (المقبول من ناحية المبنى والمعنى) فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غداً، أما إذا حدث اختلاف بين المعنى والمبنى، فإنّ السّياق يحتل ويختلف " نظراً لوجود تناقض بين أول الكلام وآخره من خلال نقض الواقع، فيصير محالاً لا واقعاً" نحو قولك: " أتيتك غداً، وسأتيك أمس".¹

يفهم من هذا تقسيم سيبويه للسّياق إلى حالي، ومقامي حسب طبيعة التركيب من جهة، وواقعية حصوله كفعل من جهة أخرى، « فالتركيب فصل بين الممكن واللاممكن»²، وهذا التحليل البارع، والتأصيل الراقي الذي قام به سيبويه، يستحق أن ينظر، ويستساغ منه الكثير من النظريات اللسانية الحديثة.

إنّ ما يجعل السّياق مترابطاً، إنّما هي ظواهر في طريقة تركيبه، وورصفه، ولولاها لكانت الكلمات المتجاوزة غير آخذ بعضها بحجز بعض، في علاقات متبادلة تجعل كلّ كلمة منها واضحة الوظيفة في هذا السّياق.³

والحقيقة أنّ ارتباط السّياق بالكلام، حتمي لغرض تبليغ أي خطاب إلى السامع، وفي هذا الصّد يقول الزمخشري: « وتساوقت الإبل أي تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه؛ أي على سرده.»⁴ ومقصدته المطابقة للمعنى نفسه.

¹ - الكتاب 1 / 25 بتصرف.

² - Stephen. C. Levinson Pragmatics Cambridge University Press, 1983,P,97

³ - ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص: 199-200

⁴ - أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م، (سوق)

لذلك يصنّف السّياق في المدلول اللّساني، بمعنى السّرد والكلام المتسلسل، كما جاء ذلك في المعجم الوسيط: « ساق الحديث أي سرده وسلسله، وساوقه أي: تابعه وسايره وجاراه..، وسياق الكلام أي تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.»¹ في التركيب.

ثم أنّ اللغويين والأصوليين يصفون السّياق بمفهوم المقال، والحال في الكلام بنية، وتركيباً على حسب المقصود من صاحب الكلام، والمقام يمثل أيضاً البيئة اللغوية، وفق قرائن معينة تشمل كل، وحدات الكلام السّياقية.

اجتهد الباحثون في تبيان حقيقة السّياق، و وظائفه داخل النّص؛ فوضعه ضمن إطار اصطلاحي مفاده، أنّ السّياق يمثل البيئة اللغوية التي تحتوي، الكلام بوحداته (مفردات - جمل) الخطائية، التي تمثل مستويات اللغة الأربع، من صرف، وصوت، ونحو، ومعجم، وهذا يقتضي موقف الحال المعنوي لا الكلامي، وهو مصاحب للمكون الكلامي، في كلّ وحدة كلامية محكية، وبمعنى أدق وأقرب. يمكن ربط الحال كعنصر غير لغوي له علاقة بشخصية المتكلم، والمخاطب من ناحية التأثير، وقوة القول، ومناسبته، وفق ملاسبات وقرائن معيّنة.²

فالسّياق لا يخرج عن نطاق الكلام، وهو « القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسنُ الشُّكوت عليه.»³، وعلاقته بالمكون التركيبي للجملة، تتحكم في قوته وأثره في النّص على مستوى المعنى.

¹ - المعجم الوسيط مادة (س و ق)

² - ينظر: عرفة عبد المقصود عامر حسن، السّياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي، ص: 04

³ - ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وتعليق، مازن المبارك مُجّد على حمد الله، مراجعة: سعيد

الأفغاني - دار الفكر - بيروت، ط1، 2005م، ص: 357

على التقيض من ذلك، فإنّ اللغويون الغربيون، يعتبرون السياق نظرية، في علم اللغة الحديث، وقد مثل هذا الاعتقاد لاحقاً الحجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية، التي أسّسها (فيرث).
JR FIRTH (1890-1960) في بريطانيا، حيث وسّع نظريته اللغوية من خلال معالجة، ومراعاة جميع الظروف لتحديد معنى السّياق، محاولاً اثبات حقيقة وصدق مقولة أن «المعنى وظيفة السياق»¹. والحقيقة أنّ المعنى في اللغة تتعدّد وظائفه في التركيب البنائي للجملّة أو الكلام، ولا يمكن التركيز على الجانب الاجتماعي دون سواه.

أمّا الدّراسات اللغوية الحديثة، فتعتبرُ السّياق من أكثر المصطلحات تعقيدا وصعوبة؛ بالنظر لعلاقته المهمّة كنظرية دلالية، من أكثر نظريات علم الدّلالة (Semantics) تماسكاً وأضبطها منهجاً.²

لقد أولى سيويوه العناية بالسياق اللّغوي، وسياق الحال عنايةً كبرى، وبنبغي التّنويه إلى أثر هذين السّياقين، في مباني التراكيب، من حيث الذكر أو الحذف، أو التقديم والتأخير، أو التوجيه لتّحوي والحكم بصحة التركيب أو إحالته. لأنّ السياق يسهل عملية ربط الكلام وبناء النّص بناء محكماً في بدئه، وخاتمه، والحبكة بينهما فكلّ هذه الظواهر اللغوية، وغيرها لها علاقة بالسياق عند سيويوه، رغم أنّ الخليل قد اعتمد ذلك على نحو مبهر في تقييده التّحوي، وبيان مبنى التراكيب ودلالاتها.³

¹ - ينظر: أحمد مختا عمر: علم الدلالة 68، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م

² - ينظر: البحث الدّلالي عند الأصوليين، مُجّد يوسف حبّص 28، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م

³ - ينظر: مُجّد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ص: 335

وقد سأل سيبويه شيخه الخليل، عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (سورة الزمر - الآية: 73) فأجابه بالقول: « إنَّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأيّ شيء وضع هذا الكلام.»¹

وهذا إن دَلَّ فإتِّمًا يدلُّ على فطنة العرب المبكرة، بالاستشهاد ممَّا جاء في القرآن الكريم، لتثبيت الأحكام والقواعد النَّحْوِيَّة، والنتائج الكلية، والخروج بالمبادئ والنظريات التي تمثِّل العلوم والمعارف.»²

فالباحث حين يتصفح المدونات العربية الكبرى. * يدرك أيضاً كلام النَّحاة العرب، واللغويين الأوائل عن مصطلح الدَّلالة، بشيء من التفصيل أكثر من غيرهم، وهذا نظراً للارتباط الوثيق بين الدلالة، والسِّيَاق في أبيئة الكلام، والجملَة وغيرهما من مسائل علم اللغة.

بالمجمل لا يمكن الإحاطة بكل الجهود التراثية العربية، في جزئيات من هذا البحث، أو أي بحث آخر، وإتِّمًا حاولنا الوقوف، عند بعض من النماذج المهمَّة، في ميدان الدِّراسات اللغوية العربية، ومقاربتها مع نظيراتها في التراث الغربي، بغية ردِّ الفروع إلى الأصول، وتنبهها للقارئ الكريم والباحث الشغوف، إلى وجود ما يغنيه عن ضرورة التلقي المطلق للمصطلحات، والنظريات الغربية المتباينة في أغلب مرجعياتها.

¹ - الكتاب، سيبويه، المجلد 103/3

² - ينظر: من ملامح المنهج العلمي عند علماء العربية، ص: 81

* - بالمدونات العربية القديمة، كلِّ ما أنجزه العرب القدامى في ميدان البحث اللغوي بداية من المصادر التي تحدَّثت عن الأدب والشعر، ومرحلة ظهور الإسلام الذي مهد بروز النَّحو العربي، تفادياً لما وقع من لحن في اللغة، فأبدع الدُّولي في تأصيل أبجدياته، ومن ثم تأسست ملامح الدرس اللغوي من خلال علماء كثر أمثال، الخليل وسيبويه، والجرجاني والفيروز آبادي وغيرهم، للتفصيل أكثر يراجع: كتاب: نظرات في التراث اللغوي العربي للدكتور عبد القادر المهيري، وكتاب: النَّظريَّة في التراث اللغوي العربي لمحمد عبد العزيز محمود عبد الدَّائم.

من ضمن المفاهيم أيضا التي أسّس لها علماءنا العرب، وقعدوا لها قواعد تضاهي بتصوراتها كل ما وصل إليه الفكر السويسري، والنظريات التوليدية، والتحويلية بعهود طويلة، مفهوم الجملة وعلاقتها باللغة، والتركيب والدلالة والسياق ونحو ذلك.

4- أزمة اللسانيات العربية المعاصرة بين (التأصيل العربي والتعليل الغربي):

من المعروف أنّ الباحثين العرب، الذين دأبوا على البحث والنقد والتأليف في ميدان الفكر اللساني، كعلم غربي حديث، قد وقعوا في صعوبات جمّة، كلّما حاولوا أن يقدّموا لجمهور المثقفين، ما جمعه من محتوى فكري معاصر، إمّا من خلال جهودهم أو من خلال النقل عن غيرهم من العلماء. ثمّ إنّ الخطاب اللساني المعاصر، لم يعد على نفس الوضع الكلاسيكي، نظراً لاتساع منافذ البحث، وتعدّد توجهاته الفكرية.

والحقيقة أنّ الجيل الجديد من الباحثين، ممن تقفوا منهج أصحاب لسانيات التراث، تحذوهم الرغبة لمطلب تغيير اتجاه اللسانيات العربية، وتوصيف مرجعياتها قياساً على التراث، ما يجعلهم في نظر الوصفين « أشبه بمن يطالب بالرياضيات العربية أو الفيزياء العربية أو الكيمياء العربية وغيرها، بل إنّنا قد نخرق بذلك منطق العلم في حدّ ذاته، من حيث هو تناول للظاهرة سواء كانت الإنسان أم الطبيعة، بغضّ النظر عن الخصوصيات النوعية، أو المحلية التي قد تعتري هذا أو ذاك.¹ وهذا المطلب شرعي بكل المقاييس، فلو أنّنا استثمرنا في ما مضى من حقب، تراثنا وأدركنا الفهم الجيّد لمعارفه، ومصادره لما آل بنا الحال، إلى قراءة علومنا بمرجعيات وخلفيات غربية وغربية.

¹ - يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، أصوله، مفاهيمه، إجراءاته: عبد الرحمان الحاج، عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري، نماذج، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: بشير إبرير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، 20113، ص: 436

من المهم إجمال هذه الصعوبات، في عسر المحتوى اللغوي من جهة (المصطلح الغربي)، ومن جهة أخرى اللبس في تقريب المفاهيم اللسانية، إلى مدارك القارئ أو المتعلم الشغوف إلى نيل علوم اللغة، ويمكن حصر هذا في المشكلتين الآتيتين:

1- مشكلة اللغة العلمية والمصطلحات: وهذه أزمة لازالت تقسم ظهر البحث

اللساني العربي، كلما أراد الكشف عن هذه المصطلحات الغربية، بما يمكن أن يمثّلها في تراثنا اللغوي الغني.

2- مشكلة الأوهام العلمية الشائعة المسلمة: وهذه أكثر تعقيداً من الأولى لكونها،

تبنى على المسلمات، والقواعد المجردة التي لا تحقق غاية اللسانيات كعلم.¹

فمن دون شك أنّ هذه المشاكل التي تعترض المنظرين العرب، تحتاج في اعتقادي إلى تغيير للذهنيات العملية تجاه تراثنا، وقد نادى عبد الرحمان حاج صالح بهذا على الدوام، فهل يعقل أن كل ما لحقنا من تراث لغوي قد تم فهمه، وإدراكه، وتحقيق ما جاء فيه؟

- والسؤال الأهم هل أسست تلك النظريات الغربية، على ما يخدم تراثنا اللساني الأصيل؟

خصوصاً وأنّ تعاملنا مع هذه النظريات بالتسليم المطلق، قد يحدّ بنا من دون شك عن سبيل الوصول إلى كل ما هو أصيل، ومتأصل في لغتنا، مع علمنا أنّ « اللسانيين العرب و المسلمين لهم دورهم في الدرس اللغوي، كما كان لهم فضل الريادة في كثير من الآراء، في مجال تصنيف الأصوات، ووصفها، وتحديد مخارجها نظرياً عند الخليل، وسيبويه وابن جني، وعلمياً عند السكاكي الذي وضع أول رسم تشريحي يبيّن مخارج الأصوات اللغوية فيما نعلم. وهذا أمر لم تعرفه الدراسة

¹ - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر - الجزائر 2012م، ص: 11

الصوتية المعاصرة إلا حديثاً.¹ من خلال بروز تقنيات التصوير الإشعاعي والكشف وغيرها من مسائل الطب الحديث.

وما هذا إلا فيض من غيض، من تراثنا اللغوي الزاخر، كما أنّ فطاحلة أمثال الخليل وتلميذه سيويه و الجرجاني وغيرهم، إذا تمعنا النظر في مصنفاتهم، نجدهم قد تعاملوا مع الظاهرة اللغوية بذكاء، ولم يتأثروا في منهجهم العلمي بالفكر أو الفلسفة الغربية مثلما يشاع؛ بل إنهم أخذوا من تلك الفلسفة الأدوات الجديدة، كالمنطق، وعلم الكلام، وحاولوا فهمه بمنظور عربي بحت، وأحياناً كانت لهم إضافات علمية على تلك الموضوعات الغربية بمختلف أبعادها.

على النقيض من ذلك؛ فإنّ صفوة من المستشرقين يرون حصول تأثير من الحضارة الغربية على الفكر اللغوي العربي؛ « بل ذهب بعضهم إلى أنّ مفاهيم النحو العربي الأساسية، كلها مأخوذة من منطق أرسطو. ولم يأت أحد منهم بدليل، اللهم إلا القول باستحالة إبداع العرب لكلّ هذه المفاهيم الدقيقة الناضجة.»² وهذا في رأيي استغناء للعقل، ومناقضة لقوانين المنطق.

وإجمالاً يمكن القول، أنّ وجود اللسانيات كعلم لم يكن وليد البحث الغربي، أو الدراسة الفكرية الغربية، على اختلاف مذاهبها، بل إنّنا نلمس ممّا سبق عرضه من أحداث تاريخية، أنّ اللسانيات هي كلّ ما تمّ بحثه من موضوعات، ومطارات، ونقاشات، وحتى اختلافات أثرت حول اللغة، بوصفها ظاهرة لها ارتباطها، بكلّ الأبعاد الحضارية، والاجتماعية، لأيّ أمة.

¹ - سامي عياد وآخرون، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة بيروت، ط1، ص: 22 (س) معجم

² - عبد الرحمان حاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب إيجابياته وسلبياته، مؤتمر الجمع في دورته الثامنة وستين، يوم الأحد 7 أبريل 2002، ص: 115 مؤتمر

فالمشهد الذي يصف حال اللسانيات العربية اليوم، ينم عن حالة من اللااستقرار؛ إن على مستوى البحث، أو الإنتاج اللساني الذي لم يكن مستقلاً بقوميته العربية، ولا بعيداً عن كلّ تبعية فكرية للغرب، وعلى الرغم من هذا الوضع المزري، والقراءة المتعمّمة لمرجعيات الفكر اللساني، إلّا أنّ هناك جهود واجتهادات، منفردة كالتّي قام بها حاج صالح، تستحق التنقيب والاستشراق العلمي، والمنهج الأمثل للجمع بين الموروث، والحداثة، وهذا ما أولاه هذا البحث جانباً من النقاش في مضامين الفصل الثالث من هذا البحث.

الفصل الثالث : اللسانيات

العربية وديداكتيك اللغات

بين (التنظير والممارسة)

توطئة:

إنَّ استخدامنا للفظ - اسقاط-Projection* في عنوانه المبحث الأول من هذا الفصل، وكما جاء أيضاً في العنوان الرئيس للمبحث، قد اقتضته طبيعة الطرح لغرض الجمع بين ما هو نظري وما هو تطبيقي، رغم أنَّ هذا المصطلح يختلف مفاهيمه، وغاياته، وتنوع حسب جملة من المتغيرات؛ فالإسقاط في الطبَّ يختلف عنه في علم النفس، أو الرياضيات، كذلك الأمر بالنسبة لعلاقته بالعلوم الإنسانية، واللغوية بشكل خاص، وقد تعمّدنا توظيفه لعلاقته المباشرة مع مفهوم الفكر من جهة، ومن جهة أخرى بغية الوصول إلى نتائج إجرائية تناسب طبيعة البحث.

والأكيد أنَّ غايتنا في هذا، هي اسقاط الحصيلة العلمية للسانيات، على حقل تعليمية اللغات، من خلال ما توصلت إليه هذه الأخيرة، من نتائج علمية، ودراسات ميدانية تجسدت في مختلف فروعها، وتخصّصاتها التطبيقية.

ذلك أنَّ الباحث اللساني في الوطن العربي، أصبح همّه الوحيد، وشغله الشاغل هو فهم وتطبيق ما اكتسبه من معارف لسانية جديدة، على حقل تعليمية اللغة، ولعلَّ اللسانيات بمفاهيمها واصطلاحاتها المعاصرة، تمثّل الحقل الجوهري، الذي انهلّت منه التعليمية أو ما يعرف بالديداكتيك

* - الاسقاط لغة : من الفعل سقط : السّين والقاف والطاء، أصل واحد يدل على الوقوع، وهو مطرد، من ذلك سقط الشيء يسقط سقوطاً، والسَّقَطُ: ردى، المتاع؛ والسَّقَاطُ والسَّقَطُ، الخطأ من القول والفعل... وهذا الفعل مسقطة الرجل من عيون الناس المصدر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص: 4633-464-أما اصطلاحاً: إسقاط (Projection) من الأصل اللاتيني للفظ الإفرنجي-Projectio من الفعل- Projicere أي يرمي إلى الأمام، ويقصدُ به فعل العقل الذي يتصور الإحساسات على أنَّ لها وجوداً مستقلاً، وهذا المعنى هو أساس المذهب الحسّي. للتفصيل أكثر يراجع: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص: 62-63 وما تلاها

Didactics * مبادئها الأولية، من حيث أنّها المنوال العلمي الوحيد، الذي يعكف على دراسة وتحليل الظاهرة اللغوية؛ فيتخذها موضوعاً للدرس و وسيلة إجرائية في الوقت نفس¹.

يضاف إلى ذلك أن لغتنا العربية، باتت تحتاج إلى الاستفادة العلمية الملموسة، من حصيلة اللسانيات التطبيقية، والتي كما ذكرنا في الفصل السابق، أنّها قطعت أشواطاً كبيرة في ميدان البحث العلمي، من خلال معالجة اللغات وهندستها وغيرها من الفروع المستحدثة. والتي سنناقش أهم نماذجها وتجاربها العربية، وآخر ما توصلت إليه من نظريات، ومشاريع تخدم اللغة العربية، في ما يلي من ضمنيات هذا البحث.

* -الدايداكتيك: مصطلح غربي استعمل مدة طويلة من الزمن لدلالة على كلّ ما يرتبط بالتعليم، من أنشطة داخل الأقسام؛ فكلمة Didactique في اللغات الأوروبية مشتقة من Didaktikos، وتعني (فلنتعلم)، أي يعلم بعضنا بعضاً، وهي مشتقة أيضاً من الكلمة الإغريقية Didaskein ومعناها (التعلم)، وقد استخدمت أول مرة في التربية كمفهوم مرادف للتعليم، من قبل العالم كمنسكي - Comenius، الذي يعدّ الأب الروحي لعلم البيداغوجيا منذ سنة 1657م، في كتابه "الديداكتيك الكبرى"، حيث يعرفها: «بأنّها الفن العام للتعليم في مختلف المواد التعليمية» للتفصيل أكثر ينظر: مُجدّ الزهدي، علاقة الـديداكتيك بالبيداغوجيا وعلوم التربية، شبكة الألوكة تاريخ الإضافة 2019/01/24، وينظر أيضاً عابد بوهادي، في محاضراته، مقارنة تحليل الفعل الـديداكتيكي، ص: 05

¹ _ ينظر: أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات - ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2000،

1- المبحث الأول: اسقاط الحصيلة العلمية للسانيات العربية على الجانب

الديداكتيكي:

لا ريب أنّ من يطّلع على الجهود العربية، التي بذلت في ميدان اللسانيات العربية، بشكل عام والتعليمية بشكل خاص، من خلال الإنتاج الذي يشمل التأليف والمناهج والنظريات وغيرها، يجدها قد تباينت في مواقفها تجاه التراث العربي، والحدائثة الغربية، وانقسمت توجهاتها من حيث المنهج، والتلقي إلى مستويين هما:

1- مستوى ناقل لفكر نظري غربي: بكلّ ما فيه من فجوات ومفارقات فكرية ومنهجية.

2- مستوى ناشر لفكر عربي تراثي قديم: لا يفقه منه إلاّ النزر اليسير، وهو متأرجح بين عصر النّحاة العرب بداية من القرن الثاني للهجرة، وعصر المحدثين أو المتأخرين.

فكلا المستويين يعبران عن أزمة في الفكر اللساني العربي بثوبه الحديث، فلا التّقل في الحالة الأولى، ولا النّشر في الحالة الثانية يصنع لنا مفكراً، ولسانياتياً عربياً معاصراً، والمعضلة الكبرى هنا تكمن في استقلالية الفكر العربي؛ فالباحث لم يستفد بما عنده من رصيد تراثي، ولم يختر الأصوب من تلقيه للفكر الغربي الحدائثي.¹

وهذا يعدّ مأزقاً حقيقياً، يعوق تقدّم الفكر اللساني العربي على عدّة أصعدة، لأنّه بني على «دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات، والآراء دون غرلة وتمحيص، حتّى إنّ من يطالعهما يحسّ وكأنّها فقدت عنصر التجديد؛ فيقف الباحث محاولاً أن يجد فيها من المعلومات القيمة فيعرض

¹ _ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2، 1973م، ص: 254 - (بالتصرف).

عنها، لأنها مملوءة بالتعليقات المزهقة، وبالألغاز، والتمويه.¹ وهذا في اعتقادي لا يخدم البحث اللساني العربي بالمطلق.

خاصةً إذا ما نظرنا للتطور الحاصل بالنسبة للغات الأجنبية، في مجالي التعليم، وتطور علوم اللغة، ومحاولة دمجها مع مجالات الذكاء الاصطناعي - Artificial intelligence، والحوسبة، و التكنولوجيات الحديثة وغيرها.

في تصوري أنّ وجود أزمة في البحث اللساني العربي، تكمن تحديداً في ضرورة إدراك المنافذ الموضوعية للبحث في حدّ ذاته، وفهم مجالاته النظرية والمنهجية، والموضوعات البحثية والجوانب المؤسسية، المتصلة بأقسام تدريس اللسانيات، على مستوى التعليم الجامعي في الوطن العربي ككل.²

وقد دعا عبد الرحمان حاج صالح، إلى ضرورة الاستفادة من نتائج اللسانيات الحديثة، وتوظيفها في ميدان تعليمية اللغة العربية، محدداً لذلك شروطاً ومصوغات خاصة بالمعرفة اللغوية، يسير وفقها الباحث، والمربي في بناء استراتيجياته التعليمية بنجاح، وستحدّث عن أهمية ودور هذه الشروط في الفصل الرابع من هذا البحث.

ذلك أنّ اللسانيات الحديثة، في البلدان الغربية قد حققت من التطور في ميدان تعليم اللغات، ما لم تحقّقه «بلداننا منذ استقلالها أو تحررها، فليس من المحتمّ علينا أن نتفوق وننزوي بدعوى أننا بعيدون كلّ البعد عن تلك المكانة المرموقة التي حظي بها غيرنا في عصرنا الحاضر؛ إذ من الممكن جداً أن نكون على علم -على الأقل- بالنظريات العلمية ومناهج التحليل والوسائل المختلفة التي وضعتها هذه البلدان لتحقيق أغراضها، ولحل مشاكلنا ولاسيما تلك التي أخرجتها في أحدث

¹ - رمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ج1، ص: 11

² - ينظر: أحمد محمود ع شماوي، أزمة اللسانيات في العالم العربي، بحث ألقى ف ندوة اللسانيات وتطورها في العالم العربي،

الرباط أبريل 1987م، ص: 09

صورها- في علوم اللسان وصناعة تعليم اللغات.» وهذا يعدُّ من الأهداف، التي رسمت مسيرة البحث اللساني عند حاج صالح.

يضاف إلى ذلك أنّ هذه الرؤية العلمية هي دعوة للباحث، والمربي إلى ضرورة اكتشاف، ما حقّقه العلم من نظريات لسانية، تسهم في بناء المستقبل المعرفي لمجتمعاتنا العربية.

لا يخالج الباحث شك، في أنّ اللسانيات الحديثة، كان لها الدور البارز في تطور الفكر التعليمي، انطلاقاً من المبادئ التي سارت عليها، لكونها « متيودولوجيا عامة ذات طابع علمي، تهتم بالفعل التعليمي- التعلّمي، وتوظف في ذلك المعارف، والفرضيات التي تثبت صحتها بالبحث الميداني، والأمريقي في مجال العلوم الاجتماعية، والسيكولوجية، والتربوية في اتجاه بناء نظري متماسك، من المفاهيم والتصورات القابلة للتحقق.»¹ على عدّة مناحي من البحث التربوي المعاصر.

1-1- علاقة اللسانيات بالديداكتيك:

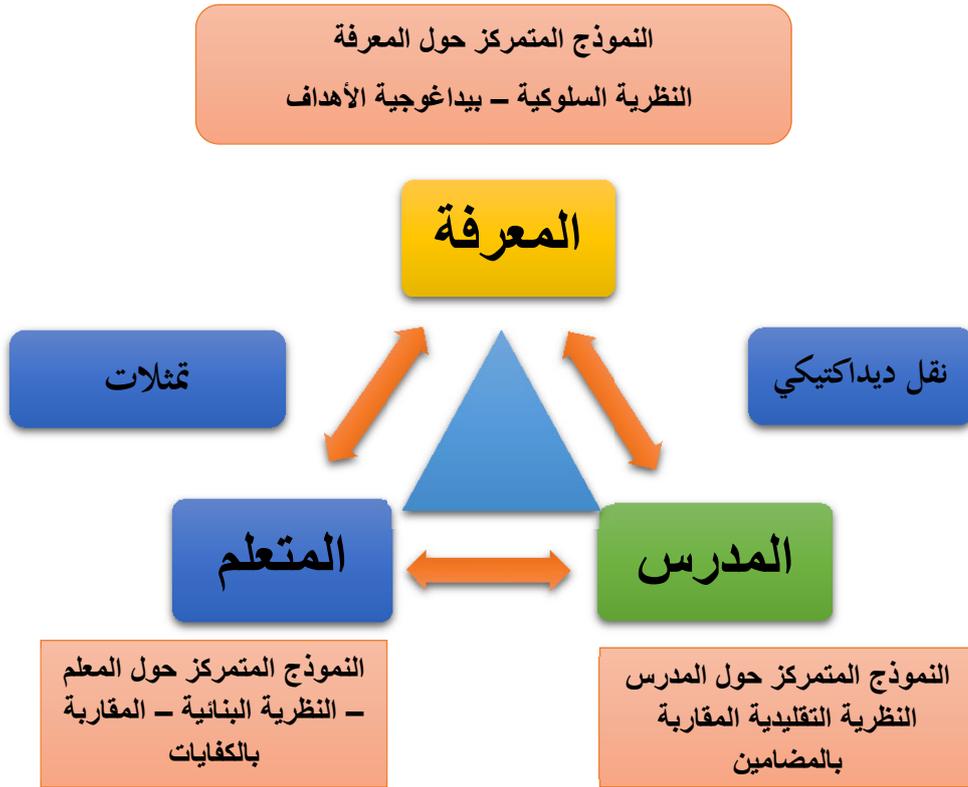
عندما نتأمل المنهج الذي سلكته التعليميات-Didactique بشكل عام، وتعليمية اللغات بشكل خاص، ندرك لا محالة وجود تقاطع بين هذا الفكر، وبين المعارف المستحدثة؛ لكونه «علمٌ مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى، وهو يدرس التعليم من حيث محتوياته، ونظرياته، وطرائقه دراسة علمية. وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين ببعضهما، ماذا ندرس؟ وكيف ندرس؟»²

وهذان السؤالين هما منطلق؛ أو المرجعية النظرية للفكر التعليمي، ونظراً لعلاقته مع اللغة أدرج عند أهل الاختصاص بسمى اللسانيات التعليمية، من خلال مفاهيمها واصطلاحاتها المتميّزة،

¹- cornu.A.Vern64 ,La Didactique en question ,p19

² - بشير إبرير، تعليمية التّصووص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2007.

التي تندمج مع العناصر الثلاثة المكونة لما يعرف بالمثلث الديدائكتيكي - Didactic Triangle، لتكون مرتكزاً لتفعيل سيرورة الإجراء التحويلي للمعارف الخاصة بتعليم اللغة.¹ فهذه العلاقة الثلاثية الأطراف، تعدُّ بمثابة أقطاب للعملية الديدائكتيكية، تتحكم فيها جملة المحددات أو المصطلحات المهمة (التمثل - والاندماج - والتصورات وغيرها) التي تدخل في إنجاح العملية التعليمية، إضافة إلى ذلك، فإنّ هذه الأطراف لا بد أن تستند في عملها، إلى مناهج، ونماذج نظرية، وطرائق مختلف كما هو معلوم، في إيصال المعرفة اللغوية، للمتعلمين وفق أسلوب تكاملي، بحيث لا يمكن الإستغناء عن طرف من أطراف هذا المثلث، والذي ينتج لنا كفاءات مختلفة، تراعي مختلف الأهداف التعليمية كما يتّضح ذلك في الشكل الآتي²:



¹ - ينظر: أحمد حساني، أثر اللسانيات التقابلية والتّصية في ترقية تعليمية اللغة للناطقين بغيرها- مقارنة بينية-ص:05
² - ينظر: أحمد الفاسي، الديدائكتيك: مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السعدي، طبعة الخوارزمي، تطوان، دت، ص:

لذلك نجد أنّ المعرفة اللغوية، تختلف في منهج تعلّمها، من نموذج لآخر ضمن طرائق ديداكتيكية متنوعة الآليات، فمهمّة المدرس اللغوي تكمن في كشف السمات التلّفظية، وحصص العوائق الفيزيولوجية، والنفسية، والاجتماعية التي تعترض المتعلّم بحسب وضعيات التعليم¹ ويمكن للباحث الديداكتيكي أن يستفيد من اللسانيات من حيث المستويات الآتية:

أ - **المستوى النظري:** حيث تقدم له اللسانيات إطاراً نظرياً يمكنه من إدراك العديد من القضايا اللغوية، ودراستها على مستوى المنهج، حيث يشتغل على الأدوات الإجرائية المسعفة لتحليل الظواهر اللغوية وتفسيرها.

ب- **المستوى السيكلولوجي:** أو سيكلوجية التعلم حيث يمكن للديداكتيكي مثلاً أن يستفيد من النظريات اللسانية النفسية في موضوع اكتساب اللغة.²

ولعلّ مفهوم الدّيداكتيك قديم؛ لأنّ امتداده يرجع إلى القرن السابع عشر، وجديد على مستوى الطرح، بالنظر إلى الدلالات التي ما انفك يكتسبها حتى الوقت الراهن.³

إذن نفهم يمكن القول أنّ « تبني استراتيجية تعليمية - تعلّمية قوامها الانفتاح على اللسانيات الوظيفية التي تعبر للسياق الاجتماعي، والنفسي، والثقافي أهمية بالغة في تعلّم اللغة. »⁴ ومن ثمّ تبليغها وتعليمها، وهذا هو هدف اللسانيات التعليمية.

¹ - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص: 06

² - ينظر: الغريسي مجّد، اللسانيات ودورها في التأهيل التربوي وتحقيق الجودة، تجويد تدريس اللغة العربية من منظور توليدي، ص: 273

³ - عابد بوهادي، تحليل الفعل الديداكتيكي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، المجلد: 34، 2012، ص: 03

⁴ - مجّد الدريج، اللسانيات والديداكتيك، ص: 104

لها مسمى آخر وهو «المعرفة الأكاديمية، أو المتخصصة، أو المعيارية... وهي معرفة موجهة للمتخصصين تحديداً؛ كالتحو العربي عند سيويه، أو اللسانيات التوليدية عند تشومسكي، ولا يمكن تدريسها للمتعم كما هي، وهذه المعرفة هي التي يتم نقلها، وتسمى بعملية النقل الديدائكتيكي». ¹، أو تحويل المعرفة بيداغوجياً.

كان للنظريات اللسانية الفضل في إمداد تعليمية اللغات، بما فيها العربية بالعديد من المقاربات، والنظريات (النماذج) اللسانية، لتكون بذلك المرجع بالنسبة للمشتغلين بالمجال بعد ما اكتشف اللغويون، وخاصة فئة الممارسين والتربويين منهم، أن تعليم وتعلم اللغة لا يمكن أن يكون ناجحاً، إلا إذا استند إلى مرتكزات دقيقة، وعلمية، وهذا ما تعمل اللسانيات التطبيقية علم حديث، أو تخصصي. ²

إذن يمكن القول، أنّ التقاء اللسانيات بالتعليميات، قد حقق تطوراً هائلاً بالنظر إلى تطور منهج التدريس، في الدول الغربية، ولأجل أن نحقق هذا النجاح بالنسبة للسانيات العربية وتعليمياتها، لا بد أن يتأطر ذلك وفق مشروع عصري وقوي، ومنفتح على مستوى الفعل التعليمي - التعلّمي لتدريس اللغة. ولم يكن هذا الطرح وليد الصدفة، بل هو استقراء لواقع تعليم العلوم العربية بشكل عام. ³

¹ - الحسين الساجي، الديدائكتيك التّظري والديدائكتيك التطبيقية، موقع الألوكة، على الرابط:

<https://cp.alukah.net/social/0/141754> اطلع عليه بتاريخ: 2021/06/20

² - مُجّد الدّريج، ديدائكتيك اللّغات واللّسانيات التطبيقية، تداخل التخصصات أم تشويش براديكمي، منشورات مجلة

كراسات تربوية، 2020 ص: 05

³ - ينظر: رشيد طلي، اللّسانيات التربوية وتدرسية اللغة العربية، مداخلة في ندوة أقيمت حول أعمال علي آيت أوشان

نظمتها المديرية الإقليمية لوزارة التربية، بفاس، 2019

2-1 - اللسانيات العربية بين فكر (الإندماج الغربي والانتماء العربي):

من المعقول أن يستبصر الباحث العربي مدى التأثير، الذي طغى على المشهد اللغوي والفكري، في النشأة الأولى للدرس اللساني العربي، « والواقع أنّ انتقال اللسانيات إلى الثقافة العربية لم يكن على نفس الشاكلة التي عرفتها بقية العلوم، يرتبط الأمر هنا بموضوع هذا العلم، إنّه اللغة. واللغة العربية - كغيرها من اللغات - نظامٌ خاصٌ وأداة اتّصال وتعبير، ولكنّها أيضاً لغة القرآن الكريم، وهو ما ميّزها بالكثير من الدّراسات، والأبحاث التي مسّت كلّ مستوياتها، وهو ما عبّر أيضاً عن وعي أهلها، ومحاولاتهم الجادّة لكشف قوانينها... وفي هذا الإطار حاول بعض الباحثين العرب رصد أهم اتجاهات البحث اللساني العربي.¹»

بدأت هذه المحاولة منذ خمسينيات القرن الماضي، وقد ركزت على المنحى المنهجي، للبحث اللساني العربي، الذي تناول المسائل الأصولية والخلافية للنحو العربي، بمنظور علم اللغة الغربي في تلك الفترة، حيث نتج عن هذا التأثير، بروز توجهات ثلاث هي:

1- أولاً الاتجاه النحوي التقليدي: الذي تبنى أعمال النّحاة القدماء وما صدر عن منهجهم من المحدثين، وهذا موقف أدى بالباحثين إلى إغفال الطّرف عن الأخذ من عصر تقعيد وتأصيل النّحو، بدءاً من عصر الخليل وسيبويه؛ بل إنهم كزوا على ما تعرّض له المحدثون، وهو ما أفقدهم الوجهة الحقيقية للبحث في التراث.

2 - ثانياً اتجاه ربط النّحو بالبحث الغربي المعاصر: أمّا هذا الاتجاه فكان محاولةً لأجراً النّحو العربي، ودمجه بالجانب التطبيقي للنّحو الأوروبي والأمريكي (المنهج

¹ - هبة خيار، خصائص الخطاب اللساني " أعمال ميشال زكرياء " أنموذجاً، الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر،

البنوي والتوليدي والوظيفي...؛ فاعتمد منهج يعالج من خلاله موضوعات، النحو العربي القديم، بمنهج علمي جديد يعيد صياغته، من خلال ما يصطلح عليه بالمبدأ المشترك-Universals بين اللغات الإنسانية.

3- ثالثاً اتجاه تراثي حديث: وكان هدفه إعادة النظر في التراث العربي القديم برمته (الصوتي والنحوي والبلاغي، والدلالي...)، والتنقيب فيه، على ضوء البحث اللغوي المعاصر، ومن ثمّ يطوّر نموذجاً يستفاد منه في البحث اللساني العربي وتعليمية العربية.¹

واللافت للانتباه في تصنيف هذه التوجهات؛ أنّه يمكن اعتبار الاتجاه الثاني والثالث، اتجاهاً واحداً من ناحية استهدافهما "للتراث اللغوي العربي"، إضافة إلى اعتمادهما على "البحث اللغوي المعاصر"، الذي تجلّت ملامحه بتجديد النحو، والتحقيق في أصوله، ولعلّ أول تحقيق كان مع الدكتور شوقي ضيف، لكتاب ابن مضاء ((الرد على النحاة)) علماً بأنّ أزمة النحو ليست وليدة العصر الحديث، بل كانت موجودة على وقت النحويين القدماء معاصرة لهم؛ نجدتها متناثرة في كتب التراث، تدعو لتيسير النحو، وتذمر من صعوبة مسأله، وخلافاته العويصة، التي قامت بين العلماء العرب على اختلاف مدارسهم اللغوية الكوفية والبصرية.²

كما يعلّق على هذا، الدكتور مصطفى غلفان قائلاً: « إنّ الاختلاف البسيط بينهما يكمن في كون الاتجاه الثاني يهتم أساساً بإعادة النظر في التراث النحوي، والبلاغي من حيث هو مادة وقواعد.»³ ومفاهيم علمية.

¹ - ينظر: أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، 1988، ص: 68

² - ينظر: جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص: 07

³ - مصطفى غلفان: اللسانيات العربية... منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار

البيضاء، سلسلة أطروحات جامعية رقم 56/4، ص: 89

يستوحى من هذا التوصيف، هو وجود اختلاف، ونقد بين الاتجاه الثاني، والاتجاهين السابقين، رغم أن مصطفى غلفان، عرف بنقده لنماذج الكتابة اللسانية العربية بشكل عام، مستخدماً مصطلح «التحليل النقدي اللساني»¹، ومستدلاً به في تناوله للعديد من قضايا البحث اللساني العربي.

بينما اختار آخرون مصطلح «النقد اللساني» كما دأبت فاطمة البكوش على تسميته، وقد أسندته إلى مستوى معين من مستويات النحو، بغض النظر إلى المستويات اللسانية الأخرى، أمّا أمجد الملاح وحافظ إسماعيلي علاوي وآخرون؛ فقد وظّفوا مصطلح "الكتابة النقدية" وجعلوه منظوياً تحت مصطلح آخر، وهو «ابستمولوجيا اللسانيات العربية»²

لأنّ البداية الفعلية لانطلاق الدرس اللساني العربي، تزامنت كما هو معلوم مع ظهور أول عمل لساني، لدكتور عبد الواحد كافي* ممثلاً في كتابه (علم اللغة) سنة 1941م، الذي مهد فيه لعرض فروع ومجالات هذا المنهج الجديد.

فكانت العقيدة العلمية للباحثين العرب، آنذاك هي دراسة العربية، وفق « المنهج الوصفي الذي يعدّ - اليوم - أساس المنهج البنيوي اللساني، ولئن وصف النحو العربي بأنّه معياري؛ لأنّه يفرض سلطانه، وقانونه على المتكلمين باللغة، إنّ ذلك جحدٌ للحقيقة، وبعده عن الحقّ، فالنحو

¹ - ينظر: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، حافظ إسماعيلي علاوي - أمجد الملاح - ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2009، ص: 187

² - ينظر: مبروك بركات، نحو نقد عربي لساني مؤسس جهوج مصطفى غلفان - أنموذجاً - مجلة الذاكرة العدد 02، ص: 02 * - ولد في أم درمان بالسودان سنة: (1901م - 1991م)، حفظ القرآن الكريم وطائفة من المتون العلمية، ثم التحق بالأزهر سنة 1915م ومنه إلى جامعة السوربون بباريس، حصل فيها على درجة الليسانس في الفلسفة وعلم الاجتماع سنة 1928م، ثم سجل لدرجة الدكتوراه تحت إشراف الأستاذ فوكونيه: أستاذ علم الاجتماع، وكان عنوان الرسالة الأولى "نظرية اجتماعية في الرق"، وحصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في مايو سنة 1931م. ، كما أن له نحو خمسين بحثاً، ومئات المقالات في الصحف والمجلات العلمية. ومن أهم مؤلفاته. - علم الاجتماع . - مشكلات المجتمع المصري والعالم العربي وعلاجها في ضوء العلم والدين. - غرائب النظم والتقاليد والعادات. - الهنود الحمر. - ابن خلدون منشئ علم الاجتماع. ومن أهمها: - فقه اللغة. - اللغة والمجتمع. - نشأة اللغة. انضم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1984 م. لتفصيل أكثر يراجع هذا رابط: رابطة العلماء السوريين: http://islamsyria.com/site/show_cvs/488

لا يصبح معيارياً، إلاً بعد قيام البحث الوصفي بواجبه المطلوب.¹ في وصف اللغة، انطلاقاً من مرفولوجيتها، بعيداً عن ما يخالف أصولها.

ثم إنَّ ما يعمل على استقصاء حقيقة الظاهرة اللغوية من أصولها؛ وتحيدتها عن ارتباطاتها، ليس سوى المنهج؛ لأنَّ المعيار الأمثل كما يرى عبد الرحمان حاج صالح، الذي ينبغي «الاعتداد به وهو هذا المجموع المنسجم من الضوابط التي يخضع لها بالفعل كلُّ الناطقين أو أكثرهم.»² على مستوى لغة البحث والمنهج.

لذا فالسبب وراء تباين اتجاهات البحث اللساني العربي، في الغالب هو اطلاع الباحثين المحدثين على ما أنتج وألّف في المنهج الوصفي، وتأثرهم بنظريات تلك البحوث اليسيرة المترجمة إلى العربية، والتي حاول بعضهم اسقاطها بمبادئها على هذه اللغة الكريمة (العربية)، فاصطدموا بعدم التلائم مع هذا المنهج الغربي الجديد، نظراً للأصول اللغوية الثابتة للعربية؛ فكان ذلك دافعاً لأن تتهم العربية بأوجه القصور والضعف، وتوصف ب (المعيارية-Respective)، التي زعم من خلالها أنّ علماءنا قد أصّلوا الظاهرة اللغوية على نهجها التقليدي، الغير مسير لما هو مستحدّث.³

وهو ما أدى إلى تباين الكتابة اللسانية بعد هذا العهد، من خلال ما أُلّف حول هذا العلم الجديد (علم اللغة)، وقد انصبت الجهود حول مرجعية النحو العربي؛ فكانت آنذاك محاولةً علمية

¹ - رشيد عبد الرحمن العبيدي، البحث اللغوي وصلته بالبنوية في اللسانيات (12) ضمن مجلة آداب المستنصرية، ع- 1985م، ص: 55

² - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات الجمع الجزائري للغة العربية، موفم للتشر، الجزائر، 2007م، ج2، ص: 28

³ - ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، يونس البنغازي، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط1، 1996م، ص: 13

لتنوير القارئ العربي بهذا المنهج الغربي المستجد، قياساً على التراث، ويمكن أن نذكر بعضاً من هذه المؤلفات المهمة بغض النظر لما وجّه لها من نقود كما يلي :

1- كتاب (مناهج البحث في اللغة 1955م): لتمام حسان، والقراءة

الموضوعية لهذا الكتاب، هي أنّ المؤلف أراد شرح مناهج الفروع الرئيسية في الدراسات اللغوية، كما عالج مسائل الأصوات، والتشكيل، ومسائل علم الصّرف، والتّحو وغيرها.

لكن وعلى الرغم من أهمية هذا المصنّف من الناحية العلمية، إلا أنّ المؤلف وقع في خطأ إدخال العامية في متنه، تمثيلاً، وإستشهاداً من جهة، ومن جهة أخرى فقد أصابه الخلط عندما غلبت عليه النزعة الفلسفية في تنظير المفاهيم، حين أراد إثبات مقولات أرسطو وعلماء المنطق على المنهج اللغوي، واستدرك هذا الخطأ المنهجي لاحقاً، وقدّم تصوراً بناءً في نقد التراث في مؤلفه (اللغة بين المعيارية والوصفية 1958م).

2- كتاب (دراسات نقدية في التّحو العربي 1957م): لعبد الرحمان أيوب، وهو

من أوائل الذين دعوا إلى تطبيق مناهج البحث اللغوي الحديث، على التّحو العربي، ومن أشدّهم نقداً لمناهج النّحاة، وقد بيّن ذلك في مقدمة كتابه، مبرزاً عيوب التفكير التّحوي عند النّحاة العرب، وهي في رأيه كالاتي:

- أ- أنّه تفكير جزئي يُعنى بالمثل قبل أن يعنى بالنّظرية.
- ب- أنّه لا يخلّص إلى قاعدته من مادته، بل إنّهُ يُبنى على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثمّ يعمدُ إلى المادة فيفرضُ عليها القاعدة.
- ت- أنّه يخلطُ بين اللّهجات في استخلاص القاعدة.

ث - أنه يتأثر في مواضع عدّة بالمنطق اليوناني وآراء أفلاطون اللغوية.¹

وعلى العموم فقد اكتفى هذا الكتاب بتوجيه النقد، وكشف جوانب التقصير في مناهج النّحاة العرب، في تعاملهم مع الظواهر اللغوية، مشيراً إلى موقف المنهج الحديث، في جملة من مسائل النّحو العربي، بعيداً عن أي محاولة جادة، تخصّ الجانب التطبيقي على مستوى الإصلاح والمعالجة.²

3- كتاب (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 1962 م) : سعى الدكتور محمود

السعران من خلال هذا المؤلف، إلى تعريف القارئ العربي والباحث اللغوي، بأصول هذا العلم، وأبجدياته، ومبادئه بصورة واضحة وبسيطة لا تخل بالموضوع وعلميته، فهو يرى أنّ « من الصعوبات التي على الباحث العربي أن يذللها، إزاحة الأوهام الراسخة في عقولنا نتيجة دراستنا لجوانب من النشاط اللغوي العربي القديم، وهذا عمل خطير شاق قد لا يتأتى، إلّا بعد تقويم الدّراسات اللغوية العربية بأسلوب جديد.»²

ولذلك حرص منذ بداية الكتاب، على وضع هذه الأصول في إطارها التاريخي، جنباً إلى جنب مع طرق التحليل اللغوي، التي استقر عليها الفكر اللغوي آنذاك. فكان حافزاً قوياً لاستشارة الباحثين الجدد نحو الدّراسة، والبحث اللساني في الوطن العربي ككل.

¹ - ينظر: أيوب عبد الرحمان، دراسات نقدية في النّحو العربي، ص: (د)

² - ينظر: أطروحة دكتوراه: "النّحو العربي ومحاولات تيسيره، دراسة وصفية تحليلية" إعداد الطالب: مختار بزواوية، جامعة

أحمد بن بلة وهران 1، 2016-2017 ص: 119

² - علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص: 37

من المهم أن نستحضر هنا ما قام به الدكتور عبده الراجحي، في مؤلفه (النحو العربي والدرس الحديث 1979م)، الذي وقف فيه على تتبع عدد من العمليات النحوية (مفهوم الجملة..)، في النحو التوليدي، مع ما جاء من قواعد في النحو العربي، مبرزاً تمرّس علماء النحو العرب.³

وعليه يمكننا القول أنّ هذه المؤلفات العربية، في ميدان علم اللغة، وعلى الرغم من تباين محتواها المعرفي بين الوصفية، والمعيارية، وتأثيرها بالفكر اللغوي الغربي الحديث، إلا أنّها فتحت مجال الدراسة والاكتشاف للباحث العربي، وقربت المفاهيم، والمصطلحات اللسانية للقارئ العربي، وشكّلت تنافساً شديداً بين اللسانين العرب، في كتاباتهم اللسانية، فأنتجت تيارات قومية عربية، تأرجحت بين التمهيدية، و التراثية، والحداثية.

وبالتالي ندرك أنّ الفكر اللغوي العربي، قد تشبّع من النظريات الغربية، دون إنكار الاستفادة منها في بعض الجوانب العلمية، ولكن لازال هذا الفكر يتّصف بالتبعية لكلّ ما هو غربي، بعيداً عن تراثنا، لدرجة أنّنا « وجدنا أنفسنا مجبرين على إقامة علاقة، مع نظريات ابستمولوجية معروفة، نستفيد منها كأدوات لا كعقيدة. فإبستمولوجيا بياجى - J.Piaget أفادتنا في تفسير التطورات الداخلية التي عرفتها النظرية اللسانية، كما أفادتنا ابستمولوجيا بشلار - G.Bachelard في تحديد العلاقة بين البنيوية والتوليديّة من حيث هي علاقة نفي وقطيعة أو علاقة استمرار، واستثمرنا ابستمولوجيا تي كون - T.Kohn والباراديغمات العامة التي أفرزت الوجه البنيوي، والوجه التوليدي لهذه النظرية.»¹

³ - ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص: 10

¹ - مجّد مجّد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية، البنيوية والتوليديّة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان،

فهذا الموقف من معتقد البحث، موضوعي إلى حدّ ما، ذلك أنّ الفكر العربي المعاصر، لطالما استلهم من التّظريات الغربية، المضمون العلمي للعلوم، ولكن هذا لا يمنع من إعادة النظر، في كلّ ما يستلهم ويؤخذ من الغرب، مادام تراثنا يجوي، أوفوق الفكر الغربي.

كما أنّ هناك محاولاتٍ عربية موفقة، سعت ولا تزال نحو إيصال العربية إلى مستوى الريادة. ولو أنّها محاولات فردية، لازال أمامها الكثير في هذا الطريق الشّاق من البحث، وهي بحاجة إلى الدعم الجماعي، وتغيير ذهنيات البحث العربي، للخروج به من ثقافة استهلاك المصطلح الأجنبي، إلى ثقافة توليد المصطلح العربي*، لغةً، ومنهجاً، ومنهلاً مستقلاً بكيانه عن كلّ تبعية، خارجية لاتخدم تراثه العربي الأصيل.

وهذا في رأيي يطرح لدى باحثينا، عدة تساؤلات أساسية تتمحور حول التراث، و علاقته بالفكر والحداثة، خاصةً و نحن نرى راهناً يوحى بتجدد الفكر اللساني المعاصر، وقد « انتقل التفكير العربي من التساؤل حول أهمية التراث، إلى طرح أسئلة جديدة: كيف نشغل بالتراث؟ كيف نحْييه؟ وما السبيل إلى فهمه فهماً جديداً؟ كيف نوظّفه منهجياً في حياتنا الفكرية؟»¹ والثقافية، والعلمية.

لأنّ سعي العديد من علمائنا العرب، منذ عهد قريب، إلى تركيز جهودهم على مسألة التراث والحداثة وتعليم اللغات، لا بد أن يؤخذ من منطلق تنظير الفكر العربي، بعيداً عن أولئك

¹ - عبد الرحمان حاج صالح: وثيقة (رقم 02)، المدرسة الخليلية الحديثة، ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، مؤتمر اللغويات الحاسوبية، الكويت 1989، ص: 230

* - توليد المصطلح العربي: وفي اعتقادي أنّ هذا المفهوم، بكلّ أبعاده قد أضحي مطلباً مهماً، يستوجب تكاتف الجهود العلمية، واللسانية لأجل تحقيقه، ولعلّ الخطوة الأولى تكمن في إعادة فهم الخلفيات والمرجعيات، الفكرية والمعرفية، الخاصة بالمحتوى الإيستمولوجي للعربية، واستنباط العناصر المكونة للمصطلح، من مضان التراث العربي، بمنهج تنظيري وعلمي، تساهم فيه النخبة من اللسانيين وأهل اللغة، والنقاد والباحثين على مستوى كلّ التخصصات اللسانية.

الذين عقدوا الولاء المطلق مع الفكر الغربي، وتبنوا نظرياته وساروا في كتاباتهم اللسانية على نهج البنيوية والتوليدية وغيرهما.

لاشك أنّ تأثير اللسانيات التوليدية على الجانب العربي، قد بدى واضحاً من خلال اتجاه بعض الأعمال اللسانية العربية، إلى تبني الاتجاه الوظيفي في دراسة النحو، فظهر ما يعرف بالنحو الوظيفي.

وجدير بنا في هذا المقام، أن نذكر أبرز القامات العربية، التي أسست لاتجاه عربي جديد، أمثال (تمام حسان و عبد الرحمان أيوب و نهاد الموسى و عبد الرحمان حاج صالح)، هذا الأخير الذي تمسك كما أشرنا سلفاً، بمنطق أنّ التراث « عروة وثقى تربط الحاضر بالماضي، إنّها مسلّمة غير قابلة للبرهنة وهو مبدأ لا يمكن لأحد أن يتنكر له.»¹ إلاّ من هو خارج عن قوميته.

فالرجل بدأ مسيرته البحثية، بالتنقيب في التراث العربي القديم، ودأب على فهم محتواه العلمي، ومقارنته بأدوات العلم الحديث، من تحليل وتصنيف وملاحظة وتنظير، وقد تأثرت شخصيته بالفكر الخليلي، تحديداً في مصنّف (العين) الذي جمع فيه علوماً، ومفاهيم عن اللغة والصوت والنحو وغيرها، حيث عبّر عن ذلك قائلاً: « فلاحظتُ الفروق الكثيرة التي توجد بين ماذهب إليه الخليل وشيوخه وبين ما يقوله المتأخرون من النّحاة؛ بل لاحظتُ فرقاَ كبيراً لا في النزعة العقلية ولا في مناهج التحليل ولا في الاتجاه العلمي فقط؛ بل في كلّ شيء ذكروه.»² وهذا يدل أيضاً على النباهة العلمية، التي انطبعت بها شخصية الحاج صالح، كرجل أسس لمنهجه في البحث وراهن عيليه حين ولج إلى عالم دراسة التراث.

¹ - طريف الخالدي، بحث في التأريخ ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1989م، ط2، ص: 50

² - عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، 1996م، ع 10، ص: 89 مجلة

2 - المبحث الثاني: الجهود اللسانية للحاج صالح وعلاقتها بالتراث والحداثة:

لا أظن أحداً من المنشغلين في حقل الدراسات اللغوية واللسانية، قد لا يعرف أو لربما لا يسمع عن العلامة: ((عبد الرحمن حاج صالح))، أحد الرجال القلائل الذين أفنوا حياتهم في ميادين البحث العلمي، الخاص باللغة الإنسانية عموماً، والعربية بوجه خاص؛ فهو عالم لسانياتي متعدد الألسن - Polyglot، وباحث (بين-تخصّصي) متعدد التخصصات - Interdisciplinary، وهذا أقل ما يمكن أن يقال عنه.

بالرغم من أنّ تعليمه كان علمياً بالدرجة الأولى، حين سافر إلى مصر لاستكمال تخصّصه في جراحة الأعصاب، ولكنه سرعان ما تأثر بالجلسات والحلقات التي كان يحضرها في جامع الأزهر بمصر. وهو ما أفاض فيه ولعاً بالعربية واكتشاف تراثها¹؛ فاختار ذلك، وبدأ مسيرته اللسانية، من منطلق دراسة التراث، حتى وصل إلى الريادة في الغرب والشرق، وهو من الرعيل الذهبي الذي أثرى الدرس اللساني العربي و جدّد فيه، و أقام له جهوداً ومشاريع إستمولوجية قلّ نظيرها، حتى بين من حذوا حذوه أو نافسوه.

« لقد بذل الباحث جهداً من أجل الحفاظ على اللغة العربية وإثرائها وجعلها وافيةً بمستجدات العلم الحديث، قادرةً على الدوام على أداء إرسالها أدقّ أداء؛ فكان يصبر على المعرفة بال نماذج القديمة التي تكسب المتن اللغوي الصحيح، لا العربية التي يغلب عليها السجع وانتقاء الألفاظ، فلا يلزم امتلاك المعرفة المستفيضة بالتفصيلات، المعقدة للتحو العربي؛ لأنّه لا نظر إلى التحو على أنّه الإعراب والتفهيق، بل الأساس فيه هو التمسك بآليات الإعراب، الذي يخلي

¹ - ينظر: رسالة دكتوراه، إعداد الباحثة، معالي هاشم علي أبو المعالي، إشراف د. بان صالح مهدي الخفاجي، كلية التربية

المعاني، وظلّ قواماً على عمله الأكاديمي، في أعماله التي ربط فيها بين الدّراسات العربية القديمة والحديثة، مع الدّراسات الغربية.¹

فالحديث عن شخصية الحاج صالح، حديثٌ عن الانتماء والهوية العربية، ذات البعد الأصيل، والبحث في مؤلفاته شيق ومثمر، يشكل المنهل العلمي العربي، المنفرد في حقل البحث اللساني العربي، والغربي على حدّ سواء، فهو ممّن يصفهم النقاد اللغويين، بأصحاب (لسانيات التراث) * وقال فيه شيخ اللغويين العرب الدكتور شوقي ضيف « وقد أتى بمباحث جديدة لم يسبق إليها وهو مشكور لهذا الجهد العلمي الرائد.²»

فهؤلاء يمثلون الجيل الذهبي، الذي تبنى فكرة التراث، وأثار أزمة التلقي العربي، من منتصف الخمسينات من القرن التاسع عشر، وحتى وقتنا الراهن، ولا تزال أعمالهم ومطالبهم تدعوا إلى إعادة قراءة التراث العربي، قراءة تتحكم فيها معايير حداثة تسير التطور اللغوي الحاصل.

إنّ تناول الباحث لأي طرحٍ يتعلق باللسانيات العربية لا بد، وأن يستوقفه البحث عن المصادر الفكرية الأصيلة، للدرس اللساني العربي برمته، ومن جملة هذه المصادر، ما وقف عليه حاج صالح من نظريات، و رؤى علمية، وجب علينا تقديمها ومناقشة ما جاء فيها من مخرجات، وتحليل نتائجها بما يتوافق ومتطلبات البحث، وتكملةً لما جاء في الفصلين السابقين؛

¹ - صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة د، ط، 2004، ص: 148

* - لسانيات التراث: ولعلّ أهم رواد هذا الإتجاه هم: عبد الرحمان حاج صالح، إبراهيم السمراي، عبد السلام المسدي وغيرهم ويقصد بلسانيات التراث ذلك النوع من الكتابة اللسانية العربية الذي يسعى للتوفيق بين مضامين التراث اللغوي العربي وما تقدمه اللسانيات الحديثة من نظريات ونماذج وأدوات إجرائية وطرق تحليل. فمن القضايا الأساسية التي تحور حولها البحث اللساني العربي المعاصر علاقة التراث اللغوي العربي بالنظريات اللسانية الحديثة. ولقد استوى هذا النمط من القراءة للتراث اللغوي العربي وربطه بالنظريات اللسانية الحديثة. لتفصيل أكثر بنظر: عبد القادر بوشيبة محاضرات في تعليمية اللسانيات، جامعة تلمسان، ص: 63 وينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص: 183

فإنّ الحاجة باتت ملحة إلى بعث روح التحديث، للفكر اللساني العربي أكثر من أي وقت مضى.

مادام التراث هو الهوية الروحية لأي أمة، لها تاريخ، ولغة، وحضارة، فاللغة التي يتراسل بها الأفراد، ويتم بها التواصل بالأفعال والأقوال، لا بد أن تكون لها قواعد ومبادئ تحفظها من الضياع والاندثار، الذي لحق بها حين نظرت إليها البنيوية كنظام «متماسك»، وجعلت موضوع دراستها، وصف هذا النظام والمبادئ التي تسمه، وهي مبادئ ذاتية من النظام وليست مستقاة من حقول معرفية أخرى.¹ تتضمن محافظة الأجيال عليها لكونها لغتهم الأم، ويتأتى هذا من خلال ترسيخ تاريخها، وثقافتها على مستوى التدريس والتداول، حتى وإن تغيرت البيئة وتجددت الألسن فلا بد، لتلك اللغة أن تحافظ على موروثها.

ولعلّ ولع الحاج صالح بالعربية، شكّل لديه قناعة بالمضي قدماً نحو البحث التراثي، ودراسة ما حصّله اللغويين الكبار، أمثال الخليل ابن أحمد وسيبويه، وغيرهم من فطاحلة اللغة، دراسةً تحقّق في القديم وتبسط أفكاره، وفق الجديد والمستجد؛ فسعى إلى وضع نظرية لسانية بفكر عربي خالص، تمدّد القارئ العربي، بحقيقة التراث اللساني الذي أبدعه العرب، و وصفه الدقيق للظاهرة اللغوية، فها هو يقول متحدثاً عن النظرية العامة للسانيات، قائلاً:

« يجدر بنا أن نقدّم لقرائنا بعض التوضيحات حول الموقف الذي اتخذناه في إطار النظرية العامة لعلوم اللسان، نقول أولاً: نعتقد أنّ الأبحاث التطبيقية في هذه العلوم لحقيقة تحظى بنفس المكانة التي حظيت بها الأبحاث النظرية البحتة، بل نؤكد - وهذا موقف لنا سابق - أنّه لا معنى يُعقل لما يظنه البعض من وجود علمين لسانيين مختلفين، أحدهما نظري، هو علم حقيقي عندهم، والآخر

¹ - مرتضي جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، عمّان، دار الشروق، 2002، ط1، ص: 18

تطبيقي ونفعي، فلا يعتبرونه علماً بتاتاً؛ لأنّ كلّ ما كان سعيّاً وراء المنافع فهو مغايّر للعلم في اعتقادهم.¹

يستساعُ من استقراء هذا النصّ، إثارته لقضية التّظريّة العامّة، في الفكر اللّسانيّ عموماً، من خلال دراستها الإجراءيّة، كما يحاول طرح موقف الموازنة بين ماهو نظري في ميدان الدّراسة اللغويّة، وما هو تطبيقي، وهذا الموقف له ما يبرّره إن أمعنا النّظر؛ لأنّ اسقاط فكرة معينة دون تنظير، ونظريّة مسبقين لا يؤدي إلى نجاحها.

ورأينا في ذلك يجري نفس الهدف والغاية، ذلك أنّ العلم اللغوي يحتاج قبل تطبيق مفاهيمه على الواقع الدّيداكتيكي، إلى تنظير وتمحيص لنظريّاته المتعلّقة بالظواهر اللغويّة، في ميادين التراكيب والظواهر الصّوتية والصّرفيّة، وتسجيل القواعد المعياريّة، ورسم الحدود التّظيميّة، و التركيز على دمج المنهج التقابلي مع بيانات النّظام التّحوي، للغة الأم بأصولها، ومرجعياتها الإستمولوجيّة (...). واللغة المستهدفة المراد تعلّمها "اللغة المنشودة" أو اللغة الثانية.²

فظهر من يمجد ويتغلب للنّظريات الغربيّة، كالبنويّة والتوليدية، على المحتوى التراثي للعربيّة، وقالوا بضرورة الأخذ من هذه النّظريات، واسقاط كلّ نتائجها، قياساً على العربيّة، وفي المقابل حاول آخرون معارضة كلّ دخيل فكري، واكتفوا بالدعوة إلى المحافظة على التراث، ودراسته، وبين هذا وذاك برز اتجاه توسّطي معقول المنهج، سعى إلى الربط بين القديم، والاستفادة من كلّ جديد في ميدان الدّراسات اللغويّة، والصوتية واللّسانية وغيرها.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللّسانيات، العدد 01، 1971م، ص: 05

² - ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2002م، ص:

أتى جهد الحاج صالح سباقاً، حين حاول تشخيص حالة البحث اللساني العربي، في مراحلہ الأولى، ونلمس ذلك في مقالٍ نشره في مجلة اللسانيات في العام 1971م، يصف فيه البحث اللساني، في العالم العربي عموماً بالتأخر، ومما قاله: « إنَّ الجهل المخيم الآن على المثقفين في البلدان العربية بالإضافة إلى هذه الفنون من المعرفة لا يكاد يكون شاملاً، والفراغ المذكور يكاد يكون خلاءً مطلقاً على حدِّ تعبير الفزيائيين ... وكلِّ ما هنالك هو محاولات شخصية ترمي إلى إدخال بعض المفاهيم في الدراسات الجامعية، وملاحظات مبعثرة يقتبسها الأساتذة من المؤلفات العربية فيدرجونها في محاضراتهم. »¹

وهذا الرأي لا يضعنا أمام صورة قائمة، تصف الوضع اللساني العربي، كما يعتقد البعض بقدر ما يحقننا ذلك لاختيار المنهج، الأمثل للنهضة في مجال الدراسة العربية المعاصرة، التي نحن بأمسِّ الحاجة إليها في الجامعات العربية.

فالرجل درس و أمعن النظر في مؤلفات العرب القديمة، وبخاصة كتب الخليل وتلميذه سيبويه، ليكتشف تراثاً لغوياً ضخماً يستحق المغامرة، والمكابدة لأجل الدراسة والبحث، وإعلاء راية العربية التي واجهت ولا تزال، محاولات « المستشرقون - وغيرهم - الآن من نسبة النظريات اللغوية إليهم ما يحتاج، إلى مراجعة وتريث؛ فإنَّ معظم هذه النظريات المستمدة من أصول عربية سبقت ما قالوه بقرون عديدة. »²

وبالمحصلة فإنَّ كلَّ هذه الدوافع، شكلت الأرضية الخصبة لبزوغ الفكر اللغوي العربي بلمسته الخليلية، ما يجعلنا لاستحضار هذا الجهد المنفرد، الذي بذله حاج صالح، وكثف البحث

¹ - ينظر: نواري سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل التعليميات)، دار قرطبة للنشر، المحمدية الجزائر، ط1، 2016م، ص: 19

² - عبد الغفار حامد هلال، العربية وخصائصها وسماتها، مكتبة وهبة القاهرة، ط05، 2004، ص: 08 وما تلاها.

والتمحيص حوله؛ فنحن إذن أمام نظرية لسانية ثنائية-Métathéore، تجسّد العقد الفريد، والرأي السديد، في تاريخ فكرنا اللغوي، واللساني المعاصر.

بالتالي كانت نتيجة هذا التنقيب في التراث، تتم عن أسرار، ونظريات ذات بعد اصطلاحي منقطع التنظير، وها هو يفسّر هذا الجهد قائلاً: « وقد انتبهتُ إلى ذلك وأنا طالب علم، ولاسيما تلك الفوارق القائمة بين النّحاة الأوّلين والمتأخّرين منهم، وهي عميقة على الرغم من اتحاد المصطلحات في الغالب؛ فالمنحى و وجهة النّظر ومناهج التحليل كلّ هذا تغيّر تغيّراً عميقاً، فالنّظرة صارت تعليمية غالباً، وأما ما أتوا به من تفاسير فكانت، إمّا منقولةً من القدماء ومشوهة غالباً، وإمّا جدالية وسكولاستكية* أو غير دقيقة.¹» أو دوغمائية.

ندرك من هذا، أنّ قراءة حاج صالح للفوارق، التي كانت بين النّحاة القدماء والمحدثين منهم، قراءة موضوعية- تنظيرية بالدرجة الأولى، تناول فيها المصطلح اللغوي، وعلاقته بالظاهرة اللغوية. مقارنةً تلك الفوارق بما يماثلها في النّظريات الغربية، وكاشفاً عن مسائل مهمة في ميدان البحث التراثي العربي والعالمي.

ولعلّ هذه العبقرية في تشريح التراث بهذا المستوى، كانت دافعاً له لأن يضع نظرية لسانية عربية، أصيلة سمّاها " بالنّظرية الخليلية الحديثة"، متأملاً فيها مستقبل النّحو العربي، وهذا الأمل تجسّد من خلال مشاريعه اللغوية الحديثة، التي نال فيها قصب السبق.¹

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، ع04، سنة 2007، ص: 07
² - ينظر: نواره بحري، الكتابة اللسانية العربية الحديثة بين التراث والمعاصرة، عبد الرحمان حاج صالح أنموذجاً، مجلة الحقيقة، ع40، ص: 268

* - يعتبر هذا المصطلح، مفهوماً معبراً عن فلسفة القرون الوسطى، التي انقسمت تاريخياً، إلى فترتين كبيرتين، "patristics" و "scholastics". تتزامن الفترة الآبائية(من الثاني إلى الثامن من القرن) في التسلسل الزمني مع العصور القديمة، على الرغم من ارتباطها الكامل بالعصور الوسطى، ينظر: رابط الموقع: <https://ara.topbrainscience.com/3367369-scholastica-is-a-special-epoch-in-the-history-of-philosophy> تم الاطلاع بتاريخ: 2021/05/20

فالنظرية الخليلية الحديثة، التي ابتكرها حاج صالح، هي نظرية لسانية ثنائية - Métathéorie المنهج والأسس، في الفكر اللغوي العربي، وبخاصة منه فكر الخليل، كما أنّها تعدُّ مرجعاً معرفياً لاغنى للباحثين عنه، في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة.

سنحاول الوقوف في هذا المبحث، على أهم الجوانب اللسانية الحديثة، في النظرية الخليلية، إضافة إلى ما أحدثته من انعكاس إيجابي، على مستوى ديديكتيك اللغة العربية، وتحليل أهم نتائجها على الدرس اللساني العربي، الذي استفاد منها، فكرياً، ومنهجياً، وتطبيقاً.

2-1- النظرية الخليلية الحديثة وأثرها في تطوير اللسانيات العربية المعاصرة:

من المعقول القول، أنّ الحاج صالح تبني منهجاً معتدلاً، وسليماً تجاه هذا الوضع؛ فكانت خلفيته الفكرية، خلفية قوية الانتماء لكل ما له صلة، بالعربية والتراث دون أن يتخلى عن التنقيب في أغوار اللغات الأخرى، وثقافتها، وتاريخها، وأسباب تطورها.

إنّ وصف النظرية الخليلية (بالحديثة)؛ لكونها: « تمثل اجتهاداً علمياً تقويمياً صدر في زماننا وأدى إلى قراءة جديدة لما تركه الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه بخاصة، وجميع من جاء بعدهما، من النحاة الذين اعتمدوا في بحوثهم على كتاب سيبويه، إلى غاية القرن الرابع، كشروح كتاب سيبويه وغيرها، أضف إلى ذلك البحوث التي كتبها بعض العباقرة من العلماء كالتسهيلي وعبد القاهر الجرجاني والرّضي الاسترابادي وغيرهم.»¹ من عظماء العربية.

¹ - عبد الرحمن حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 04، ص: 01

فما يدلُّ على قناعة الحاج صالح بهذه النظرية، وتمسكه بمبادئها هو قوله: « وقد بدأت في التفكير فيما يقول الخليل وأنا طالبٌ في الجامعة الأزهرية وبخاصة في كلية اللغة العربية، وقد قارنت بين ما اطلعت عليه في كتاب سيوييه آنذاك من أقوال الخليل وما قرأته وكنت أقرؤه على شيوخنا في هذه الجامعة العتيقة، فلاحظت فرقاً كبيراً لا في النزعة العقلية ولا في مناهج التحليل ولا في الاتجاه العلمي فقط؛ بل في كل شيء ذكره.»¹ وما أنجزوه من تراث لغوي علمي منفرد.

ثم إنَّ ما دفع حاج صالح لتبني هذه النظرية، هو اكتشافه لبراعة التحليل والتصنيف، وغيرها من الأدوات التي انطوت عليها أعمال الخليل، كما أشرنا سابقاً، في معجمه (العين)، بمنهج علمي قدّم لنا تصوراً جلياً، للعديد من المفاهيم اللغوية، التي كان لها الفضل بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة في تحقيق ما نلمسه اليوم، من نتائج دقيقة في علم اللغة الحديث.

يعلّق على هذا الموقف الدكتور مهدي مخزومي قائلاً: « ومن الطريف حقاً أن نرى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل، وهي قريبة منها كلّ القرب، بل كان كثير منها يشير إلى أنّها مصطلحات الخليل ترجمت ترجمة تكاد تكون (حرفية).

- فمصطلح (المجهور) يقابله بالإنكليزية مثلاً مصطلح voiced

- ومصطلح (المهموس) يقابله مصطلح Voiceless أو Unvoiced

- ومصطلح (الشدّيد) يقابله مصطلح Stop أو Plosive

- ومصطلح (الرّخو) يقابله مصطلح Continuant أو Fricative

¹ _عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، (مفاهيمها الأساسية)، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، 1996م، ع10،

ومصطلح (المكرر) وهو الرّاء يقابله مصطلح Trilled أو Rolled. ¹

وفي رأبي أنّ أغلب هذه المصطلحات، التي تعجّ بها المؤلفات اللسانية الغربية، قد سبق إلى معظمها علماءنا العرب، وهي من صنيع فكرهم اللغوي؛ بل إنهم تفوقوا في استخدام الأدوات العلمية، لاستنباطها قواعدها، وبنوا الأحكام اللغوية في التّحو، وعلوم اللغة عموماً، على معايير متينة، تضاهي ما وصل إليه الغرب.

من المعقول القول أنّ أزمة المصطلح اللساني، على اختلاف أصناف الخطاب اللغوي المعاصر، تحتاج إلى مراجعة جذرية، لأغلب المفاهيم التي وضعها العلماء الغربيين، فميزة المصطلحات التي تؤسّس الإطار التّظري لنظرية الحجاج، على سبيل المثال، كنموذج من نماذج اللسانيات المعاصرة، قد تفرعت إلى في الدرس اللساني العربي إلى ثلاثة أوجه:

- أ- مصطلحات هي في الأصل مسّميات بيانية أو معنوية، من قبيل المفاهيم المنطقية، ذات الطابع العلمي ك(الاستدلال والتقسيم والتوكيد والتعليل).
- ب- مصطلحات أدرجت كضوابط ومعايير، في التعامل مع اللغة مثل (الدليل والقياس والعامل والاستدلال وعدم النّظر وغيرها).
- ت- مصطلحات أدبية تختص بالخطابة والديالكتيك والمناظرة وغيرها من الأساليب التواصلية، ذات الهدف التواصلية للخطاب.²

لأنّ أغلبها لم يتغير لفظه عند المتأخرين، إنّما الذي تغيّر هو سياقها الدلالي والمعنوي، ومن ذلك مثلاً: " لفظة"، " كلمة"، " حرف"، " القياس"، " المبني"، " المبني عليه"، " باب"، " حد"، " مثال" "بناء" "وصل"، " إدراج" "أصل"، " فراغ".¹

¹ - مهدي مخزومي: عبقرى من البصرة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ - 1986م

² - ينظر: مُجّد يطاوي، أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير، مجلة جامعة أم القرى، كلية اللغات وأدائها، المغرب، 1439/08/24هـ، ص: 139-140

تحدّثنا عن تفوق العرب في استنباط المفاهيم اللغوية، في الفصل الأول من البحث، ومن المهم أن نخصّص الحديث، عن مبادئ النظرية الخليلية الحديثة، التي ارتكزت على توظيف جملة من المفاهيم التي أرساها الخليل: (كمفهوم الاستقامة و العامل والأصل والفرع) وغيرها من التصدّورات التي تناولت الظاهرة اللغوية من عدّة جوانب.

3-2-1 مصطلح الاستقامة بين المنظور العربي والفلسفة الغربية:

تحدّث سيبويه في مصنّفه (الكتاب) عن ما يقتضيه الكلام من أوجه، الصدق والاعتدال والكذب» فسيبويه على أثر الخليل هو أول من ميّز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ: المستقيم الحسن أو القبيح، والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم الحال/ ثمّ ميّز أيضاً بين السلامة التي يقتضيتها القياس (أي النظام العام الذي يميّز لغة من لغة أخرى)، والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين وتفرض قواعد اللغة، من نحو وصرف ومعنى ودلالة، من المعايير التي تضبط الكلام (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم/ حسن. فعلى هذا يكون التميّز بهذه الكيفية:

- أ- مستقيم حسن : سليم في القياس والاستعمال، يتوافق معناه مع مبناه
- ب- مستقيم قبيح : خارج عن القياس وقليل في الاستعمال وقليل في الاستعمال وهو غير لحن، وبمعنى واضح ما شدّد عن قاعدة التداول بين المتكلمين، وليس له معنى يقبل القياس عليه.

محال: قد يكون سليماً في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى.²

¹ - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص: 27

² - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 04، 2007، ص: 30

ويمكن أن نمثل لهذه التصنيفات بالأمثلة الآتية:

1- رأيتك البارحة وسأراك غداً: فقد تطابق اللفظ مع المعنى في أول الجملة، وآخرها فنقول

عن هذا النوع من التركيب ← مستقيم حسن

2- رأيتك غداً وسأراك أمس: وهنا تناقض أول الكلام مع آخره، فنقول عن هذا النوع

من التركيب ← محال

3- حملتُ الجبل وشربتُ ماءَ البحرِ: رغم أن الجملة من الناحية التركيبية النحوية صحيحة

ومستقيمة؛ إلا أنها من الناحية المنطقية كاذبة، ولا يمكن حدوث ما جاء من أفعال

بشكل واقعي لذلك فهي ← مستقيم كاذب

4- قد أحمد رأيتُ: نرى أن اللفظ (قد) وضع في غير مكانه، وجعل الفعل (رأيتُ) آخر

الكلام وهذا ما يطلق عليه ← مستقيم قبيح

والذي قصده سيبويه من تحليله وشرحه لباب الاستقامة، كما قال السيرافي (368هـ):

«الذي لم يكن فيه خلل من جهة اللغة والنحو»¹؛ لأنه ميّز بين اللفظ والمعنى، وطبق عليه حكم

الاستقامة، ورتب أصناف الكلام ترتيباً لسانياً محكماً.

فاللفظ إذا فسّر بمفاهيم تخصّ المعنى؛ فمعنى ذلك أن التحليل معنوي لاغير، أما إذا فسّر

اللفظ دون أي اعتبار للمعنى، فهو تفسر لفظي نحوي، وكما رأينا من شرح الخليل وسيبويه،

وغيرهم من التّحاة العرب، فإنهم لم يخلطوا بين هذين المفهومين، وعلى هذا يقول حاج صالح:

«فالتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصير»²

¹ - السيرافي، شرح الكتاب، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، القاهرة ج2، ص: 89

² - حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 217.

وبهذه الشروط يستقيم لسان المتحدث ويتجنب اللحن، حتى وإن وقع فيه مشافهة، أو كتابةً يستدرك تصويبه من خلال معرفته بالقواعد النحوية والكلامية، وهذا يعزز منطق اللغة العربية وشفافيتها منهجاً، وفكراً؛ لأنّ النحاة العرب قد أولوا الكلام ومفهوم الجملة عنايةً بالغة.

3-2-2 مصطلح العامل بن الوجود والعدمية:

يعدُّ مفهوم العامل أحد أهم ركائز النظرية الخليلية الحديثة، نظراً لاعتبارات مهمّة، تربطه بالألفاظ، ويتحقّق في أقل ما يمكن أن يبنى منها فالعامل كما قال ابن فارس عام في كل فعل، قال الخليل: عمل يعمل فهو عاملٌ، واعتمل الرجل إذ عمل بنفسه.¹

ونجد في لسان العرب أنّ كلمة (العامل) تعني: « الذي يتولى أمر الرجل في ماله وملكه وعمله...ومنه العامل الذي يستخرج منه الزكاة...والعمل المهنة والفعل.»⁴ ونحو ذلك كثير في مرادفات العربية.

وهو في رأي عباس حسن: ما يؤثر في اللفظ تأثيراً ينشأ عنه علامة إعرابية، ترمز إلى معنى خاص كالفاعلية أو المفعولية أو غيرها، ولا فرق بين أن تكون تلك العلامة ظاهرة أو مقدّرة.

ولعلّ الباحث في تاريخ الاتجاهات اللسانية الحديثة، يدرك أنّ الوصفيون رفضوا فكرة العامل، كما رفضه بعض العلماء القدماء، أمثال ابن مضاء، الذي أراد حذفه من نظرية النحو، وتبّه على ما وقع فيه النحاة، وأهل اللغة الذين سبقوه من أخطاء.¹ حتى أنّ من النقاد اللسانيين، من يرى، أنّ نظرية العامل قد أنتجت مشكلات، فيما يتعلق بالتأويل، وحجتهم في ذلك أنّ ابن مضاء القرطبي قد « أدرك منذ القرن السادس الهجري عدم جدوى هذه التعقيدات التي أتت بها نظرية

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة عمل/125

³ - ابن منظور لسان العرب، مادة: عمل، ج1، ص: 107-108

¹ - ينظر: ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1947، ص 85

العامل والعلل الثواني والثالث، وما يتبعها من تقديرات وتأويلات مبنية على التحمل، والتخيّل، فأوضح أنّ حركات الإعراب لا تأتي للدلالة على عوامل محذوفة، وإنّما تأتي للدلالة على معانٍ في نفس المتكلّم؛ فنظرية العوامل النحوية تؤدي إلى تؤوليات وتقديرات تميزها دلالات الكلام، كما في حالة التنازع والاشتغال... وهذا كلّه يندرج تحت علم اللغة المصعّر، أو الجزئي-Micro-Linguistique، الذي يعالج التفاصيل الجزئية بمعزل عن السياق، أمّا علم الفعليّات، والذي تُشكل نظرية أفعال الكلام أهم جزء فيه من علم اللغة الكلي-Macro-Linguistique، الذي هو الدّراسة الشاملة لعملية التواصل عن طريق اللغة.² ومستوياتها المختلفة.

نجد أنّ بعض الباحثين ربط ، مصطلح(العامل) بمسائل النحو بشكل مباشر، من خلال اطلاعهم على ما قاله علماء كالرمانى، الذي يربطه بعلة الإعراب نظراً للتغيير الذي يطرأ على الكلمة، عن طريق المعنى، وفي السياق ذاته يعرفه الجرجاني بقوله: «العامل ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب.»³ لذلك فالعامل يختصّ بما هو لفظي ومعنوي، فهو يخوض في مسألة العلاقة بينهما.

كما تحدث عنه ابن جني في كتابه الخصائص، بقوله: «وإنّما قال النّحويون: عامل لفظي، وعامل معنوي؛ ليُروك أنّ بعض العمل يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به؛ كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل؛ لوقوعه موقع الاسم.»¹ وغير ذلك من المواضع التي يكون فيه.

على ضوء النظرية الخليلية الحديثة، يرى الحاج صالح أنّ العامل يبنى على الألفاظ، وتظهر فرضية العامل في هذه النظرية، من خلال تفسير حركة الإعراب التي تأخذها مكونات الجملة، أثناء

² - هشام عبد الله الخليفة، نظرة الفعل الكلامي، بين علم اللغة الحديث، والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، مكتبة ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 2007م، ص: 17

³ - وليد الأنصاري، نظرة العامل في النحو العربي عرضاً ونقداً، الأردن، دار الكتاب الثقافي 2002، ص: 49

¹ - ابن جني في كتابه الخصائص، ج/1 ص: 109

بناء الألفاظ، حيث يرى أنّ « كل لفظة أصلاً كانت أم فرعاً تعتبر كأقل ما يمكن أن ينطق به، ممّا يصلح أن يكون مبنياً على اسم آخر أو فعل، أو مبنياً عليه اسم آخر أو فعل.»¹

فالمعنى الذي يتقصده، الحاج صالح من دور العامل الوظيفي في التركيب اللغوي، يحتاج إلى فهم موضوعي، حتى لا يفسّر من بعض الباحثين على أنّه مغالطة تثبت، « إنكاراً لوجود العامل، في الظواهر النحوية، والدلالية لمستويات الفعل الكلامي، الذي يعدُّ أحد أهم الركائز في الدرس اللغوي، والكلام عند القدامى ما اجتمع فيه أمران اللَّفظ والإفادة.»² فهذا يعطينا تصوراً واضحاً عن أهمية العامل في تقريب دلالة المعنى.

وعليه فتوصيف مستوى البنية السطحية، لفهم التركيب اللغوي « لا يعني إنكار البنية العميقة، بوصفها خاصة لغوية إنسانية. هذه الخاصة الإنسانية منحة من الله جل وعلا، وهي صالحة للعمل بالتفعيل والتوليد منها حسب البيئة اللغوية المعينة.»³ داخل التركيب الكلامي.

يفهم من موقف الرافضين لنظرية العامل، كابن مضاء، و ثلاثة من المحدثين (كنمام حسان وآخرون) هو انتهاجهم لمذهب يصف الظواهر في اللغة، أكثر ممّا يوليها جانبي التعليل والتماثل، اللذان سبق إليهما الخليل في دراسته، أمّا ابن مضاء فيتجلى انكاره في كتابه "الرد على النحاة"، ويبدو أنّه كان على وعي بما فعله النحاة وبأهدافهم عندما وضعوا النحو العربي، ويمكن القول إنّه أثنى على جهود النحاة، وأدرك أنّهم استطاعوا أن يصلوا إلى مبتغاهم في حفظ العربية، وصورها من

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، الجزائر، 1973، معهد العلوم اللسانية والصوتية، ص: 35

² - خالد الأزهري، التصريح على التوضيح، مطبعة الرجحي، 1320هـ، ص: 1-18

³ - الدكتور: كمال بشر في كلمة استقبال الدكتور: عبده الرجحي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الفصل الثالث: _____ اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

اللحن، ولكنه ينتقد ما قام بينهم من مطارحات، حول المسائل الخلافية، التي اتهم بسببها النحو العربي بالصعوبة والتعقيد.¹

يضاف إلى ذلك أنّ البنيويون، في منظورهم اللساني الذي رسّخه دي سوسير، يعتمدون في تحليلهم للكلام البشري على مبدأ التقطيع والاستبدال، إذ يجزئون الكلام إلى قطع، ويستبدلوها بأخرى؛ فإذا ظل الكلام مستقيماً مفيداً، كان دليلاً على أنّها وحدات معجمية مستقلة، وأمّا التوليديون والتحويليون، فيفترضون أنّ كل جملة تتكون من مكونين اسمي وفعلي ويمثلون هذه البنية بمشجرين الأول للبنية العميقة والثاني للبنية السطحية.

وسنعرض للنموذج المتبع في تحليل، الجملة بمكوناتها وفق هذه النظرية في المثالين الآتيين:

_ قول القائل: المثال: 1_ زيدٌ ذاهبٌ.

المثال: 2_ وذهب زيدٌ

فلفظة (ذاهبٌ)، في المثال الأول مبنية على المبتدأ (زيدٌ)، ولفظة (زيدٌ) في المثال الثاني مبنية على الفعل (ذهب).

وأما ما يكون مبنياً على اسم آخر أو فعل، فنحو قولك: زيدٌ ذاهبٌ. وزيدٌ ذهب مسرعاً.

(فزيدٌ) في المثال الأول بُني على اللفظة الاسمية (ذاهبٌ).

وفي المثال الثاني بُني على الفعل (ذهب).¹

¹ - ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، بيروت: دار الكتب العلمية، (2007)، ص: 8-9 (بالتصرف)

¹ - ياسين بوراس، تعليم النحو العربي بين نظرية العامل الموروثة ونظرية البحث اللساني، جامعة مولود معمري تيزي

وزو، ص: 50

² - أنيس فريجة، نظريات في اللغة، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1981، ص: 116

ويرى أنيس فريجة أنّ مؤسس الوصفية، إن سئل عنه لن يكون إلاّ عربياً عالماً، كابن مضاء القرطبي، فإنّه حاول أن يقضي على فكرة العامل والعلة.² من خلال الاعتماد على وصف الكلام، وهذا يحدث من دون شك اختلالاً في المعنى اللغوي.

حتى أنّ بعض الباحثين المحدثين حاول ، أمثال إبراهيم السمراي وتمام حسان، اللذان ركزا على ثنائية الشكل والوظيفة، بوصفهما أساسين من أسس المنهج الوصفي، قابلين للتطبيق في كل فرع من فروع الدراسة اللسانية وغيره.³ وذلك لأنّ الاتجاه الوصفي تبني مسألة الانتماء في البحث، من خلال رؤية أنّ حل الأزمة التربوية لتيسير النحو العربي، يتم بتطبيق المنهج الوصفي على علم النحو العربي.⁴ وهذا موضوع شاق في تعليم النحو.

وفي هذه المسألة يفرق الحاج صالح في منهج تعليم النحو، بين منهجين إثنين:

1- **النحو العلمي:** الذي يتضمن المحتوى اللغوي للتراث، بكلّ علومه اللسانية والفكرية والثقافية، وهذه تمثل المعرفة التي يحتاجها الباحث، بالدرجة الأولى، وهذا النحو هو نظرية ينبغي أن تكون معياراً تتحكم فيه ضوابط موضوعية.⁵

2- **النحو التعليمي:** وهو تبليغ المحتوى الإستمولوجي، للغة وفق رؤية

علمية، أمّا من يكفل إيصالها بالطرق الديداكتكية فهو المدرس، والمؤطر، والمؤسسة التعليمية برمتها، لأنّ المحتوى النحوي العربي، من كتب القدماء كالخليل وتلميذه سيبويه وابن جنّي وغيرهم

³ - ينظر: خالد خليل هادي: تمام حسان في معيار النقد اللساني، مجلة الأستاذ ، ع/203، 2012، ص: 248

⁴ - ينظر: - ينظر: إبراهيم السمراي، النحو العربي نقد وبناء، دار عمار للنشر والتوزيع، (ب د ط)، ص: 08

⁵ - ينظر: رسالة ماجستير: ، النظرية النحوية التي يركز عليها تعليم النحو والبنى التركيبية، إعداد: خولة طالب الإبراهيمي،

إشراف: أ.د عبد الرحمان حاج صالح، 1977م، ص: 205

مما لا يحصى، لن تكون سبباً في تعليم اللغة، على الرغم من محتواها، فهي لا تكسب ملكة اللغة للمتعلّم.¹

3-المبحث الثالث: التنظير اللساني للتراث العربي، والهيمنة الغربية على المفاهيم:

لعلّ المتبع لمراحل التطور الذي، أصاب اللسانيات العربية، على المستوى المنهجي، يرى هيمنة فكرية، وثقافية، واضحة المعالم، طغت على المشهد اللساني العربي، نتيجة الهيمنة العلمية على مصطلحات هذا العلم الجديد، بالنسبة للقومية العربية، رغم أنه متجذّر في التراث معجماً، وتصنيفاً، ولغةً. وهذا الوضع يستلزم من الباحثين العرب، تنظير تراثهم اللغوي الثري، بما يرون من مفاهيم، يتفقون على وضعها، واستعمالها وتلقيها للأجيال الصاعدة، ولا ينبغي أن يكون هذا التنظير نابعاً من زوايا فلسفية، تلغي جهوداً ما، أو تركز على منهج النقد لأجل الانتصار لنظرية ما. وعليه خصّصنا الحديث في هذا المبحث، عن مصطلح الجملة، لكونه موضوعاً، مهمّاً من موضوعات الدرس اللساني المعاصر.

3-1- مصطلح الجملة في الفكر اللغوي العربي:

يعدُّ الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، أول من ينسب إليه مؤلّف يحمل عنوان (الجملة)، رغم أنّه لم يتقصد بذلك الجانب الاصطلاحي للجملة، وإمّا قصد إجمال قواعد نحوية في شتى أبواب النحو، فنجدّه يقول في مقدّمة كتابه الجملة: «هذا كتابٌ فيه جملة الإعراب»². ثمّ أنّه يعرفها سياقياً بأنّها: «جماعة كلّ شيء بالجملة من الحساب وغيره، وأجملتُ له الحساب، والكلام من الجملة»¹ حيث ميّزها بصفة إجمال الشيء من الكلم، وهذا موضوعي سواء بفهم وقصد منه، أو بغير قصد؛ إذا ما نظرنا إلى المفهوم الحديث للجملة.

¹ - ينظر: حاج صالح، النحو العلمي والنحو التعليمي، مجلة مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، ع/127، ص: 146

² - الجملة في النحو، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدّين قباوة، مؤسسة الرّسالة، القاهرة، ط1، 1985، ص:

أما تلميذه سيبويه (ت180هـ)؛ فلم يستخدم مصطلح الجملة في تناوله للقضايا النحوية المختلفة، حسب رأي كثير من اللغويين المعاصرين.² وقد علق ذلك حاج صالح بقوله: «أنه قد يبدو للباحثين أمراً غريباً ألا يوجد أي أثر لكلمة (الجملة) في كتاب سيبويه.»³

بإمعان النظر في كتاب سيبويه، نجده قد ذكر كلمة (الجملة)؛ فيقول مثلاً في (باب ما يحتمل الشعر): «وما يجوز في الشعر أكبر من أن أذكره لك ههنا؛ لأن هذا موضع جمل.»⁴ ، ويقول أيضاً: «فهذه جملة هذا كله»⁵ وربما يقصد هنا بلفظ (جملة)، الإجمال بمعنى الإحاطة والجمع لمختلف مناحي ما عرضه من موضوعات وشروح.

وهناك من علماءنا من جعل الكلام والجملة في مرتبة واحدة، كالزمخشري والجرجاني، الذي يعرف الجملة بقوله: «اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف سمي كلمةً، فإذا أتلف منها اثنان فأفاد نحو: خرج زيد، سمي كلاماً وسمي جملةً.»⁶ حسب ما اعتادوا التأليف عليه.

إذن يفهم من ذلك أن كل هذه الاستعمالات وغيرها، لم تكن دالة على المعنى الاصطلاحي (للجملة) بالمنظور الحديث، ولكننا على الرغم من ذلك؛ نجد أن سيبويه قد ذكر العناصر المكونة للجملة، وهما: (المسند والمسند إليه)، اللذان يمثلان مفهوم الإسناد، مخصّصاً لهما باباً في كتابه حيث يقول: «وهما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجدُ المتكلم منهُ بدأً، فمن ذلك الاسم

1 - الخليل ابن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دط، دار الحرية بغداد، ج6، ص: 17

2 - بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والتشتر والتوزيع، القاهرة 2003، ص: 21

3 - عبد الرحمان حاج صالح: الجملة في كتاب سيبويه، ندوة النحو والصرف الصادرة عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، 27-30/08/1994، ص: 205-207

4 - كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1988، 32/3

5 - المرجع نفسه، 113/3

6 - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص: 22

المبتدأ والمبني عليه.¹ ويقصد بالمبني عليه، (الخبر) لكونه يحمل دلالة الإخبار لعله ما جاء قبله (المبتدأ).

كما ذكر يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) في مصنفه (معاني القرآن) لفظ (الجملة)، ولكنه لم يحدّد ملامحها الاصطلاحية، ولم يصرح لها بمفهوم بيّن، ومن ذلك قوله: «وقد وقع الفعل في أول الكلام، وهو ما نطلق عليه الآن الجملة الفعلية.»² وهذا تعريف جليّ.

وتشير أغلب الدراسات اللغوية في هذا الصدد، إلى أنّ أبا العباس المبرد (ت 285هـ)، هو أول من وظّف لفظ الجملة في المسائل والقضايا النحوية، بمعناها الاصطلاحية، مركزاً على قصد الدلالة على الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره؛ والشاهد على ذلك ما جاء في كتابه (المقتضب)، حين يقول: «وإنّما كان الفاعل رفعا؛ لأنّه هو والفعل جملةً يحسنُ السكوتُ عليها، وتجب بها الفائدة.»³ والإفادة في الكلم.

لذا يتحدّد مفهوم الجملة عند المبرد، من خلال الدلالة على موضعيته النحوية، داخل التركيب الإسنادي، سواء كان المسند فيه فعلاً أم اسماً.³

يكاد يجمع أهل اللغة، على أنّ مفهوم الجملة قد تطوّر، خاصةً مع بداية القرن الرابع، وحتى القرن الخامس الهجريين، حين دخل مرحلةً جديدةً لوضع القواعد، وتحديد المكونات اللغوية المهمّة لها، بشكل دقيق ومفصّل، حيث أسهم بعض النحاة العرب في هذا التطور أمثال: ابن السراج (ت 316هـ)، وأبو الفتح ابن جنيّ (ت 392هـ)، وعبد القادر الجرجاني (ت 471هـ)، وغيرهم من

¹ - المرجع نفسه، 23/1

² - يحيى بن زياد الفراء، معاني القرءان عالم الكتب، بيروت، لبنان، 10/2

³ - أبو العباس مُجَدِّد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: مُجَدِّد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،

1994، 146/1

⁴ - ينظر: على أبو المكارم، الجملة الإسمية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م

المتأخرين، الذين حدّدوا جوانب نحويةً جديدةً للجملة، حتى وإن لم يضعوا لها تعريفاً واضحاً، ولم يهتموا بذلك، ولكن كان لهم الفضل في التمهيد المفاهيمي، لمصطلح الجملة لدى اللغويين العرب المتأخرين و المحدثين.¹

ومع منتصف القرن السادس الهجري، اتّضحت الصّورة الاصطلاحية، لمفهوم (الجملة)، أكثر من ذي قبل، حيث عرّف ابن هشام الأنصاري (ت 716هـ)، الجملة بقوله: « والجملة عبارة عن الفعل وفاعله مثل: (قام زيدٌ) والمبتدأ والخبر مثل: (زيدٌ قائمٌ)، وما كان بمنزلة أحدهما أحدهما: نحو ضُرب اللّص، وأقائمُ الزيدان وكان زيدٌ قائماً وظننته قائماً.»² وغير ذلك من الصّيغ في التركيب.

يعدُّ الأنصاري أول من بسّط الكلام عن مصطلح الجملة، موضّحاً أبعادها، حتّى أنّه أفرد لها باباً خاصاً في كتابه (مغني اللّبيب عن كتب الأعراب)؛ متناولاً فيه هذا المفهوم بأسلوب علمي، عدّ الأول من نوعه في التراث العربي. وقد أولى اهتماماً بالغاً في وصف حدود الجملة، وأنواعها وفرّق بينها وبين الكلام من حيث التركيب والمقصدية.

والواقع أنّ ربط الجملة بالكلام، قضية شكّلت خلافاً علمياً بين علماءنا، القدامى منهم والمتأخرين، فلا نراهم تناولوا مصطلح الجملة، إلّا وربطوا تعريفها بمصطلح الكلام، أو الكلم، بالتوافق تارة، والاختلاف تارةً أخرى.

¹ - ينظر: أحمد مجتبى السّيد مُجّد، الجملة عند التّحاة واللّغويين القدامى المحدثين (مفهومها ومكوناتها)، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، المجلد:13، العدد: 02، ص: 03

² - جمال الدّين ابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مُجّد محي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع للنّشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2005، 37/1

حتى أنّهم انقسموا على هذا إلى فريقين لكلّ منهما نظريته، ومنهجه في التحليل، وتفصيل الكلام عن نقطة الخلاف.*

« والأصل عند العرب هو ما يبنى عليه ولم يبنَ على غيره، وهو أيضاً ما يستقلُّ بنفسه، أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده، ولا يحتاج إلى علامة لتمييز عن فروع، فله (العلامة العدمية **Marque Zéro**) على حدّ تعبير اللسانيات الحديثة.¹ وهذه المقدرة العربية على فهم البناء، والمبنى الخاص بالتركيب اللغوي للجملة، داخل (مرفولوجية الكلام)، يعدّ أولى بالفهم والتنظير السليم، إذا ما قوبل بالفهم الغربي للجملة.

3-2- الجملة في المنظور اللساني عند المحدثين:

لم يتّضح اتفاق الباحثين المحدثين، حول المقاييس التي يمكن من خلالها الوصول إلى معنى الجملة، ومعرفة حدودها، والسبب في ذلك هو عدم فهمهم للمعنى الموحد لها، خاصةً إذا تعلّق الأمر بالتركيب، وهذا راجع إلى اختلاف مرجعيات هؤلاء المحدثين، وتعدّد انتمائهم للمدارس اللسانية الغربية.

* الفريق الأول: يرى أنّ الجملة والكلام مترادفان، ومعناهما واحدٌ، كأبو علي الفارسي (ت377هـ)، حين تناول أجزاء الكلام: الاسم والفعل والحرف، ثمّ عقد فيه باباً، قال فيه: «هذا ما ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة الاسم والفعل والحرف كان كلاماً، وهو الذي يسمّيه أهل العربية: الجمل.» والموقف نفسه عند ابن جني (ت392هـ) حين عرّف الكلام بقوله: «أما الكلام فكلُّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسمّيه التحويون: الجمل نحو: زيدٌ أخوكُ وقام محمدٌ.» وقد يكون علي بن عيسى الرّماني (ت384هـ)، أوّل من عرّف الجملة من منظور المناطقة؛ فيقول: «الجملة هي المبنية من موضوع، ومحمول للفائدة.» وقد قال بربط الجملة بالكلام كذلك الزمخشري (ت538هـ)، وأبو البقاء العكبري (ت616هـ)، وابن يعيش (ت643هـ) وغيرهم، أما الفريق الثاني: فقد ذهب إلى القول باختلاف الجملة عن الكلام، ومن بن هؤلاء ابن مالك الأندلسي (ت672هـ)، وذهب هذا المذهب الاسترادي (ت686هـ)، وابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، والجرجاني (ت816هـ)، وغيرهم ممّن رأوا مسألة الخلاف، ولكن اللغويون المحدثين يرون خلاف ذلك ويجمعون على ضرورة الجمع بينهما حسب الموضوعية والمقصدية لكليهما. لتفصيل ينظر: أحمد مجتبى السّيد مجّد، الجملة عند النّحاة واللّغويين القدامى المحدثين (مفهومها ومكوناتها)، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، المجلد: 13، ع/02

فالبنوية التي نسبت إلى سوسير، تربط الجملة بالنموذج، والمحتوى فتعرّفها على أنّها: «أحسن نموذج يمثل التركيب/ السياق، إلا أنّها من مشمولات الكلام لا اللغة، أفلا ينجر عن ذلك أن يكون التركيب أيضاً من مشمولات اللفظ/ الكلام؟»¹ وهذا توصيف لنماذج الجملة، وحصراً في حدود التركيب فحسب.

وقد أشرنا إلى هذا الانقسام سلفاً، ونعتقد أنّه كان نتيجة لتبني المنهج الوصفي، بأسلوب غريب على العربية، بحثاً، ومنهجاً، وهو من منظور النقاد يصنّف إلى اتجاهات ثلاث:

1- الاتجاه الأول: يرى أنّ الجملة تحمل دلالة على التركيب المفيد، بدون النظر إلى قضية الإسناد.

2- الاتجاه الثاني: يؤكّد دلالة الجملة على التركيب الإسنادي بدون مراعاة عنصر الفائدة، التي يكشفها المتلقي.

3- الاتجاه الثالث: جمع بين الاتجاهين السابقين؛ أي ضرورة توقّر عنصري الفائدة والإسناد حتى يكتمل بناء الجملة ويتم معناها ودلالاتها.²

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض النحاة العرب جعلوا الجملة مرادفةً للكلام، باعتماد شرط الإفادة، أمثال ابن جني، والجرجاني، والزمخشري، وغيرهم، وهذا ما يدلُّ عليه قول ابن جني: «الكلام كلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد بمعناه، وهو الذي يسمّيه النحويون الجمل». ¹ وكأنّ المعنى واللفظ مرتبطان بالمنطق الذي بني عليه التركيب داخل الجملة.

¹ - سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريف: صالح القرمادي ومُجد الشاوش ومُجد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1985، ص: 34

² - أحمد مجتبى السيد مُجد، الجملة عند النحاة واللغويين القدامى المحدثين (مفهومها ومكوناتها)، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، المجلد: 13، العدد: 02، ص: 05

¹ - ابن جني أبي الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: مُجد على النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، ج1، ص: 32

فالملاحظ على هذه الاتجاهات الثلاث، أنّها تباينت في تحدّد المعنى، وعلاقته بتركيب الجملة، وغيرها من المسائل، كما يرى إبراهيم أنيس أنّ الجملة في تصورها الموجز هي : « أقلُّ قدر من الكلام الذي يفيد السامع معنىً مستقل بنفسه، سواءً تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر؛ فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً : من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟ فأجاب : زيدٌ، فقد انطلق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة.»² فمن خلال هذا التمثيل الذي طرحه إبراهيم أنيس، يتبيّن أنّ قضية الإفادة من ناحية المعنى، ممكنة شرط أن يكون اللفظ المفرد جملة، لها معنى مفيد يحسن السكوت عليه.

ثم إنّ هذه المسألة هي من مباحث، علم اللسانيات الجنائية - Forensic linguistics، أو اللغويات الجنائية، وهي تتناول تحليل اللغة، والمعالجة الآلية، والتحقيق اللغوي، وهي علم مساعد على التحقيقات ومسائل القانون وغيرها؛ لأنّ التعامل مع اللغة، أو ما أصبح يعرف بالقوة الناعمة للإعلام واللغة المكتوبة في مقابل القوة الجسدية أو السلاح، أضحي هو المتحكم في قوى الفكر العالمي.³

على نفس هذا السياق في تعريف مصطلح (الجملة)، يرى مهدي المخزومي أنّها : « الصّورة اللفظية الصّغرى في أية لغة من اللغات، وهي المركب بأنّ صورة ذهنية قد تألفت أجزاءها في ذهنه، ثم هي الوسيلة، تنقل ما جال في ذهن المتكلّم إلى أذن السامع.»¹ بما يعني توافق اللفظ مع المعنى أو ما يعرف بالصورة السمعية، والذهنية للمتكلّم.

² - من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 2010، ص: 236

³ - ينظر: صالح بن فهد العصيمي، اللسانيات الجنائية "تعريفها، ومجالاتها، وتطبيقاتها"، مركز فهد الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1 2020، ص: 36

¹ - مهدي مخزومي، في "النحو العربي نقد توجيه"، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2، 1986، ص: 31

الفصل الثالث: _____ اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

في المقابل هناك من اتّبع منحى النّحاة القدامى، في تعريف الجملة ومن هؤلاء: عبد السلام هارون، الذي ربط بين الجملة والكلام، موضحاً الفرق بينهما بقوله: «والحقُّ أنّ الكلام أخصُّ من الجملة، والجملة أعمُّ منه.»² وهذا في تصوري حسب دلالة تموضع كلاّ منهما في السياق التركيبي للنّص، أو المتن، أو الخطاب.

يضافُ إلى ذلك أنّ «مركبات الجملة في اللغة العربية، مغايرةٌ لمركبات الجملة في الإنجليزية والفرنسية ونحوهما من اللّغات الأروبية، ويمكن حصر هذا التغير فيما يلي:

أولاً: الجملة في اللّغات الأروبية لا تكون إلاً فعلية؛ ولا تعرفُ هذه اللّغات جملة مركبة من أسماء فقط، بل لا بد من تضمّنها للفعل سواءً كان فعلاً تاماً، مثل التركيب التالي (Le garçon croque une pomme)، أو كان ناقصاً كما في الجملة ذات الربط القضيوي (**être**) الظاهر في الجملة التالية: (La terre est malade).

وإذا أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، اللغة الفرنسية، فهي تخضع لنمط الجزء الثابت، في التركيب، كما يوضّح ذلك المستشرق هنري فليش بقوله: « فنحن نستخدم في الفرنسية جزءاً ثابتاً لا يتغير، وهو في الواقع مكّون من صوامن ومصوّتات متداخلة في هذه الصوامت، بحيث يصاغ من العنصرين كلٌّ لا يقبل التجزئة.»³ وهذا يحدّها من تعدّد السياق والمعنى.

وبالتالي يجب أن يظهر في البنية المكونية للجملة، مركب فعلي (م ف)، أمّا في العربية ونحوها من اللّغات، فالجملة منقسمة إلى نوعين اثنين:

² - عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النّحو العربي، مكتبة هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2001، 5، ص:

³ - ينظر: عودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى، 2010م، ص: 66

(أ) جملة اسمية: تتكوّن من مركبات اسمية لا غير مثل (الله ربّنا، محمد نبينا، الإسلام ديننا...زئبق معدن سائل، المرجان نبات بحري..)، هذه الجمل ومثلها غير المتناهي، لا يدخل الفعل في تكوين أحد مركباتها، وبالتالي لا تطابق بين الجملة الاسمية في العربية، وبين البنية المركبة للجملة التي صاغها شومسكي وعمّمها على جميع اللغات، كما سيأتي بيان ذلك.

(ب) جملة فعلية يدخل الفعل في تكوينها بصرف النظر عن موقعه في بنيتها المكونية؛ كما في الآيات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2)﴾ (سورة الرحمن- الآية 1-3)

ومن المعلوم أن لتقسيم الجملة، في اللغويات العربية مفهوميْن اثنين: أحدهما وظيفي بموجبه تصدق الفعلية على الجملة التي يدخل الفعل في تكوينها، أيّاً كانت رتبته بالنسبة إلى الاسم المرفوع الذي يراكبه، في حين تصدق الجملة الاسمية على الجملة المركبة من الأسماء لاغير. وهو التقسيم الذي تبناه البيانيون، كما جاء في كتاب الرازي نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.¹

فهذا يدلّ على التميّز الذهني، و الدقّة في شرح وتوصيف المفاهيم اللغوية، والمنهج السديدي في التخرّيج العلمي، وكلّها سمات وخصائص، تعبر عن ضخامة الجهود التي قام بها علماءنا العرب، بما يماثل، ويضاهي أحدث النظريات العلمية فكراً ومنهجاً.

3-3 الجملة في المنظور اللساني التوليدي:

1 - مُجَدُّ الأوراعي، اللغويات العربية واللسانيات الغربية، المحاضرة 1، جامعة الإمام مُجَدُّ بن سعود الإسلامية، ص: 10-11

تتجلى أهمية الجملة في المنظور التوليدي، كلما نظرنا إلى ضوابط استقامة الكلام، لأنهم «يعتمدون في منهجهم عند تحليل الكلام البشري على مبدأ قطع ويستبدلونها بأخرى. فإذا ظل الكلام مستقيماً مفيداً، كان دليلاً على أنها وحدات معجمية مستقلة. وأما التوليديون؛ فيفترضون أن كل جملة تتكون من مكونين اسمي وفعلي ويمثلون هذه البنية بمشرجين، الأول للبنية العميقة والثاني للبنية السطحية.»¹ التي تمثل بيئة اللغة.

فالجملة في منطق النظرية التوليدية، تركز على المعنى الواحد للفظ، أكثر من المعنى ذاته، ويظهر ذلك حين يوظف نعوم تشومسكي -N.Tchomeski كلمة (قاعدية)² المقابلة لكلمة (مستقيم) عند سيوييه، ويستعمل (غير قاعدية) في مقابل (محال).³

ذلك أن التركيب يمثل مجموعة العلاقات الأفقية-Syntagmatic relations، التي تحمل بين عناصر جملة أو جزء فرعي لها، وبتعبير آخر هو الطريقة التي توضع فيها هذه العناصر معاً من أجل صياغة الجملة أو جزء منها، فيرتبط معنى المفردة بوظيفة الموقع الذي تشغله.⁴

وينبغي التنويه إلى أن أول من استعمل مصطلحي: "البنية السطحية- Surface structure" والبنية العميقة- "Deep structure" هو تشارلز هوكيت Charles

1 - عبد الرحمان حاج صالح: وثيقة رقم 2، المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، مؤتمر اللغويات الحاسوبية، الكويت، 1989، ص: 230

2 - ينظر: منذر العياشي: اللسانيات والتنظير: مجلة الفكر العربي، عدد 44/ نقلاً عن ميشال زكرياء: بحوث ودراسات ألسنية عربية، ص: 55

3 - Trask, (1993-1996) A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics, p.263

4 - ينظر: سعيد جبر أبو خضر، وعبد الرحمن قبلان السرحان، أثر علاقات المعنى في تقعيد تراكيب العربية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد/9، ع02، 2012، ص: 682

Hochett، قبل بزوغ نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية.¹ ويثبت هذا، ما جاء في مؤلفه الشهير: «محاضرة في اللسانيات الحديثة»² وهو مؤلف مشهور.

أما الجملة في نظر (تشومسكي) فتعني: «الصيغة الظاهرة في الإشارة إلى المعنى، ومنها تستنبط القواعد التي تساعد الناطق بلغة ما، على توليد الصيغ السليمة»³ المناسبة للكلام وفق معيار البنية السطحية والعميقة، في تحويل الجملة إلى متتابعات لفظية.

ذلك «أنَّ القواعد التحويلية تختلف عن البنيوية في أمور عدّة: فهي لا تجيز الانتقال من رمز واحد إلى متتابعة من الرموز قد تكون أنقص، بالإضافة إلى شروط تقيّد الانتقال، وهذا ما يجعلها أقوى من القواعد البنيوية، بمعنى كلّ ما تستطيع فعله القواعد التحويلية، بينما العكس لا يصح»⁴ وكما هو معلوم فقد أشار تشومسكي إلى جهود اللغويين العرب، ونعتها بأنّها كانت الأقرب إلى المنطق العقلي للإنسان.⁵

وحرّي بنا في المقام ذاته، أن نستعرض موقف ابن جني، في تميّزه بين مفهومي (المعنى) و(البنيوتين)، حيث يرى بأقدمية وأسبقية البنية العميقة على البنية السطحية؛ معللاً ذلك بقوله: «اعلم أنّ واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها؛ هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها، وعلم أنّه لا بد من رفض ما شنع تألفه منها نحو: (هع وقج وكق)، فنفاه عن نفسه، ولم يمرره بشيء من لفظه، وعلم أيضا أنّ ما طال وأمل بكثرة حروفه، لا يمكن فيه من

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، دوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص: 212

² - Charles Hochett, A course in Modern linguistics. Macmillan, 1968, p.246

³ - جابر عبد الأمير جبار التميمي، جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص. 77.

⁴ - عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، مجلة عيون المقالات، العدد 05، 1986م، ص: 17

⁵ - ينظر: عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، (ب د ط) دار النهضة العربية بيروت، 1979م، ص: 199

الفصل الثالث: اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

التصرف ما أمكن في أعدل الأصول وأخفها؛ وهو الثلاثي، وذلك أنّ التصرف في الأصل وإن دعا إليه قياس، وهو الاتساع به في الأسماء والأفعال والحروف.¹ وهذه القاعدة قد تتناسب مع التركيب في العربية دون غيرها.

لأنّها ليست من اللغات التسلسلية، التي يقوم فيها التحليل الكلامي، على مبدأ التسلسل، وفي هذه النقطة تحديداً يقول حاج صالح منبهاً: « أنّ هذا التحليل للكلمة العربية لا يناسبها على الإطلاق (كما لا يناسب صيغ الجمع مثل: Chlid/Children أو feet/ foot في الإنجليزية وتصاريف الفعل الألماني وغير ذلك).² وهذا يمثل صعوبة في التعامل مع التراكيب في اللغات الأوروبية كما أشرنا سلفاً.

ذلك أنّ الترابط بين البنية السطحية، والبنية العميقة موجود لا يمنع وجود فروق، أو سمات تماز بها البنية السطحية عن العميقة، أو العكس.³ ويمكن الاستدلال على هذا التحويل من



¹ - ابن جني، الخصائص، 242/1

² - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 307

³ - ينظر: عبد الله أحمد جاد الكريم، البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب، ص: 03

⁴ - علي الطاهر، منتديات تخاطب، على الرابط: <https://takhatub.ahlamontada.com/t525-topic>

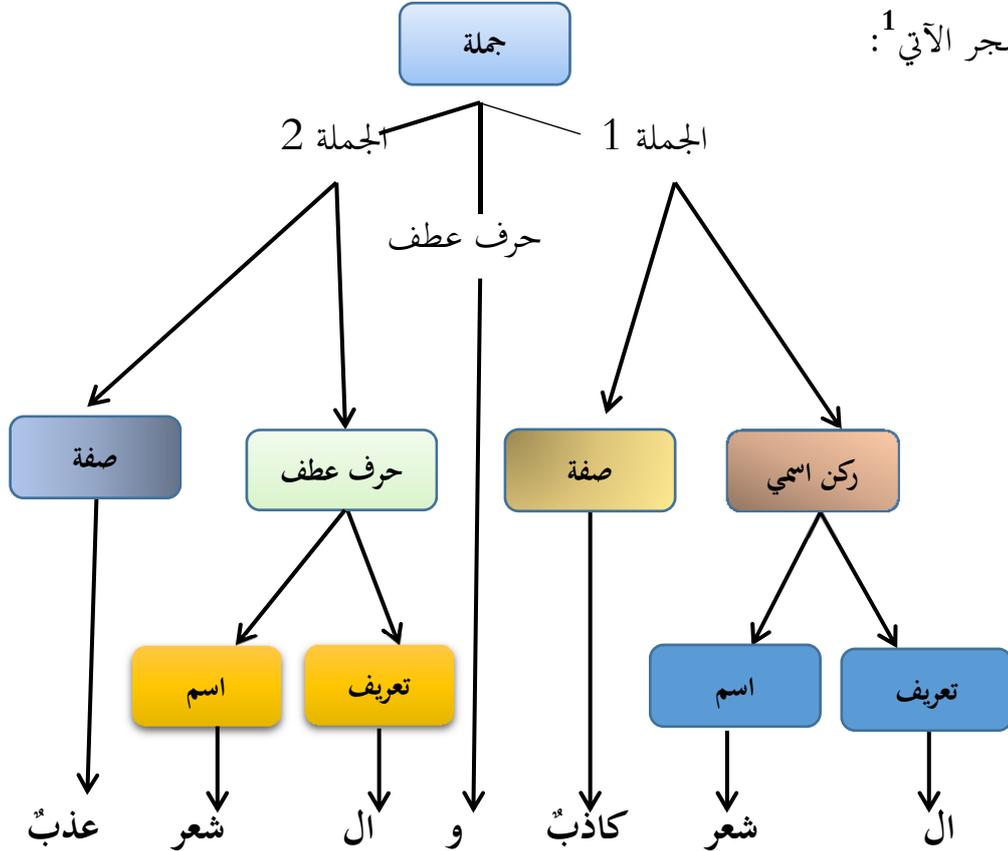
تم الاطلاع: 2021/06/28

الفصل الثالث: اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

وبالتالي نستنتج، أنّ هذه الميكانيزات اللغوية، إن جاز الوصف، تتحكم في العلاقة التي تجمع بين البنية العميقة والبنية السطحية، في التركيب الكلامي، لأنّه مبني في الأساس على ثبات أجزاء الجملة، في المنظور التوليدي، وهذا المبدأ لا يوجد في العربية، لكونها لغة تراعي التلاؤم والليونة في علاقة المعنى بالبنية.

لذلك ينطلق تحليل الجملة، في المنهج التوليدي؛ من نظرية التركيز على ما ترمز إليه سمائية المعنى، ومنه تتولد الدلالات، والشرط الأهم في هذه القاعدة، هو أن تتساوى أركان الجملة، ويمكن التمثيل لهذا، المستوى من تحليل التركيب كقولنا: **الشعر كاذبٌ وعذبٌ**. وعلى ذلك يستقيم لنا

المشجر الآتي¹:



¹ - ينظر: عادل فاحوري، اللسانيات التوليدية والتحويلية، ط1، 1980 دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2،

الفصل الثالث: _____ اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

والجدير بالذكر أنّ تشومسكي قد تخلّى عن طريقة (بلومفيد)¹ و (زيلغ سبايتي هاريز).² في تحليل الجمل، وتشريحها نحويًا، وفكرة هذه الطريقة تقوم على تحليل الجملة إلى عناصرها الأساسية أي المكونات المباشرة بوساطة مخطط الخانات، وهي قائمة على رسم خانات، نضع فيها كل عنصر في خانته؛ فإذا أخذنا الجملة الأتية (كتب التلميذ الواجب الطويل)، كما هو موضح في الجدول الآتي:³

الجملة						
كـتـب	اـل	تـلـمـيـذ	اـل	واـجـب	اـل	طـوـيـل
فـعـل	تـعـرـيـف	اـسـم	تـعـرـيـف	اـسـم	تـعـرـيـف	نـعـت
فـعـل	رـكـن اـسـمـي		تـعـرـيـف	اـسـم	تـعـرـيـف	نـعـت
فـعـل	رـكـن اـسـمـي		رـكـن اـسـمـي		تـعـرـيـف	نـعـت
فـعـل	رـكـن اـسـمـي		رـكـن اـسـمـي		رـكـن اـسـمـي	
رـكـن فـعـلـي	رـكـن اـسـمـي					

¹ - ينظر : تشومسكي، جون ليونز، ط1، 1985، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرة، مصر، ص 46.

² - ميشال زكرياء، الألسنية المباديء والاعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983، ص 92.

³ - رسالة ماجستير، جذور النظرية التوليدية ف كتاب سيبويه، إعداد الطالب: جابر عبد الجبار التميمي، جامعة بغداد كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بإشراف الأستاذ المساعد: الدكتورة خولة تقي الدّن الهلالي، 2003م-1424هـ، ص: 78

بالتالي يتحدّد كلّ مكون من الجملة، (فعالاً أو اسماً) حسب الخانة، المبيّنة في الجدول، وقد تمّ التخلي عن هذه الطريقة، نظراً لأسلوبها التقليدي، والواقع أنّ نعوم تشومسكي - N.CHOMSKY قد «وضع نظرية جديدة لفتت انتباه العلماء والباحثين في الغرب ثمّ امتدّت إلى الشرق، فأخذ يشتغل في ضوئها العلماء في المعاهد والجامعات الشرقية، وفي العالم العربي بخاصة، آخذين بالقوانين التوليدية التحويلية، التي وضعها تشومسكي، وتنطبق على اللغة الإنجليزية، ثم يطبقونها على اللغة العربية.»¹ وقد أحدث هذا الاتجاه الذي جاء به تشومسكي، مفارقات فكرية ونزعات لسانية، في الوسط اللغوي العربي المعاصر، سنتحدّث عنها فيما يلي من هذا البحث

حيث اعتمد في تأسيس نظريته اللغوية، على جملة من المبادئ والفرضيات، التي قام بالتعديل عليها لاحقاً، حسب ما اقتضاه التطور النظري للدرس اللغوي، ومن جملة هذه المبادئ ما يلي:

1. مبدأ المعرفة اللغوية: اعتبار اللغة مرآة تعكس بدقة آليات التفكير في عقل

الإنسان، وهذا المبدأ كما يرى العديد من النقاد اللسانيين، يعكس تأثير تشومسكي بالفكر الفلسفي لديكارت.²

2- مبدأ التحويل (النقل): وهو جوهر وسرّ نظرية تشومسكي، وتعتمد فكرته على

تطبيق مجموعة معينة من القواعد (كالحذف، الإضافة، الاستبدال..)، لتغيير الموقعية من الجمل الصحيحة (الجملة النواة أو الإخبارية)، ثم الحصول على عدد غير متناه من الجمل المنفية، أو الاستفهامية، أو المبنية للمجهول، أو المفيدة للحصر، والقصر، وغيرها من القواعد.

¹ - خليل أحمد العمارة، المسافة بين التنظير التحويلي والتطبيق اللغوي (بحث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)، ط1،

2004، وائل للتشر والتوزيع، عمّان الأردن، ص: 250

² - ينظر: المرجع نفسه، الألسنية المبادئ والاعلام، ص 266.

والجدير بالذكر أنّ هذا المبدأ تتشارك فيه جميع اللغات السامية، نظراً لأهميته، ونلمسُ اطلاع تشومسكي الواسع على التراث اللغوي الخاص بالعرب، خاصة ما جاء به الخليل من أفكار نظرية جديدة كنظرية (العامل)، الذي يسميه تشومسكي ب: (Government)، ونحو ذلك من المفاهيم.

1- مبدأ النموذج الذهني الإبداعي: تبنى تشومسكي في هذا المبدأ، مفهوم القدرة اللغوية الفطرية للإنسان، أو ما يصطلح عليه النموذج الذهني (الفطرة و الغريزة)، بمعنى أدق ضرورة التفاعل مع البيئة اللغوية، أثناء فترة الطفولة... ويحتج تشومسكي بالفطرة في قوله: « فأعجب الناس يستطيع التكلم بينما أذكى الحيوانات لا يستطيع ذلك.»¹ وهذا يثبت مخالفة للسلوكيين الذين ربطوا دراسة اللغة بالسلوك الإنساني.

2. مبدأ البنية السطحية (Surface Structure) و البنية العميقة (Deep Structure): يمثل هذا المبدأ جملة من أهم المفاهيم التي نوقشت، في النظرية التوليدية التحويلية، وعلاقة البنية بالجانب الدلالي، من ناحية التحويلات التي تصيب المعنى؛ بالتغيّر فتتأثر البنية العميقة بذلك، ويقول: لا كوف في هذا الصّدّد إنّ موقف الدلالة التوليدية في جوهره يلح على عدم الفصل بين التركيب والدلالة، حسب مقتضى الحال، وأنّ دور التحويلات ودور القيود الانتقائية بصفة عامة، إنّما يتمثل في الربط بين التمثيل الدلالي والبنى السطحية.² دون أن يتجاوز حدود المعنى في البنية السطحية.

¹ - ينظر: أبو بكر عبد الله علي شعيب، الجملة عند ابن هشام، دراسة مقارنة مع مبادئ مجلة مجمع اللغة العربية، على الشبكة العالمية، تشومسكي اللغوية الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، العدد الثامن، ذو القعدة / أغسطس: 2015م ص: 330-329

² - ينظر: مكّمال ومُجّد بولعش، ملف خاص بنعوم تشومسكي، (بدون ت ن)، ص: 98م- بتصرف-

3. مبدأ الكفاءة اللغوية **Compétence** والأداء الكلامي -

Performance: وقد ميّز تشومسكي بين هذين المبدئين، في اعتبار الملكة تكمن في اكتساب اللغة من بيئتها، على عكس أداء المتكلم الذي عليه إدراك المعنى والمبنى معاً، وعلى النقيض من ذلك نجد أنّ ابن خلدون (1332م-1406م) يقرّ: « أنّ الملكة لا تحصل بمجرد الحفظ، وفهم المواضيع العلمية ووعيتها، إنّما تحصل بالمحاورة، والمناظرة وهي المفاوضة في مواضيع العلم.»¹ ومعارفه.

4. مبدأ الكليات اللغوية: « هي مجموعة المباديء المنظمة التي ينبغي أن

يلحظها البحث الألسني من حيث هي مشتركة بين اللغات، وتلتزم بها اللغات.»² وهي أطر هيكلية وضعها تشومسكي بقصد تنظيم القوانين التي تخضع لها قواعد اللغات عامة.

لتوضيح مفهوم (القواعد الكلية) يضع تشومسكي، أمامنا مثالين مشهورين، يبينان صحة الجملة من عدمها، فيقول:

1 - Calorless green Ideas sleep furiously

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنا بشدة)

2- Furiously sleep ideas green colorless

(بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار)

¹ - ابن عمار الصغير: التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1978م، ص: 121

² - حسام سعيد النعيمي، اصوات العربية بين التحول والثبات ، سلسلة بيت الحكمة، جامعة بغداد، ص 88.

والأكيد أنّ الجملة في المثال الأول، قد حققت الترتيب المنطقي، الذي يمثل مستوى البنية العميقة، أمّا المثال الثاني فعناصر الجملة غير مرتبة، ولا تطابق قواعد التحو في اللغة الإنجليزية، وهذا ما يجعل السامع يدرك الخطأ، للوهلة الأول على مستوى البنية السطحية.¹

بالرغم من تفوق تشومسكي، في تأصيله لمفهوم البنتين العميقة والسطحية، وتحليله لمختلف التفاعلات التي تحدث على مستوى الجملة. إلاّ أنّه أخفق في الإحاطة بمستويات اللغة مجتمعة؛ نظراً لتركيزه على انتقال البنية أكثر من تركيزه، على الجانب الدلالي والعاملي للغة.

« ورجوعنا لتراثنا الأصيل في هذا السياق، نجد أنّ ما قام به الجرجاني يعدّ أفضل تحليل في اللغة العربية ل(البنية السطحية " المنجزة") و (البنية العميقة" الشجرية")، وإيضاح التماثل بين المفاهيم التي طوّرها الجرجاني، وطوّرها تشومسكي مؤخراً، سهل جداً...ولتوضيح الفرق بين البنتين، فقد أعاد الجرجاني صياغة كل واحدة منهما بالطريقة نفسها التي يستعملها تشومسكي كما رأينا في الشواهد السابقة، وذلك من أجل الكشف عن البنى العميقة للتركيبات -التركيبية المماثلة.»² وهذا الطرح قد يثبت بطريقة أو أخرى، اطلاع تشومسكي على جوانب من تراثنا العربي.

فإذا أخذنا بعضاً من جوانب المقابلة، بين «المورفيم الإنجليزي (What) وبين المورفيم العربي (ما)، نلمس أنّهما يشتركان في كونها، لهما حضور واسع في الاستعمال اللغوي، على مرّ العصور؛ ففي الإنجليزية يمكن أن نعثر على استعمال لافته للمورفيم (What) في مسرحية "هاملت" للكاتب الإنجليزي الشهير وليام شكسبير، ومن جهة العربية لا يخلو الشعر الجاهلي من استعمال

¹ - ينظر: البنى التحوية، ص: 19-20، وينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، ص: 57

² - مقال لحمزة بن قبلان المزيني، تحت عنوان: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، صحيفة الرياض

السعودية 1420/08/25 هـ: 1-2 والعنوان الإلكتروني هو: <http://www.Hnozainy.com/Itshomesky2.htm>

تم الاطلاع بتاريخ: 2021/06/28

المورفيم (ما) في سياقاته اللغوية المتعدّدة، وهذا يعني أنّ كلا المورفيمين ينتميان إلى العناصر اللغوية الأكثر استعمالاً في كلتا اللغتين.¹

لعلّ الغاية التي ينبغي أن يسعى إليها المنظر، كلّما تناول الظاهرة اللغوية، من خلال إجراء مناظرة، أو تقابل بين النظريات الغربية وبين ما جاء في التراث، هي إلفات نظر القارئ والباحث اللغوي على حدّ سواء، إلى المدى الكبير الذي تتماثل فيه جملة من المفاهيم اللغوية، بموضوعية مع ما وصل إلينا من النظريات الأمريكية (التوليدية) والأوروبية (البنوية والتوزيعية وغيرها)، شرط أن يتم هذا التقابل أو فنقل المقارنة، بشكل نزيه دون صياغات أو تأويلات تفسد المسعى الدقيق، لهذه الغاية.²

وفي هذا السياق وجب علينا الإشارة، إلى أنّ مفهوم المقارنة-**Comparaison**، أو المقابلة وظّفه العرب القدامى، في ميدان البحث اللغوي، حين قارنوا بين اللغات قبل القرن الثاني للهجرة؛ إذ عقد الخليل بن أحمد الفراهيدي، مقارنة بين الكنعانية والعربية، قائلاً: «وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية.»³ أي تشابهاً.

كما وازن أبا حاتم الرازي (ت322هـ) بين العربية والسريانية حيث قال: «للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه، منها إدخالهم الألف، واللام في الألف التي في

¹ - نزار قبيلات وإسماعيل الأقطش، المورفيم العربي (ما) والمورفيم الإنجليزي (What) في الاستعمال اللغوي: دراسة تقابلية

تطبيقية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 28، ع1، 2014

² - ينظر: منذر عياش، مطابقات في التنظير اللساني، وقد ألقى هذا المقال باللغة الإنكليزية في "الندوة الدولية حول مسألة

التلاقي ما بين الشرق والغرب" الأسبوع الأول من شهر أيار 2010م، بدمشق سوريا، ص: 01

³ - معجم العين 1 / 232 وعنه في فصول فقه العربية، ص: 43 والمدخل إلى علم اللغة، ص: 201

آخر الحرف؛ فالزموه الإعراب في كلِّ وجه، وهو بالسريانية ((بما)) فأدخلت العرب فيه الألف، واللام، وصرفته في جميع الإعراب على ماوصفت.»¹ وتداولت.

على الرغم من رفض ثلة من العلماء العرب، لمبدأ التفاضل بين اللغات، و قد تبّنوا منهج المحايدة وعدم التباهي، وأبرز هؤلاء ابن حزم الأندلسي (ت456هـ) حيث يقول: «توهم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له، لأنّ وجوه الفضل معروفة، وإنّما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغة ولا جاء نصّ في تفضيل لغة على لغة.»²

حجته في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (سورة إبراهيم - الآية 04)، وهي دحض لما جاء به جالينيوس من أنّ لغة اليونان هي أفضل اللغات، وفي معتقده، أنّ سائر اللغات هي أقرب إلى أصوات الحيوانات.³

وبمنظار النقد اللساني، فإنّ عقد مقارنة بين بعض المبادئ التي اعتمدها التوليدية في نظرياتها، وكل ما تعلق بتحليل الكلام والجملة، وبين القواعد التحويلية التي أرساها العرب، ندرك لا محالة أنّ النحو العربي لم يكن بعيداً عن هذه الأسس والأفكار، بل إنّ العرب أبدعوا ونظّروا لها معايير، وأطر راقية.⁴

¹ - أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية - ، عارضه بأصوله وعلّق عليه حسين الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1/1994- ج 1/ص: 89-90.

² - ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، 1/32

³ - ينظر: عبد الله رضائي، " تجليات الألسنية الحديثة في تراثنا اللغوي، موقع إقرأ واكتب بالعربية، تاريخ

النشر: 25 سبتمبر 2020، رابط الموقع <https://bilarabiya.net/15871.html> تاريخ

الإطلاع: 2021/05/31.

⁴ - حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظرات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية،

القاهرة 1994م، ص: 30

الفصل الثالث: اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة)

بناء على كل ما سبق ذكره في هذا الفصل، و بالنظر إلى الموروث اللغوي العربي، وما بذله علماءنا القدامى من جهود نظرية وفكرية، أثرت اللغة العربية، ومهدت السبيل لكل ما وصلت إليه الدراسات الغربية من تطور، واستحداث لعلوم، وتخصّصات جديدة في ميدان -علم اللغة، واللّسان- فمن المعقول أن يفخر الباحث العربي في الوقت الراهن، بكلّ هذه الإنجازات، دون أن يثنيه ذلك عن الحاجة إلى تطويرها، وفهم مرجعياتها على الوجه الصحيح رؤيةً، ومنهجاً، وتعليماً.

والواقع أنّ إجراء مطابقة بين الفكرين العربي، والغربي يحتاج إلى تمحيص معمّق، وتحليل موسع لمعظم ما وصلنا من نظريات، ومصنفات في مجال علم اللغة، حتى نُرجع ما أخذ من تراثنا إلى سمته العربي الأصيل، وفق رؤية واضحة ومنهج صريح.

الفصل الرابع: مستقبل تعليمية

اللغة العربية في ظل اللسانيات

المعاصرة

توطئة:

إنَّ قوَّةَ الأمم تتجلَّى دون شك في قوة أنظمتها التعليمية، ومناهجها التربوية، فالديداكتيك - Didactic أو كما تعرضنا لذلك في الفصل السابق، مصطلح يختصُّ بتعليم المادة، أو المحتوى الإستمولوجي، لتخصُّص من التخصصات العلمية المختلفة، وبحكم أننا نتعرض لدراسة الظاهرة اللغوية، واللسانية في بحثنا هذا، وجب علينا استقصاء الحديث عن تعليمية اللغة العربية، وكلِّ ما قدَّمته اللسانيات المعاصرة، بمفاهيمها الغربية، والعربية التي عرضنا مقتطفاً من جوانبها النظرية في الفصول السابقة، وسنركز في هذا الفصل على نتائج تأثير اللسانيات على ميدان التعليمية، مع تقديم جملة من الحلول في مجال تعليم العربية، وتطوير علومها، وغيرها من المسائل، التي تتعلق بتدريس اللسانيات ومقاييسها.

وما يهمننا تحديداً في هذا المضمار، هو الكشف عن علاقة اللغة - بالتعليمية، هذه العلاقة التي تأخذ في جانبها العملي عدَّة اصطلاحات علمية، تحت مسمى اللسانيات التربوية - Educational linguistics، أو التعليمية، وغيرها، والتساؤلات التي يطرحها هذا الواقع، يمكننا صياغتها وبسطها على الوجه الآتي:

__ هل استفادت تعليمية اللغات كفكر من منهج اللسانيات الغربية المعاصرة على تعدد مرجعياتها الإستمولوجية؟

__ ما مدى تطور تدريس اللسانيات، بمحتواها التراثي العربي في الجامعة الجزائرية على مستوى الحداثة؟

— هل حان الوقت لأن تحقق اللسانيات العربية استقلالها المعرفي واللغوي، من تبعية الأسس والمناهج الغربية؟

وأعتقد أنّ هذه الأسئلة، نابعة من الواقع الذي تعيشه تعليمية اللغة العربية، من أزمات وآفاق جعلت الجيل الجديد من الباحثين العرب، يسعى إلى فتح النقاش حول قضايا العربية، وعلاقتها باللسانيات الحديثة سواء على مستوى التربية، أو التعليم العالي، منهجاً وأهدافاً، والتي غالباً ما تكون في دائرة المأمول، وتحتاج أكثر من أي وقت إلى التجسيد، والاستغلال الأمثل للمقومات التراثية والفكرية للعربية بما يتناسب، وتحديات العولمة، وتنافس السياسات اللغوية في العالم على الريادة العلمية.

1-المبحث الأول: تعليمية اللغة العربية الأسس التراثية والمنهج الحدائى:

أرى أنه من المهم القول أنّ علم التدريس، اكتسح في الوقت الراهن مجال تعليم اللغة، كلّما تعلق الأمر بالمنهج، أو تعدّد الخطاب على صعيده الاجتماعي، أو الأكاديمي المتخصّص، وفي هذا الصّدّد يقول حاج صالح: « فالاستعمال العقلي للغة في جميع الأحوال الخطائية التي تستلزمها الحياة اليومية ينبغي أن يكون المقياس الأول، والأساسي في بناء كل منهج تعليمي، وأطراف هذا الاستعمال ينبغي أن يلمّ بها المرّبي كما يلمّ بها اللّغوي.»¹ وهذا موقف يركّز، ويراهن على ربط المنهج التعليمي، بالجانب الذهني لتدريس العربية، في مجمل أطوارها.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 54

إنّ إغفال النظر عن الجانب الأثنولوجي المحيط باللغة، الذي يبحث في موضوعاته، ما يعرف بعلم الاجتماع اللغوي؛ يجعل المتعلم عاجزاً عن اكتساب مهارة التخاطب اللغوي، التي قد «تستمر طالما كان الفرد عضواً في جماعة، واكتساب الفرد للغة، عملية تدوم ما دامت الحياة: في الطفولة، وفي المدرسة.»¹ وحتى الجامعة، وصولاً إلى كل حيثيات، ومراحل الحياة العملية، ليتسنى للفرد امتلاك أسس اللغة الأم، التي تمثل هويته في التواصل، وتحصيل المعرفة.

إنّ اعتبار اللغة ظاهرة متجدّدة المستويات، ومستديمة الأهداف على مستوى البحث العلمي، هو المنهج الذي تقوم عليه، مقصدية اللسانيات التعليمية؛ والمعلوم أنّ هذا المجال «ظل يشكو نقصاً مكشوفاً، وذلك لغياب رؤية شاملة، ولافتقار مؤسساتنا إلى مشروع متكامل في هذا المضمار. وكلّ ما أنجز إنّما هو في مجمله من حصيلة المبادرات الظرفية - فردية كانت أو جماعية - فتأتي المحاولات محدودة المدى»²، وبعيدة الأهداف.

لأنّ الرؤية الشاملة لا تتحقّق، إلّا إذا توفر لها المناخ الجماعي، الذي يسند إلى الهيئة المسؤولة عن العملية التعليمية، بما فيها (المنظرين والباحثين والمشتغلين) في حقل التدريس، ومن دون شك أنّ هذا يحتاج إلى تخطيط محكم للمنهج، واستراتيجيات بعيدة المدى للمنهاج؛ أو ما يدعى بالمحتوى الإيستمولوجي - التأطيري.

وما نراه اليوم من ضعف في تعليمية اللغة العربية، يعبر عن وضع متأزم، ويشكل عقبة أمام الباحث، من خلال ما يعترضه من صعوبات نظرية، وتطبيقية ضمن المسار الديدكتيكي لتعليم

¹ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص: 75

² - عبد السلام المسدي، المعرفة اللغوية وأثرها في مقاييس الإختبار اللغوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 1994.31 ص: 47

العربية، لذا فالحاجة باتت ملحةً لإنجاز بحوث بناءة، تستجيب لتطلعات المدرسين من جهة، وحاجيات المتعلمين الفكرية والعلمية من جهة أخرى.¹

والواقع أنّ «تعليمية اللغات لا يستقيم لها أمر إلا إذا انبنت على الرصيد المعرفي للفكر اللساني المعاصر، وما يوفره هذا الفكر من نظريات، وإجراءات تطبيقية مؤهلة سلفاً، لإيجاد التفكير الكافي لكلّ القضايا، التي تتعلق بكلّ جوانب الظاهرة اللغوية؛ ومن هذه الجوانب ماهو صوتي، ومنها ما يقع بين ذلك، من حيث التركيب، والتأليف بين العناصر اللسانية في سياقها المؤلف.»² وتمثّلتها المعرفية.

فقضية تعليم اللغات، لها اهتمام مشترك بين جمهور المختصين من اللسانيين، وأهل التربية نظراً لتطور التعليم، وتوجهه إلى مسايرة التقنية، والحدّات، بحسب ما يتحكم في اللغة من ضوابط، ومستويات خاصة بالظاهرة اللغوية.

إنّ المتنبّع للساحة اللسانية يدرك أنّ العربية عرفت، ظهور العديد من المتخصصين في هذا العلم، بمختلف فروعها، وظهرت مصنّفات ذات قيمة عالية، كما كثرت البحوث، والدراسات، والرسائل الجامعية في الموضوعات اللسانية. فبات من الضروري، أن تأخذ اللسانيات العربية، باتجاهاتها مكانة أساسية في الدرس الجامعي، ليكتشف الطلبة نظرياتها، ويتعرفوا على اتجاهاتها، وروادها، ومصنّفاتها، وأهميتها، وقيمتها العلمية ونحو ذلك.³

¹ - ينظر: علي آيت أوشان، اللسانيات والتربية، المقاربة بالكفاءات والتدريس بالمفاهيم، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ص:13

² - أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص: 02

³ - ينظر: مُجدّ الدريج، نحو بيداغوجيا جديدة للتعبير، مقتضيات دراسة النصوص، الدليل التربوي، ص:05

وما ينبغي الإشارة له لرفع كلّ التباس محتمل، هو أنّ تعليمية اللّغات، تخصّص له مجموعة من المشارب والموارد، لكونه مجالاً منفتحاً تشترك فيه علوم كثيرة؛ على غرار اللسانيات، كعلم النفس، وعلم التربية، وغيرها؛ بل إنّه يستفيد من كلّ النتائج المحصل عليها، في هذه المجالات وغيرها دون أن يفقد استقلاله النسبي.¹

فاللغة ترجمانٌ للمحتوى الإبستمولوجي لأي علم، وهي كيان وهوية؛ فأستاذ الرياضيات له لغة، وأستاذ الفيزياء له لغة، والذي يدرس المعلوماتية له أيضاً لغة، وهكذا نجدُ اللغة، وسيلة، وغاية، ترافق العلم في شقيه النظري والإجرائي، والذي ينبغي أن يؤخذ بعين الأهمية، هو استقراء النتائج التي وصلت إليها اللسانيات التطبيقية، في ميدان تعليم اللغة العربية تحديداً، من خلال استثمار ما جادت به بحوثها المعاصرة.

بالنظر إلى المستوى التعليمي، الذي حقّقه اللّغات الحية كالإنجليزية والألمانية والهولندية وغيرها، وهي اللّغات الشقيقة للغة العربية، من حيث أنّها تنتمي إلى أسرة اللّغات السامية، وقد أشرنا إلى هذا في الفصل الثاني، جاز لنا التساؤل عن ما حقّقه الدّرس اللّساني العربي، في حقل تعليمية اللغة العربية، متسائلين :

- هل استطاع هذا الفكر اللّغوي الذي امتدّ لقرون أن يبلغ أذهان أجيالنا من المتعلمين؟

- هل هناك مناهج ناجحة حقّقت مبادئ اللغة العربية في مواكبة التطور العلمي؟

- ما هي القراءات التي يمكننا تقديمها حول وضعية تعليم اللغة العربية، والمقاييس اللسانية في

بلادنا؟

¹ - ينظر: مُجدّ الدريج، نحو بيداغوجيا جديدة للتعبير، مقتضيات دراسة النصوص، الدليل التربوي، ص: 05

والإجابة عن هذه الأسئلة، وغيرها في واقع الأمر يحتاج إلى دراسات معمّقة، وبحوث جذرية يكون هدفها الأول هو تنظير ما وصلت إليه اللسانيات المعاصرة*، من نتائج علمية، وعملية للمعرفة اللغوية الحديثة، واسقاط ذلك على ميدان تعليم العربية، وفق معايير علمية مدروسة. وهذا هو التحدّ الذي بني عليه قوام هذا البحث.

فكما رأينا في الفصول السابقة، مدى تفوق علماءنا العرب في توصيف، وتأصيل الظاهرة اللغوية بكلّ تخصّصاتها، قبل أن يدرك الغرب كلّ هذا الكم الهائل من العلوم، والنظريات اللسانية، التي تشبّثنا بها عقوداً طويلة، دون أن نحقق تعليماً ناجحاً للغتنا العربية، لغة العلم والقرآن الكريم.

يحضرنى هنا ما قاله الدكتور عبد الوهاب عزام واصفاً إيّاها بالقول: «العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها أصوات الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب، ونبرات الحياة.»، حتى غزت أذواق الناطقين بغيرها، حيث يصفها المستشرق الإيطالي: كارلو نالينو-Carlo Nallino بمقولته الشهيرة «اللغة العربية تفوق اللغات رونقاً، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها.» وتوصيف خصائصها.

وما دامت لغتنا العربية، لغة حية بهذا الثراء، و التفرد، أو كما يصفها المحدثون، بأنّها لغة خوارزمية، وليّنة-Flexible language*؛ لأنّها تتفاعل مع مختلف المتغيرات العلمية

* - والذي نقصده هنا ما حقّقه الفروع الحديثة للسانيات، من خلال ما اطلعنا عليه، وما وصل إلينا، من تطور على مستوى اللغات الأجنبية، واللغات الحية كالإنجليزية، والألمانية، والهولندية، وغيرها، وهذا التطور يشمل بروز تخصصات مختلفة: كاللسانيات الحاسوبية، والمعالجة الآلية للغة، وهندسة اللغة، إضافة إلى تطوير مناهج تعليم اللغة من خلال الحاسوب، والمعلوماتية، وغيرها.

* - لغة خوارزمية: دأب الكثير من اللغويين العرب والغرب، على وصفها بالخوارزمية نسبة إلى العالم أبو عبد الله محمد بن موسى الملقب بالخوارزمي(164هـ-232هـ)، وهو من كبار العلماء المسلمين في الرياضيات والمنطق والفلسفة وغيرها من العلوم، وقد ذاع صيته في العصر العباسي، لذلك فالعربية لغة رياضية، تتأقلم مع مختلف المعادلات والعمليات، وهذا ما يجعلها أيضاً توصف بالليونة، فهي تحتوى وتتفاعل مع جل المفاهيم والمصطلحات العلمية.

للظواهر، من خلال قوتها الاصطلاحية، والدلالية اللامتناهية، فلماذا لا نسعى إلى البحث في سبل ومسائل تعلمها وتعليمها، وتطوير علومها المتشعبة؟.

سنحاول في هذا المبحث، أن نطرح أهم ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، في ميدان تعليم اللغات، ونقارب ذلك مع واقع تدريس اللسانيات العربية. في الجامعات العربية بشكل عام، والجزائرية بشكل خاص، مع تحليل أهم المشاكل التي تعترض تعليم مقاييسها، من خلال تحليل نتائج جملة من الاستبيانات الخاصة (بمدي تعليم العربية والمقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية)*.

حيث تم ارسالها إلكترونياً، والاتصال بالعديد من الأساتذة المختصين، ضمن عينة من جامعات الوطن، إضافة إلى طرحنا لجملة من الرؤى المستقبلية، والبدايل التي خلصنا إليها كنتائج لهذا البحث.

وعليه لا بد في بداية هذا المسعى، أن نتحدث أولاً عن الجانب الديدانكتيكي، الذي تناولته اللسانيات المعاصرة، ومدى إفادتها لمناهج تعليم العربية، مع التعرض لأهم المشاكل التربوية، والمنهجية التي تعترض، الأستاذ، والطالب، والباحث، في تدريس المقاييس اللسانية بكل فروعها المرتبطة بعلوم العربية.

* - أدرجت الصفحة الأولى والأخيرة من الاستبانة في ملاحق البحث، وكنموذج اخترنا استبانة جامعة غرداية من بين الجامعات الأخرى، لعدم تحجيم متن البحث.

1-2-الفكر التعليمي - التعلّمي والمعرفة اللغوية:

لقد تعدّدت الدّراسات التي تناولت قضية تعليمية اللغة، في مراحل زمنية مختلفة، ذلك أنّ التطور العلمي الذي نشهده في الغرب، قد ركز على تطوير اللغة في منظوماته التربوية، كما أنّ النتائج التي طرحتها اللسانيات الحديثة، من خلال مجالاتها المنضوية تحت مسمّى علم (اللغة التطبيقي، أو اللسانيات التطبيقية) تحتاج إلى إعادة فهم واجتهاد علمي، يمكّننا من الاستفادة منها بشكل إيجابي.

والحقيقة أنّ العلاقة بين اللسانيات، وتعليمية اللغات، أضحت علاقة للتّنظير، والإجراء على حدّ سواء، ويتجلى ذلك في المسار التحويلي للسانيات بعامة، واللّسانيات التطبيقية بخاصة، من خلال تنوع المصادر اللغوية، واندماجها بمجالات التقنية.¹

ذلك أنّ التعليم يمثل روح تبليغ العلوم، ونقلها من طابعها المجرد إلى طابعها العلمي، ويرى ابن خلدون أنّ من أراد المعرفة لا بد: «أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القراءان والحديث، وكلام السلف، ومحاطبات فحول العرب في أسجاعهم، وأشعارهم.... حتى ينتزّل لكثرة حفظه لكلامهم...منزلة من نشأ بينهم.»²، لذا فالباحث عن المعرفة اللغوية، يحتاج إلى حفظ الموروث بنثره، وشعره، ومؤلفاته، وما ثبت من مقولات فكرية، أو علمية أصيلة في تراث اللغة العربية.

والحقيقة أنّ منهج التحفيز - Stimulation على تعلّم العربية، واكتساب المعرفة قديم في تراثنا العربي، بداية من عهد الإسلام وما تلاه، وفي هذا الصّدّد يقول الزبيدي: «ولم تزل الأئمة من

¹ _ ينظر: فاطمة بنت ناصر سعيد المخيني، تعليمية اللغة العربية في ضوء المنجز اللساني الحديث، مدخل تكاملي حاسوبي،

في التعليم وتعلم اللغة العربية، مجلة الدّراسات اللغوية والأدبية، 2020، ص: 03

² - مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجودي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002، ص: 559

³ - أبو بكر بن مُجّد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: أبو الفضل مُجّد بن إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، ص: 12

الصحابة والراشدين يحضون على تعلم العربية، وحفزها والرعاية لمعانيها.»¹ بما يكفل حفظ مقوماتها داخل النسيج الأنثروبولوجي، الذي تتداول فيه العربية.

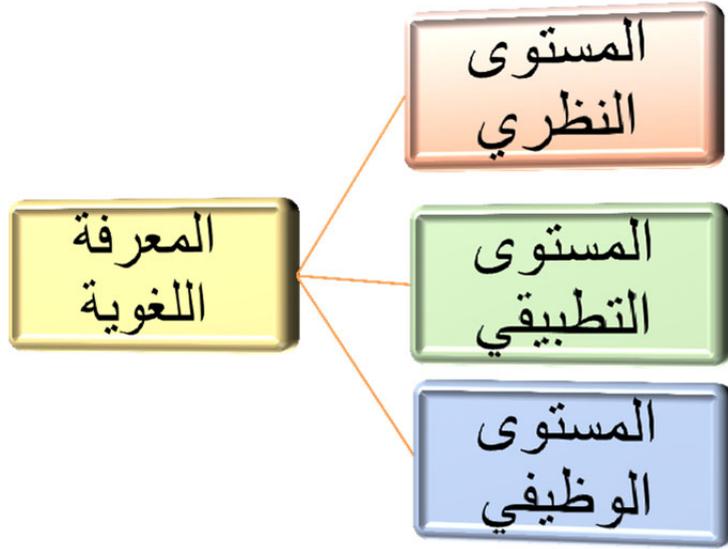
أما المنظور الغربي، فيرى في المعرفة اللغوية، وارتباطها بالتعليم، مسألة تحتاج إلى التخطيط المستديم، لأن «مجالاً واحداً يكاد يغلب على هذا العلم، هو مجال ((تعلم اللغة)) سواء لأبنائها أم لغير الناطقين بها؛ أي باعتبارها لغة أولى، أو لغة أجنبية، وإن تكن معظم بحوث علم اللغة التطبيقي تتجه إلى تعليم اللغة الأجنبية. وقد دعا ذلك الباحثين إلى اقتراح مصطلح آخر حتى يكون مقصوراً على تعليم اللغة الأجنبية، وذلك صنيع ولكنز -Wilkins في اقتراح تسمية ((الدراسة العلمية لتعليم لغة أجنبية))، أو اقتراح مكاي - Mackey تسميته: علم تعليم اللغة Language- Didactics ، أو دعوة سبولسكي - Spolsky لتسميته ب: علم اللغة التعليمي - Educational linguistics .² فتعليم اللغة، يتخذ منحى علمي، يستقيه من مناهل اللسانيات المعاصرة.

ويشير حاج صالح، إلى وجود صنفين من المعرفة اللغوية، سنتطرق لهما في المبحث الثاني من هذا الفصل.

¹ - أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: أبو الفضل محمد بن إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، ص: 12

² - عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، سنة الطبع: 2004م، دار النهضة بيروت، ص: 15- 16

إذن نستنتج أنّ العلاقة بين اللغة، والمعرفة تحمل طابعاً تكاملياً، لأنّها جزء من المعرفة بكلّ أبعادها، وما يتفرع عنها من مستويات نظرية، و وظيفية، وتطبيقية، يمكن التمثيل لها بالشكل الآتي:



لذلك تمثل المعرفة اللغوية، الهدف، والغاية للسانيات التعليمية، وهذا ما سعى حاج صالح إلى تجسيده، بناء على هذا النموذج من المعرفة، بمستوييه النظري والإجرائي، في العديد من مشاريعه العلمية التي عرضنا منها النظرية الخليلية في الفصل السابق. يضاف إلى ذلك مشروعه المتمثل في الذخيرة، والحوسبة، وغيرها من الجهود، التي ذكرنا؛ وكان الهدف الأسمى منها هو ترقية العربية، من خلال ما أسماه في أغلب مؤلفاته، بأصالة المرتكزات اللسانية*، في تعليم اللغة العربية، ودمجها بالتكنولوجيات الحديثة.

* - ويقصد بها المفاهيم، المحددات العلمية التي ارتأها في قراءته للتراث العربي، وتحديث عنا في أسس النظرية الخليلية الحديثة، والعديد من مؤلفاته، للتفصيل أكثر: ينظر بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.

ذلك أنّ الفكر التعليمي قد أثرى المعرفة اللغوية، التي تمثل كل محتوى له علاقة ببنية اللغة (نحوها وصرفها ومعجمها وأصواتها إلخ)، أو وضعها الخارجي في البيئة، كأن نضعها مع الثقافة أو الاقتصاد، أو المعرفة العلمية في مجال أو تخصص معين، أمّا تعليم العربية فهو مختلف عن دراسة اللغة، فإذا كان هم دارس اللغة الإحاطة بنظريات دراستها، فإنّ المدرس لا يهتم إلاّ بما يخدم المتعلم؛ أي أننا بصدد معرفتين:

- أ- معرفة علمية نظرية: أو عالمة متخصصة في التبليغ البيداغوجي.
 - ب- معرفة علمية وظيفية: خاصة بالمتعلم أو المتلقي لهذه المعرفة، فهي تحتاج إلى وظائف خاصة بالتعامل مع آليات الفهم، والتحصيل، وغيرها من المفاهيم التربوية.¹
- فكلا الصنفين يتفرع إلى داخلي، يستوجب نمذجة اللغات وصورنتها، وخارجي يقتضي معرفة بالتاريخ (تاريخ اللغات وأصل اللغات وتطورها وديناميتها ومستقبلها... إلخ).
- ولأجل تحقيق التفاعل بين هذين الصنفين، وبين (الجانب الديدانكتيكي) لا بد من وجود سياسة رشيدة، وتخطيط لغوي - Linguistic planning* محكم تنتهجه المنظومة التربوية² يحقق نجاحاً على مستوى الأهداف والمناهج.

¹ - ينظر: نواري سعودي، البحث اللساني وتعليمية اللغة العربية، مقارنة لسانية في كتابات عبد الرحمان حاج صالح، جامعة فرحات عباس، ص: 304

² - ينظر: نادية العمري، عن المعرفة اللغوية: معالجة الزمن النحوي بين الدرس اللساني والدرس التعليمي، كلية علوم التربية جامعة محمد الخامس، ص: 02

* - التخطيط اللغوي - Linguistic planning : ويقصد به في جلّ التعاريف التي اطلعنا عليها، أن تحلّ مشكلات اللغة بحدّ ذاتها، وقد أشار إلى ذلك الباحث " روبرت كوبر" إلى أنّ التخطيط يهدف أساساً إلى توجيه سلوكيات اللغة، لمن يتحدّث باللغة، ومن فإن كان هذا التخطيط ملتجماً باللغة، إلاّ أنّ مخرجاته " غير لغوية" في الغالب، ما يعني في نظرنا أنّ هناك معايير موضوعية، تسنّ خارج نطاق -المعايير اللغوية- للتفصيل أكثر يراجع: المصدر: عبد الله البريدي ورقة بحثية تحت عنوان: التخطيط اللغوي تعريف نظري ونموذج تطبيقي، ألقيت في الملتقى التنسيقي للجامعات والمؤسسات المعنية، باللغة العربية الرياض مركز الملك عبد الله ص: 07

وإذا كانت المعرفة ترتبط باللغة، كارتباط المنطق بالرياضيات، فمن المعقول أنّها محاولة امتلاك، أو تحصيل علم معين حول موضوع ما، ويعرّفها قاموس كامبريدج - Cambridge Dictionary بأنّها: «الفهم أو امتلاك معلومات متعلقة بموضوع ما، والقادمة عبر الخبرة أو الدّراسة، التي توجد بذهن شخص واحد أو يمتلكها النّاس بشكل عام، أو هي في حالة المعرفة أو العلم بشيء ما أو كونه مألوفاً.»¹

لذلك نرى تطوراً هائلاً في استراتيجيات، تعليم اللغات في الدول الغربية، حيث أصبحت المعرفة محوراً مشتركاً، بين كل الأطراف، ولم تعدّ حكراً على النخبة من المدرسين، أو من يضعون المقررات التعليمية، فالمعرفة اللغوية لا يمكن أن تستند على الجانب البنيوي التوليدي فحسب كما تحدّثنا عن ذلك عند تشومسكي، في الفصل السابق رغم أنّه لم يربط بين اللغة، والجهاز العصبي المنتج لها؛ بل ينبغي على المدخلات التي تؤدي إلى عملية التعلم.²

وعليه فإنّ تفاعل المعرفة اللغوية، مع مجالات اللسانيات التطبيقية، أنتج لنا مناهج جديدة للتعليم، وتطوره، (التعليم، كالتعليم الدامج والنشط والإلكتروني... ونحو ذلك)، وهذا يعدّ نتاج وتحصيل حاصل للسانيات المعاصرة، وما تفرضه العولمة من تحدّيات.

¹ - "knowledge", Cambridge Dictionary, Retrieved, Edited 23/04/2021

² - ينظر: ربكا إكسفورد، إستراتيجيات تعلم اللغة، تر: وتعريف مُجد دعور، مكتبة الأنجلو المصرية، مكتب النسر للطباعة، 1996، ص: 12

1-2-1 اللسانيات الحاسوبية وتعليم العربية الراهن والمأمول:

تطورت المعرفة اللغوية تطوراً غير مسبوق، ويتجلى هذا مع بداية ونشأة العلاقة بين اللغة، والحاسوب، والمعالجة الآلية، مع مطلع الخمسينات من القرن الماضي، وقد ظهر أيضاً مصطلح الترجمة الآلية*، التي يرى حاج صالح أنّها: «لم تظهر صعوبة الاشتغال عليها إلا بعد البدء فيها، بسبب أنّها لا ترتبط بالألفاظ فحسب؛ بل ترجع بالأساس إلى أبنية اللغة، فبعض العبارات لا يمكن للأجهزة ترجمتها بحكم تغيّر معانيها، وهو ما نلاحظه في الترجمات الآلية إلى اليوم، أضف إلى هذا صعوبة التأقلم مع أجواء العمل الفريقي المتعدّد التخصصات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هيمنة الجانب التقني على الجانب اللساني أو العكس، وهو ما شعر به الاختصاصي في المعلوماتية مبكراً فنّبّه عليه.»¹ وهذا يعدّ من بين العوائق الرهنة.

فالحقيقة أنّه لا يمكن تحديد تاريخ معيّن لظهور اللسانيات الحاسوبية، نظراً لوجود محاولات متفرقة في عدّة دول، مهدت لظهورها؛ فعلى المستوى الأمريكي يذكر الدكتور مايكل زار تشناك (M.Zarechnak)، أنّ العمل في اللسانيات الآلية بدأ في قسم اللسانيات بجامعة جورج تاون 1954م*.

* وهذا المصطلح الذي ارتبط بنقل مستويات اللغة برموزها، وتراكيبها، من المستوى اللساني اللغوي المجرد إلى مستوى آلي حاسوبي، يترجم مضامينها وييسر الاستفادة منها وتوظيفها على أكمل وجه، ويمكن تعريفها على أنّها: «فرع من فروع الصناعات اللغوية الحاسوبية وهي تتجسّد في ترجمة نصوص، أو جمل، أو ألفاظ من لغة إلى لغة أخرى بوساطة برمجيات حاسوبية، وتصنّف الترجمة الآلية إلى ثلاثة أصناف، حسب نسبة التدخل البشري في العملية.» للتفصيل أكثر تراجع: مجّد زكي خضر، اللغة العربية والترجمة الآلية المشاكل والحلول، الجامعة الأردنية (مؤتمر التعرّب 11، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عمان 16-12/10/2008)

¹ _عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 233-234

* - وقد وردت هذه المعلومة من خلال ندوة علمية عن اللسانيات الحاسوبية، عقدت في قسم اللسانيات الحديثة، جورج تاون، بجامعة واشنطن سنة 1983م، تحت إشراف الدكتور مازن الوعر، ونشرها أيضاً في كتابه: دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1983م، ص: 325، وللتفصيل أكثر ينظر: أحمد مختار عمر: صناعة المعجم الحديث، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ، 1998م، ص: 168

أما على المستوى الأوروبي فتعدُّ الانطلاقة الفعلية، «للسانيات الحاسوبية، - كما تقرُّ المصادر- لمركز التحليل الآلي للغة بمدينة قالارت- (Gallarate) بإيطاليا، الذي كان يشرف عليه روبرتو بوزا- (Roberto Bosa)، حيث وضع سنة 1962م الدعائم الأولى لاستخدام الحاسوب في دراسة اللغة.»¹ وآليات عملها مع الحاسوب.

وعلى صعيد الوطن العربي، فقد تم اسقاط علوم الحاسوب على ميدان العلوم الإنسانية، واستخدام تقنية الحاسبات الإلكترونية، ونظم المعلومات حيث شرع العمل بها، والإفادة منها في السبعينات من القرن الماضي.

على الرغم من أنّ علوم اللغة العربية، قد «ظلت في منأى عن الانتفاع بها ردحاً من الزمن... وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي، عند لقاء الطبيب مُجدِّ كامل حسين مع الدكتور إبراهيم أنيس؛ حيث اقترح عليه إمكانية الاستفادة من الحاسوب في البحوث اللغوية، فلقيت هذه الفكرة قبولاً واستحساناً؛ لأنّها كانت... ومن ثم انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة 1971م، للعمل فيها أستاذاً زائراً وهناك التقى بالدكتور حلمي موسى، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية ابتغاء الوقوف على نسج الكلمة العربية. وقد رحب بهذه الفكرة واستحسنها وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام 1971م، وكان من ثمرة ذلك صدور الدّراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصّحاح للجوهري.»² تلت هذه

¹ - عبد الرحمان بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدّراسات اللّغوية" جهود ونتائج"، جامعة أم القرى، ص: 15

² - سعد فاهم، قراءة في الإسهامات اللّسانية الحاسوبية العربية، آفاق ورهانات، جامعة مولود معمري، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد36 سبتمبر 2015، ص:130

البداية المحتشمة، محاولات بناء انتجت عدّة برامج حاسوبية تعليمية. كالمدونات اللغوية، والنحوية، والمعجم الإلكتروني، وعدد من البرامج كبرنامج (صخر).* وغيره.

1-2-1 وظائف اللّسانيات الحاسوبية: إذا ما أردنا البحث في وظائف اللّسانيات الحاسوبية،

لا بد أن ندرك أنّها تقوم على مبدئين مهمين هما:

1- الجانب النظري: ويتناول الإطار النظري المعمق، أي النظريات الصورية للمعرفة التي

يحتاج إليها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها.¹ ومن خلال هذا الإطار يمكننا معرفة آلية عمل الحاسوب، لحل المشاكل اللغوية كالترجمة الآلية-Machine translation، ومعالجة مشكل الكلام من لغة إلى أخرى.

2- الجانب التطبيقي: يبحث في العمليات الرياضية الخوارزمية-ALgorethm

والتي هي عبارة عن مجموعة من القواعد المنظّمة في طريقة معينة، حيث تنطلق من القواعد البسيطة إلى القواعد المعقدة ثم إلى القواعد الأكثر تعقيداً.

¹ - نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص 54.

* - أنشئت "صخر للبرمجيات" في عام 1982 كشركة كويتية تابعة لشركة العالمية للإلكترونيات. كانت من أول وأكبر شركات البرمجيات العربية، وكان مقرها في القاهرة، وصاحبها محمد عبد الرحمن الشارخ، ورئيس مجلس إدارتها فهد الشارخ. حاسوب صخر كان مشروعاً مشتركاً انطلق في عام 1982، وذلك لكسر الحاجز التقني بين الشعوب العربية وتقنية المعلومات، بين شركتي "العالمية" الكويتية وياماها اليابانية، وقد نجح المشروع بشكل كبير وتم بيع مئات الآلاف من الأجهزة فقد بيع من جهاز AX-170 وحده أكثر من ثلاثمائة ألف جهاز، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من البرامج والتطبيقات سواء التي أنتجتها العالمية أو شركة برق للبرمجيات أو التي تنتجها شركة كونامي اليابانية، وأشهرها كاسل فينيا وفانيل فانتسي. بعد الغزو العراقي للكويت قامت شركة العالمية بإعادة هيكلة أنشطتها وتم إيقاف برنامج إنتاج الأجهزة ليم الاعتماد على الذراع البرمجي للمؤسسة والذي تم نقل مقره إلى القاهرة باسم صخر. لمزيد من التفصيل يرجى الإطلاع على صفحة بالعربية، الموقع الإلكتروني: <https://bilarabiya.net/13055.html>

تقوم وظائف اللسانيات الحاسوبية، على نماذج تفاعل اللغة مع التقنية، ومعالجة شيء لساني في الآلة يتطلب نمذجة مكونات النصوص بطريقة، واضحة، ومتناسقة (Cohérence)؛ إذ يقرّ الدرس اللساني بواقع علمي مفاده، أنّ النماذج قد أصبحت تفرض نفسها كتقنية، ومنهج، وهدف هذه التيارات المعرفية، بسبب طابعها العلمي والتكنولوجي. حيث تختلف حسب درجة ثراء اللغة معجمياً، ودلالياً، وسهولة برمجة خوارزمياتها داخل النظم المعلوماتية التي تسير، وفق قواعد، وأساسيات مشتركة بين الرصيد اللغوي، والمعالجة الحاسوبية.¹

ثم إنّ هذا الفرع من اللسانيات، يخضع لنماذج اللسانيات التطبيقية، لما يطغى عليه من جانب إجرائي، حتى أننا نجد بعض الدّراسين يصفها بالطابع الصناعي، أو الإنتاجي.² ووظّفوا في تحديدها جملة من المفردات، التي تدخل في باب الصناعة، والإنتاج الإبتعولوجي للغة، وتجلّى هذا الوصف في العبارة الشهيرة صناعة اللغات (Industrie de la langue)³، بعد استنباطها من اللغة المستهدفة في التعليم.

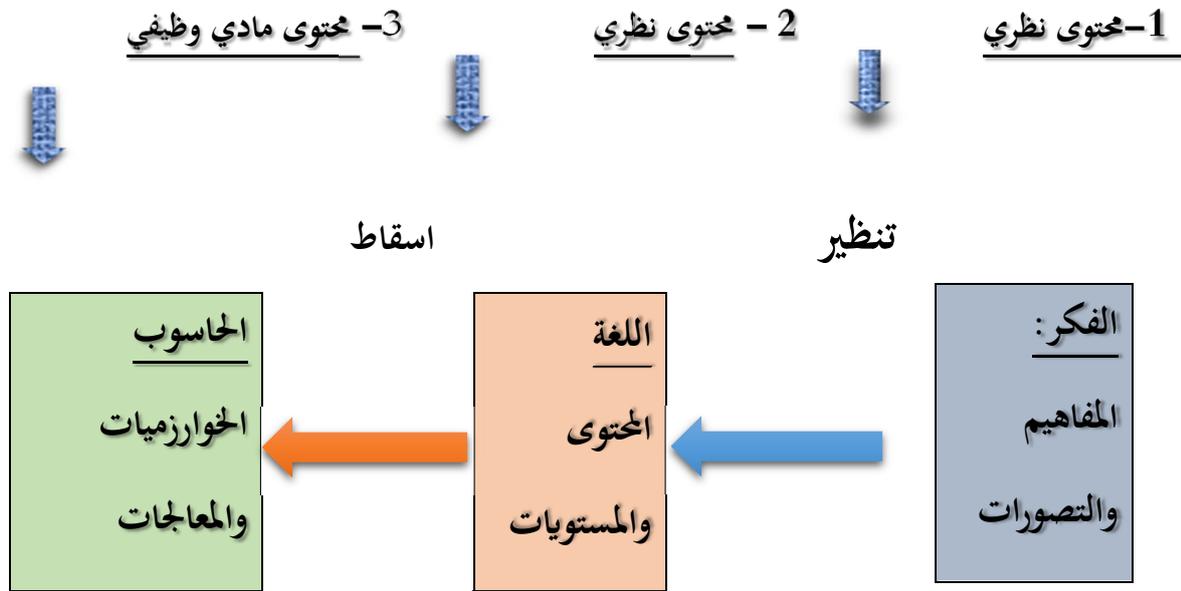
نستنتج ممّا سبق أنّ علاقة اللغة بمقوماتها، وأساسياتها، ومستوياتها، بالحاسوب الذي يترجم تقنياً هذه العلاقة، ويبحث في منهج تطويرها؛ تحتاج إلى جهود مشتركة؛ إذ لا يمكن برأي حاج صالح، للخبير في المعلوماتية، أن يتصرف في المحتوى اللغوي، بدون عمل مشترك مع الخبير اللغوي، أو المنظر في اللسانيات.

¹ - ينظر: المعالجة الآلية للغة مسارات تحليل الجمل العربية باعتماد نماذج شبكات الانتقال، لابن عيسى زغبوش، مصطفى بوعناني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد 14، 2006م، ص: 80

² - ينظر: نوري سعودي أبوزيد، اللغة وبناء الإنسان (دراسات في اللسانيات التطبيقية) - حقل التعليمات - دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 1437هـ/ 2016، المحمدية، الجزائر، ص: 33

³ - Jean. Dubois : dictionnaire de linguistique et sciences du langage, édition Larousse-bordas 1999, p45

ولتوضيح المسألة أكثر نترح هذا المخطط المبسط، المعبر عن ثلوث العلاقة بين (اللغة - الفكر - الحاسوب):



فهذه العوامل من تنظير وتخطيط، تشكل المرحلة النظرية الأولى التي تعدُّ الأصبغ، لأنها تتعلق بالمحتوى اللغوي المنقح والمهيء للمعالجة، حيث يرى بلقاسم البيوي، أنّ ارتباط اللسانيات الحاسوبية بالمجال التطبيقي، أساسه الالتقاء الحاصل بين الاتجاهين، والمتمثل في الاهتمام بالدراسات العلمية الميدانية، في تطويع اللغة من أجل استخلاص نتائج تكون قاعدةً، لبناء نظريات قائمة على التطبيق والتجريب.¹

¹ - ينظر: بلقاسم البيوي: اللسانيات الحاسوبية، مفهومها وتطورها ومجالات تطبيقها، مجلة مكناسة، ع 12، ص 46

لقد حقق مجال البحث الحاسوبي العربي، طفرةً حقيقية، من خلال توصيفه الجديد، واستثماره للناتج العملية التي تدخل في إطار نمذجة الممارسة، كإنتاج البرامج والموارد المعجمية والمدونات، الدائمة لمسعى واحد هو تعليمية اللغة العربي.¹

حتى أنّ الباحث العربي في عصرنا، لربما يلمس خطوةً واسعة و واثقة، تنتظم مشروعاً مستوعباً لتأسيس اللسانيات الحاسوبية ودورها في إثراء العربية، على أساس نظري وتطبيقي في آن واحد معاً، على الرغم من أنّ هذه الخطوة تحتاج إلى جهود وتنسيق، لمختلف العوامل التي تدخل في حوسبة اللغة، يضاف إلى ذلك ضرورة معالجة المشاكل الموضوعية التي تعترض الباحث والمتخصص، أثناء محاولته نقل المعرفة اللغوية من سياقها النظري إلى سياقها الحاسوبي، وفي اعتقادنا أنّ نجاح هذا يتطلب معالجة مشكلات عدّة، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- 1- صعوبة الإلمام بالمحتوى اللغوي، بشكله المرتب والمنسق خاصة فيما تعلق بالمادة المعجمية التراثية.
- 2- إنعدام التنسيق في أغلب الأحيان بين المختصّين في علم اللغة، ونظرائهم من المختصّين في علم الحاسوب والبرمجة والمعلوماتية، وهذا نظراً لغياب الدورات المكثفة، والندوات التي لا بد أن يستنير بها الباحث اللساني.
- 3- مشكل ترجمة المصطلحات العربية، آلياً بما يتوافق و موقعها من العلوم أو الأبحاث التخصصية، ما يعطل نقل هذه المصطلحات على وجه الدقة ويمنع الاستفادة منها وسوء استخدامها، نظراً لصعوبة ترجمتها حاسوبياً.

¹ ينظر: نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ص: 53

فهذه المشكلات تعترض من دون شك تطوير اللسانيات الحاسوبية عربياً، اللهم إلا ما نلمسه في بعض الجامعات العربية، من تطور على مستوى الوسائل، والتحديث، أما مجال إفادة تعليمية اللغة لهذا الميدان، فزاهيا واسعة، وضرورية، لمستخدمي الحاسوب على حل بعض المسائل المتعلقة باللغة، وبالمعلومات الرقمية بشكل عام.¹

1-2-2. ديناميكية الأصوات اللغوية وأثرها في القدرات العقلية:

إنّ البحث في خبايا الدراسات الصوتية المعاصرة، يوحى للباحث بتطورها التقني المذهل، فاللغة لم تعد مجرد ظاهرة نظرية، تقتصر على الإطار النظري، المفرداتي أو اللفظي؛ بل أصبحت هناك مجالات علمية أخرى، تدرس الجانب الفيزيولوجي (للغة)، وهذا ما تطارحه اللسانيات العصبية، والحاسوبية، ضمن وظائف «الدماغ» فهي محدّدة بيولوجياً لتوضح المعرفة وتكتسبها وتستخدمها ويرجع هذا المفهوم إلى أنّ المعرفة آتية من قدرة كامنة في الدماغ، هي قدرة على التعلم.»² لتصبح بمرور الوقت قدرة على التعليم.

ويرى أغلب المنشغلين بعلم النفس التربوي، أنّ النمو العقلي للبشر مرتبط بالنمو اللغوي، واكتساب المهارة، والكفاءة للوصول إلى التفكير السليم.³

لذا فإنّ الصّوت يمثل المهارة في التعبير، والنطق، وقد نال أهمية بالغة في التراث العربي، بالأخص فيما تحدت عنه الخليل، وما حقّقه من تععيد لأهم المفاهيم الصوتية (مخارج الحروف،

¹ - ينظر: سناء منعم، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، الثوابت النظرية والإجرائية، عالم الكتاب الحديث، إربد- الأردن، 2018، ص 93

² - عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية (اللغة، رمزية عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، تاريخ الإصدار 2019، ص: 19

³ - ينظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الرياض، 1975، ص: 192

وتصنيفاتها، وحركاتها وغيرها) من المسائل التي تستحق إعادة الفهم، والدراسة العلمية كما أسلفنا، ويشغل مكانة بحثية في اللسانيات المعاصرة على اختلاف فروعها، وقد حققت بعض التقدم في فهم آلية تكوين، واستقبال اللغة، أو التعبير عنها، فهناك ثلاث مراحل أساسية تتحكم في تلك الوظيفة:

1- وضع المعنى اللغوي: لما نود أن نقوله أو فهم ما نستقبله بصرياً أو سمعياً عبر منطقة (فيرنك - Ferenc)، و وقوع خلل فيها، يسبب فقدان جزئي أو كلي للقدرة على التعبير أو فهم اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وهي تنجم عن تضرر مناطق الدماغ التي تتحكم في اللغة. فتؤدي لما يعرف في أمراض الكلام بالحبسة¹.(aphasia)

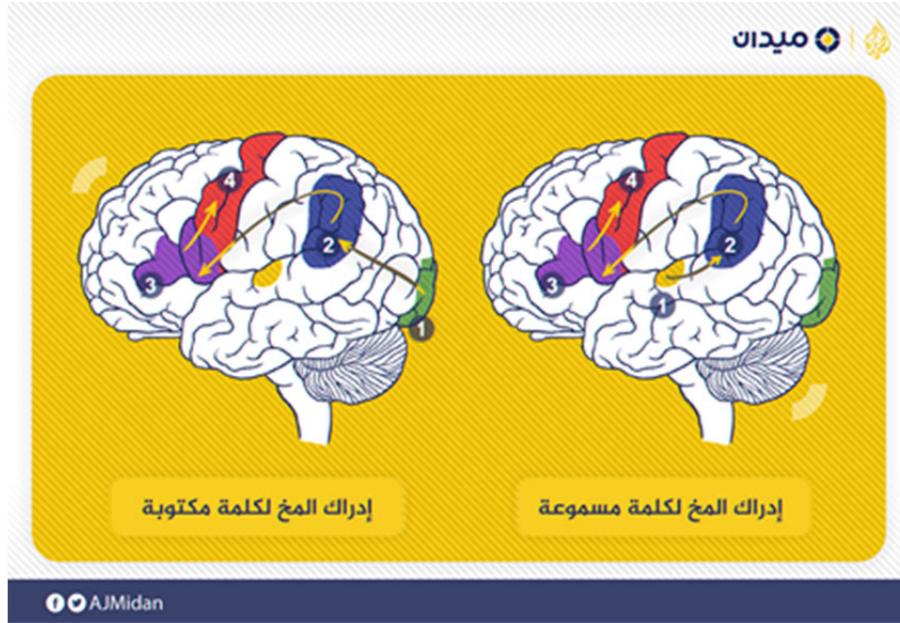
2- تكوين الكلمات والجمل المناسبة عبر منطقة، في الدماغ تدعى (بروكا). تتحكم في عملية الكتابة التي يقوم بها المتعلم. عبر جملة من الأوامر العصبية، التي يترجمها الدماغ إلى أفعال تركيبية للمفاهيم.

3- مرحلة الفعل الذهني: حيث تخرج هذه الكلمات فيزيائياً، عبر القشرة الحركية. وهو ما يثبت للباحث العلاقة الفيزيولوجية، واللغوية للأصوات المنطوقة مع الدماغ، حيث تتم عملية الإدراك الذهني، لمهارتي (السمع والكتابة)، اللتان يحتاجهما المتعلم لاكتساب المعرفة العقلية، وهذا من خلال تناسق المرحلتين السابقتين، دون وقوع أي

¹ - موقع: MSD اضطرابات-الدماغ-والنخاع-الشوكي-والأعصاب/الخلل-الوظيفي-في-الدماغ/الحبسةعلى الرابط:

تم الاطلاع بتاريخ: 2021/06/18 <https://www.msmanuals.com/ar/home>

خلل في احدى المرحلتين، وهذا يكون بتكامل القدرات، والمؤهلات الذهنية، والمعرفية لدى المتعلم، كما هو موضّح في الصورة:²



ويقول المختصّون في علم الدماغ والأعصاب، أنّ مراكز اللغة تقع في النّصف الأيسر من (الطبقة السنجابية -Cortex) من الدماغ ، وهذه المراكز تنقسم إلى أربعة، ولها اتصال مباشر مع آليتي النطق والكتابة وهي على النسق:

- 1- مركز التعلم، وهو مصدر الرسائل والتوجيهات التي تذهب إلى جهاز النطق للتحرك والكلام.
- 2 - مركز الكتابة ومنه تصدر التوجيهات الكلامية، لتذهب إلى عضلات الكتابة.
- 3 - مركز الكلمات المسموعة، وهو الذي يستقبل الكلمات المسموعة ويفهمها، وترجمها إلى أفكار مسموعة وقابلة للفهم.

¹ ينظر: شادي عبد الحافظ، كيف يتعامل الدماغ مع اللغة، موقع الجزيرة على الرابط:

[/https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/science/2017/4/9](https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/science/2017/4/9)

4 - مركز الكلمات المرئية، وفيه تدرك الكلمات المكتوبة أو المطبوعة، وتفهم رموزها ومعانيها المختلفة.¹

2- المبحث الثاني: أهداف المعرفة اللغوية من منظور ديداكتيكي:

إنّ اكتساب اللغة، والتمكن من ناصيتها وفهم مستوياتها، يستوجب كما ذكرنا سلفاً امتلاك آليات المعرفة اللغوية، ولعلّ هذا يختلف من فرد متعلم لآخر، كما أنّ هذه المعرفة تتوقف على شروط، وضوابط علمية، ومنهجية متعدّدة، بغضّ النظر عن المهارة، والمملكة التي يتفاوت في نيلها من يريد تعلّم اللغة.

ويتفق جلّ العلماء على أنّ المعرفة اللغوية هي مجموع التصورات النظرية لبنية اللغة، فمنذ عصر مبكر شغل القرآن الكريم، العلماء لتدبره من خلال تفسير ألفاظه، وتراكيبه وضبط قراءاته ومعرفة أحكامه، وصور دلالاته، فنشأت من ذلك العلوم العربية. وفي هذا إشارة واضحة، إلى عناية العرب في مرحلة مبكرة بدراسة النصّ القرآني، الذي مهد لنشأة المعرفة اللغوية.²

فتعدّد ظواهر اللغة، وتنوع مستوياتها، ووظائفها، يشكل رصيماً هائلاً من المعرفة، التي يسعى المتعلم لنيلها، وكما هو معلوم؛ فإنّ المعرفة هي في الحقيقة على صنفين قبلية وبعديّة، تشترك فيها عدّة عوامل فيزيولوجية، وقدرات ذهنية ينبغي أن يمتلكها المتعلم. حتى يحقّق الغاية من المعرفة، أو ما يصطلح عليه عند العلماء بما وراء المعرفة.

ويرى جازنرو ألكساندر (Garner Alexander 1989): « أنّ مصطلح ما وراء المعرفة يشير إلى معرفة الطالب و وعيه وضبطه للتفكير ولاستراتيجيات التعلم لديه. »³ وهذا بالضبط ما

¹ - ينظر: فتحي يونس، التواصل اللغوي، (د،ن)، القاهرة، 2009م، ص: 05

² - ينظر: زهير غازي، المعرفة اللغوية وتفسير النصّ القرآني، بدون سنة نشر

³ - عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، تاريخ النشر 2008م: 13

يحتاجه المتعلم الذي يبحث عن اللغة، من تهيئة لقدراته واستيعاب للمعارف اللغوية، وإدراك لضمائنها الفكرية.

فعلاقة المعرفة بصناعة اللغة أو بتخصّص تعليمية العربية علاقة أخذ، وعطاء وهي من منظور عبد الرحمان حاج صالح، على فرعين كما أشرنا في بداية هذا الفصل:

2-1_ المعرفة المتعلقة بالمتكلم والمتلقي (المخاطب):

ومعنى ذلك أنّ هذه المعرفة راجعة إلى الملكة اللغوية - Language ability التي يكتسبها المتعلم خلال مساره التعليمي، فهي تمكنه من الاتصال والتخاطب على الوضع (النظام الرمزي- السيميولوجي) الذي بنيت عليه لغته، وهذا يتم على المستوى الفيزيولوجي- الذهني.

«وتأسيساً على هذا يرى جاكندوف أنّ بأدمغتنا مكافئات وظيفية-Functionel Equivalents تختص بكل عنصر من عناصر التركيب اللغوي، فلا توجد رموز بالصورة المعهودة داخل الذهن»¹ وكل فرد مجبول بالفطرة على ذلك، بما يعني القدرة على اكتساب وضع معين من الأوضاع التبليغية، لأنّ الباحث اللساني، أو من هو متخصص في اللغة، يتساوى مع عامة الناس في امتلاك نفس الملكة الإلهية.

2-2- المعرفة الخاصة باللسانياتي:

وهذا الصنف من المعرفة منوطٌ بالعالم المتخصّص في ظواهر اللسان، المحيطة باللغة، وهي معرفة علمية بحتة، تختلف عن ملكته اللغوية التي اكتسبها في مراحل تعلّمه، لأنّها تمكنه من تناول ظواهر ومستويات اللغة، وتؤهله لاكتساب قدرات التحليل، ومعرفة الحدود، والأطر، والوظائف الخاصة باللغة.²

¹ - عبد الرحمان مجّد طعمة، التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية، قراءة بينية معاصرة لبعض القضايا الأولية، رسالة

الشرق، ص: 508

² - ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 177-178

ومن الطبيعي أنّ يمثل هذا النوع من المعرفة، جوهر تعليمية اللغة العربية، وهذا يتطلب قدرات، ومقومات، وكريزما قوية ينبغي أن تكون في شخصية المعلم أو المدرس، من مبدأ « أن يميّز من مجمل مكونات اللغة، تلك المكونات التي تحمل وظيفة لسانية بحتة.»¹ من خلال اطلاعه على كل جديد و مستجد في تخصّصه اللغوي، وما يرتبط به من علوم، ونظريات ومنهجيات.

على غرار ذلك، هناك من المنظرين في فن التدريس « من يفرق بين لغة التعليم التي ينبغي أن تكون باللغة الأم، واللغة التي يُفترض أن تكون بلغة العلم المراد تحصيله، بقوله: أما العلوم فهي ثابتة الأصل، وتنتقل بلغة ناقلها ومستخدمها، فالطب في الصينية بلغته، وفي الألمانية باللغة الألمانية...»² وعليه فإنّ نجاح عملية إيصال المعرفة اللغوية، داخل المنهج التعليمي للغة العربية، ينبغي أيضاً أن يأخذ بأولوية حاجة المتعلّمين، وهو ما يجسد الجانب البراغماتي في العملية التعليمية، تأكيداً على تحقيق الغاية من تعليم اللغة وأهدافها.

2_3_ المعرفة اللغوية ومنهج التدريس الجامعي للمحتوى اللساني:

إذا كانت المعرفة اللغوية، كما هو معلوم، هي نتاج للمعارف المتطورة لللسانيات الحديثة، فلا بد من فهم هذه المادة، التي تمثّل المحتوى الإيستمولوجي المهم، من جوانب اللسانيات التطبيقية، فهماً يتماشى مع قدرات طلاب التخصصات اللسانية، التي نراها في الطور الجامعي، تعاني تارةً من اضطراب المنهج، وتارةً من تبني مرجعية المحتوى اللساني الغربي، خاصةً وأنّ هذه التخصصات والفروع من علم اللغة، تدرّس في الغالب كما هو معلوم باللغة العربية.

فالمادة اللغوية بكلّ مضامينها الفكرية والعلمية، تمثل جوهر تعليمية اللغات، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان حاج صالح، أنّ مهارة المتعلّم في اكتساب اللغة: « إنّما هو تحصيله [أي المتعلم]

¹ _ حنان مصباح، طرائق تدريس اللسانيات باللغة العربية، (قراءة في التمثلات)، ص: 150

² _ محمود فوزي المناوي، أزمة التعريب، الأهرام القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م، ص: 33

مهارة معينة، وهي القدرة الكبيرة على التعبير الدقيق عن جميع الأغراض، وجميع ما تقتضيه الحياة العصرية (...)، ولهذا فإنه يحتاج تحقيقاً لهذا الغرض إلى مجموعة من الألفاظ والتراكيب الوظيفية تشترك في استعمالها جميع فنون المعرفة.¹ على اختلاف نماذجها العلمية.

لأن ما يجعل طالب اللسانيات اليوم، يرى نفسه مقحماً في خبايا المنهج، الذي يحتاج إلى مراجعة وإعادة تخطيط، وهو يمثل ذروة القضايا المهمة التي تطرح واقع التربية والتعليم في الوطن العربي بشكل أخص، ما هو إلا نتيجة لما يقدم له من عموميات، حول قضايا علم اللغة الحديث، وهو ما يفرض على المدرس، أيضاً إيجاز المحتوى اللساني ما أمكنه ذلك.²

وتمكينه من الاطلاع على مرجعياته النظرية الغربية، وما بذله أصحاب لسانيات التراث في بلادنا العربية، وهذا في اعتقادي ينمي معارفه اللسانية، ويحفز فضوله لاكتشاف، ما ابتكره الأولون في التراث من « مفاهيم وتصورات قد لا يوجد في اللسانيات الحديثة، ما يماثلها بل وقد تفوقها إلى حد بعيد.³ وهنا نجعله يناظر، ويحلل، ويفهم المصطلحات، التي يتلقاها أثناء المحاضرات أو الدروس التطبيقية، مع مراعاة الحاجة، والاستعمال اللغوي لها.

إذن ينبغي أن ندرك أنّ تمكن مدرس اللغة العربية، من علاج مواطن الضعف في علاقته مع المحتوى من جهة، والطالب من جهة أخرى، يتجلى في تعامله مع الجانب الأكوستيكي - الصوتي للمتعلم، وجعله قادراً على على تطوير مهاراتي النطق، والاستماع، ولأجل تحقيق هذا الأمر ينبغي

1 - عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص: 47

2 - ينظر: عاطف فضل مُجّد، مقدّمة في اللسانيات، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011

3 - عبد الرحمان حاج صالح، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي بحث ألقى في ندوة

نظّمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهرا (نوفمبر 1988)، ص: 01

أن يقلّل الأستاذ من مصاعب طلابه في النطق، فمن المستحسن أن يأخذ في الحسبان الاقتراحات الآتية:

1- يجب أن يستمع الطلاب للنموذج قبل أن يكرّروه، وهذا يتجسد في وضعيات ديداكتيكية ذكية، تفتح المجال للطلاب في تكرار الكلمة أو الجملة عدّة مرات، ما يحزّزهم ويحفزهم للتحرير أصواتهم على صعيد التخاطب.

2- التحضير الجيّد لمحتوى الدرس، مع ضرورة التأكد من كل لفظ أو كلمة، على مستوى الصوائت والصوامت والحركات الخاصة، بألفاظ النصّ فيكون المعلم هو النموذج والمعيار اللغوي، المقتدى به فيما ينطق من أفكار، وهذا يدخل في إطار استراتيجيات التعليم «المتداولة على نطاق واسع في مجال التربية بصورة عامة. وتحت أي مسمى سواء " مهارات التعلم - Learning to learn Skills" أو مهارات التفكير " Thinking Skills" أو مهارات حل المشكلة "Problem Solving Skills".»¹

3- ينبغي للمعلم أن يركز على النطق الصحيح، خاصة ما تعلق بالفونيمات الفوقطعية أيضاً، أي النبرات والفواصل والأنغام.² مكتسباً للملكة اللغوية الأساسية التي سيكلف بإيصالها، للمتعلّمين، ومن المفروض أن يكتسب ذلك قبل ولوجه مجال التخصص، والأهم

¹ - ينظر: ريبكا إكسفورد، اسراتيجيات تعلّم اللغة، تر: مُجدّ دعدور، مكتبة الأنجلو المصرية، 1996، ص: 12

² - معوقات تعليم العربية في الجامعات العالمية، المبحث 5: اقتراحات لمعلم الأصوات العربية، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر الذي نظمه معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، بالتعاون مع مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، لخدمة اللغة العربية، في باريس 1437هـ/2016م، ص: 29

من ذلك أن يكون له تصورٌ سليم عن اللغة، حتى يتقن تعليمها، وهذا لا يتأتى إلاّ باطلاعه الموسع على اللسانيات بصنفيها، الغربية و العربية على وجه الخصوص.¹

إضافة إلى ذلك يلحّ الحاج صالح، على التقيّد بجملة من الشروط التي تتطلبها المعرفة اللغوية، وهي من مسؤوليات الباحث، والمدرس، والتي يجب أن يستوفياها، وهي على ثلاثة جوانب:

1 - أن يكون أولاً ذا معرفة واسعة لكلّ ما قاله النّحاة، واللغويون العرب القدامى من دون أن نستثني منهم أحداً.* أن يلمّ أيضاً بالتراث العلمي العربي؛ لأنّ جهله لهذا التراث يفقده الفهم، والإحاطة بالرصيد اللغوي.

3 - أن يكون له الملمّ واسعٌ، بالعلوم اللسانية الحديثة، ومناهجها، وأن يكون تلقيه لها محاطاً بكامل التحفّظ، وإلاّ أصابه ما أصاب بعض العلماء القدامى الذين تقبلوا علوم الأوائل من دون أن ينظروا فيها.² فوقعوا في مفارقات كثيرة.

في اعتقادي أنّ هذه الشروط، موضوعية إلى حدّ كبير، وينبغي العمل بها واعتمادها كمصوغات في مناهج تعليم العربية، والمقرّرات اللسانية؛ خاصة وقد أصبح مجال اهتمام الدّيداكتيكي اللّغوي، لاينحصر في حدود المادة وحدها لبناء الاستراتيجيات، والمعارف الدّيداكتيكية، و وضع الأهداف، والمناهج، لأنّ العلاقات التربوية كانت قائمة على المعرفة، بل تم

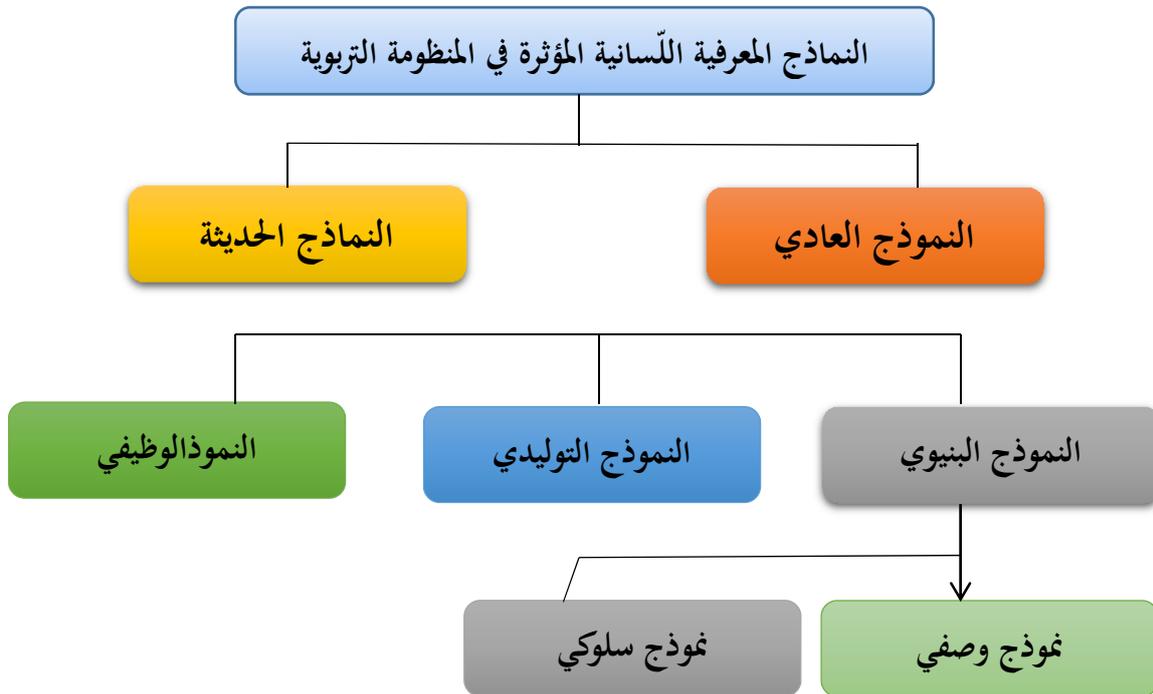
¹ - عبد الرحمان حاج صالح، إثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، معهد علوم العلوم اللسانية والصوتية، ع04، الجزائر، 1973م، ص:04

² - عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللسانيات، ع01، 1971

* - وشرط الإمام في رأيه يقصد من ورائه حاج صالح، ليس بمفهومه المطلق، إنّما هو مجازي يقتضي أنّ يركّز الملمّ على الجوانب المهمّة من هذا التراث اللغوي العربي، إنطلاقاً من أهم الأقوال والمقولات، وأبجديات النظريات العربية، التي قعدت لمفاهيم اللغة، وعلومها (كالتحو، والبلاغة، والصرف وغيرها)، وهذا ما يقوي رصيده الإبستمولوجي، والفكري ويستحضر تاريخ تراثه، من خلال فهمه وتبليغه للمتعلمين.

الانتقال من ديدياتيكا اللغة التي تحصر الفعل اللغوي في مستوى لغوي أصغر (La micro linguistique) إلى الاهتمام بالوظيفة الداخلية والخارجية للنظام اللغوي: العوامل السيكلولوجية والسوسولوجية والثقافية؛ أي دراستها في مستوى لغوي أكبر (La macro linguistique).¹

والملاحظ على هذه الشروط، أنّها بمثابة المحدّات التي تتحكم في نماذج مختلفة من المعرفة اللسانية. ثمّ إنّ هذه النماذج لها سمة التعدّد، بتعدد طرائق التعليم، والتدريس ومناهجه وانتقال ظواهرها، ومستوياتها عبر مختلف المناهج من الوصفية- البنيوية إلى التوليدية- التحويلية والوظيفية وغيرها، وهذا ما يعبر عن الشكل الآتي:²



¹ _ حنان مصباح، طرائق تدريس اللسانيات باللغة العربية، (قراءة في التمثلات)، ص: 150

² _ سيلفيا بافيل وديان نولي، تر: خالد الأشهب، دليل الاصطلاح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016

إذن نستنتج من كل هذا، أنّ المعرفة اللسانية أو اللغوية، في الوقت الراهن تكتسي طابعاً عصرياً، بعيداً عن كل تلك النزعات التي خلفتها البنيوية والتوليدية والوظيفية وغيرها، وهذا يبرز علاقتها بكيفيات التدريس، و وضعياته الديداكتيكية، لأنّ منطلق هذه النماذج هو اسقاط المعرفة، التي تتنوع من مجال لآخر، حسب تنوع المنظومة والمناهج المسخرة للتدريس؛ فمنها ما هو مرتبط بالسلوك، ومنها ما له علاقة ببنية اللغة، وصنف يعتمد على الجانب الوظيفي، وهي كلّها مجتمعة لها أثرها على العمل التعليمي - التبليغي للغة، من خلال استنباط المعرفة اللسانية الناجعة، وإيصالها للمتعلمين وفق معايير خاصة ومدروسة.

أمّا عن تأثير هذه الطرائق التعليمية، على تعليم العربية وما يلحقها من علوم، كاللسانيات والبلاغة وتحليل الخطاب وغيرها، من التخصصات على مستوى مناهج الأطوار التعليمية، فأرى أنّه قد تأثر بعوامل ضعف وركود، في مختلف مؤسساتنا، وهذا في تصوري يمكن رده إلى النقاط الآتية:

- مشكلة عدم فهم المرجعيات أو الانسياق التام للنظرياتها الغربية.
- صعوبة المناهج اللغوية، تؤدي حتما إلى ضعف في التحصيل اللغوي للمتعلمين.
- تفرع التخصصات التابعة لعلم واحد، وتداخل محتوياتها المعرفية، يخلط الفهم لدى الطالب ويدخله في دوامة البحث، نظراً لتشعب مخرجاتها.

3-المبحث الثالث: اللسانيات العربية المعاصرة و المنهج الحديث في تعليم اللغات:

تنوعت كما قلنا فروع اللسانيات المعاصرة، وتطوت مع تطور الدرس اللساني الغربي وتوسع مجالاته وعلومه، فصرنا نسمع ونقرأ عن هذه الفروع المستحدثة، كاللسانيات النفسية والعصبية والتاريخية والجنائية وغيرها، والتي تنضوي تحت مسمى اللسانيات العامة و التطبيقية.

ولاريب أنّ تعليم اللغة له «علاقة تبعية مع اللسانيات البحتة شأنها شأن تقنيات المهندس والطبيب، في علاقتها مع معطيات العلوم الأساسية التي يقوم عليه عملها. لكن تجربتها الخاصة عن طريق نوع من رد الفعل، تسيطر على معطيات العلوم الأساسية التي تستند إليها، أو تدحضها، وتساهم في التطوير النظري لهذه العلوم.»¹ وتقنياتها المختلفة.

لذا ارتبط مفهوم تعليم اللغات، باللسانيات التطبيقية على مستوى المنهج اللساني المسقط على مصطلح تعليم اللغة، وهذا ما يفتقد في الغالب، إذا ما نظرنا لمشكلات تعليم العربية، والمقصود بذلك هو ضعف الإجراء و كلاسيكية المنهج، لأنّ العامل المهم الذي ينبغي أن تبّلع به اللغة، هو العامل اللساني المتطور في بنيته و رصيده الإستمولوجي.

وهذا يثبت لنا أنّ مصير تعليم اللغة العربية، أصبح مرهون بما تقدّمه اللسانيات المعاصرة، من دعم وتوجيه منهجي، وأدوات ديداكتيكية، تسهم في نجاح تعليم اللغة بكل ظواهرها، وأصولها سواء المتفق حولها، أو حتّى تلك المختلف حول مرجعياتها؛ «إذ من الممكن جدّاً أن نكون على علم-على الأقل- بالنظريات العلمية ومناهج التحليل والوسائل المختلفة، التي وضعتها هذه البلدان

¹ - شارل بوتون، اللسانيات التطبيقية، ترجمة: قاسم المقداد ومجد رياض المصري، دار الوسيم للخدمات المطبعية، دمشق،

لتحقيق أغراضها، ولحلّ مشاكلنا، في علوم اللسان وصناعة تعليم اللغات.¹ وغيرها من الفروع العلمية.

من هذا المنطلق ركز حاج صالح، على ضرورة تغيير ذهنية الباحث العربي، تجاه المناهج الغربية من جهة، وتجاه تراثنا اللغوي العربي من جهة أخرى، وهذا لا يتأتى إلا بالبحث والانفتاح الذي يمكننا من تمحيص المنجز الغربي المعاصر، والإستفادة منه بما يثري لغتنا وقوميتنا.

فمن الموضوعي أن ينتقد حاج صالح الوصفين العرب، في تبنيهم الكلّي للفكر البنيوي المطلق*، مطالباً بالاستفادة من رصيد النظريات التوليدية والتحويلية، دون الأخذ بكلّ ما جاء به على وجه مثالي، فربط بين الفكرين التراثي، والحداثي من خلال النظرية الخليلية الحديثة، كما تحدّثنا عن ذلك في الفصل الثالث.

ولعلّ المتعمّن في أغلب مؤلفاته و جهوده، يدرك أنّها بنيت على منهج تنظيري، و فكري لأهم المرجعيات المعرفية للسانيات المعاصرة، وكلّه أمل في أن يرتقي بالعربية، منهجاً، وتعلماً، وتتجلى عقيدته ومذهبه اللساني، حين سئل مرّة في إحدى محاضراته، عن فكرة تغلّبه للقديم، هل أنت من المحافظين؟ فأجاب: «لست محافظاً ولا مجدّداً، ولكن أبحثُ عن المفيد. اكتشفنا في القديم شيئاً عظيماً لم نجدّه في الحديث، ولو اكتشفناه في الحديث لأخذنا به.»¹ وهذا يتجلى من دون شك، في، الدّراسات المنفردة التي قام بها، وتنظيره واستقرائه للتراث، وسنحاول في ما بقي من جزئيات هذا الفصل، تناول الجانب التطبيقي، لما قام به من جهود، وما طرحه من آراء في حقل تعليمية اللغة.

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص: 173

* الوصفين العرب الذي تأثروا بالمنهج الوصفي الغربي، من حيث أخذهم للنظريات الغربية، التي ظهرت مطلع القرن 19، في أوروبا، وقد تجلّى هذا التأثير نتيجة الرحلات التي كانوا يقومون بها (أدباء المهجر)، ليمتد ذلك من الأدب إلى اللغة وعلومها، وما عرف لاحقاً بعلم اللسانيات، وما جاء به دي سوسير من نظريات تركز على وصف اللغة، كما تطرقنا لذلك في الفصل الثاني، من بحثنا.

² - مُجّد صاري، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، جامعة عنابة.

إنّ ما يقع على عاتق اللساني والتربوي والباحث، هو استجلاء ((الملكة اللسانية)) للمتعلّم، و التمثيل لخصائص ((اللسان الطبيعي))، الذي يتداوله الخطاب التعليمي للعربية، والسؤال الذي ينبغي أن يطرح إزاء هذا الوضع هو كالاتي: ما هو المعطى اللغوي الذي - إن أُتخذ منطلقاً- أسعف في عكس خصائص هذا اللسان ويسترسل استكشافه؟¹

ووفق تصور هذا البحث؛ فإنّ الإجابة عن هذا السؤال المنطقي، تحتاج إلى البحث عن علاقة الفكر اللساني، بتعليمية اللغة، التي تمثل المعطى، والأرضية الخصبة للعلوم ككل، وبالتالي فالعلاقة هنا هي قائمة على الأخذ والعطاء.

لأنّها تفرض على من يسلك منهج التّظير، أن يركز على الأصول قبل الفروع، أثناء معالجته لمسألة تبليغ المحتوى اللساني للغة، في إطار التعليمية، وهذا ما يصطلح عليه عند الغرب « بنظرية الوحدة (Allin one System) »، ويقصد بها في تعليمية اللغة، بأن ننظر إلى اللغة، على أنّها وحدة مترابطة متماسكة وليست فروعاً مفرقة مختلفة.² قد تشتت نظر الباحث أو فنقل تحييد به عن اكتشاف الأصول اللغوية.

لا ريب أنّ الباحثين العرب في ميدان اللسانيات، قد حاولوا طرح مناهج مختلفة في سبيل تحقيق التعليم الأمثل للغة العربية، ولكنهم في كلّ مرة يشهدون واقعاً مغايراً لتلك المناهج، من حيث تقويمهم للنتائج التعليمية داخل المؤسسات التربوية، بالترافق مع مناهج وطرائق قد تخالف الأهداف، والمقومات التي تسعى لها العربية كلغة حية ومتجدّدة.

¹ - ينظر: كتاب جماعي محكم، اللسانيات الوظيفية (التّظيرية والنماذج والمقاربات)، إعداد وتقديم، د. عزيز العماري و د.

عبد الرحمان رحوني، وآخرون ط1، 2020، دار كنوز المعرفة، ص: 234

² - عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، القاهرة دار المعارف، 1387هـ/1968م، ص: 50

فتباين وجهات النظر الهادفة للإصلاح، و محاولة كشف العوائق الديدانكتكية المختلفة، يطرح جملةً من التساؤلات، يمكننا تقديمها على النسق الآتي:

أين يكمن الخلل في نجاح تعليمية اللغة؟ أهو في المناهج؟ أم في المنهاج؟ أم هو خارج عن نطاق كلِّ هذا وذاك؟ ومتجّة إلى صعوبة تطويع اللغة في حدِّ ذاتها.

فهذه التساؤلات هي في الحقيقة واقعٌ متكرر، وأزمة تعيشها البلدان العربية والإسلامية، في تاريخ تعليمها للعربية، حتى أننا نلمس تغييراً واضحاً في «قناعة الفرد العربي بذاته وكيانه كلّه، بفعل الغزو في الإعلام، والثقافة، ونمط الحياة والسلوك، وليست اللغة بشاذة عن القاعدة، سواء على المستوى الرسمي، أو على المستوى الشعبي العام، ولذلك كله، انعكاس في أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه، وهي المسألة التي أشار إليها حاج صالح، حينما طرق موضوع المشاكل التي تعانيها العربية في المدارس على اختلافها، ولاسيما في المراحل الأولى من التعليم.¹ وحتى أطواره العليا من التعليم الجامعي.

ولأنّ المؤسسات التعليمية جزء من المجتمع، فقد صار الضعف اللغوي سمة التعليم في وقتنا الحالي، حين ينتقل الطالب من مرحلة إلى أعلى منها، حتى يتخرج من الجامعة وهو غير متقن لأي لغة من اللغات! فعامياتنا في الدول العربية لغات مستقلة عن اللغة العربية، يعيها غياب القواعد، وعدم الانضباط، والمحدودية، ولذلك تنطبع العقول بسماحتها، ما لم تنخرط في دراسة لغة أخرى وتصل إلى إتقانها وضبط قواعدها. وفي حين تسعى كثير من الدول إلى اعتماد "تعليم ثنائي للغة"، نتوجه نحن إلى "تعليم عديم اللغة"، ولذلك لا أرى غرابة في ظاهرة التعليم عن طريق الموسيقى

¹ - نوار سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل التعليمات، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2016، ص: 42

أولالمهرجانات، وهي آخذة بالانتشار إن لم تُعالج أسبابها؛ فهي نتيجة نهائية لما يُسمى ببغائية المعلومة، الناتجة عن الافتقار إلى لغة تعليمية فعالة.¹

وقد سبق إلى هذا الموقف الحاج صالح، حين نظّر لعدّة مصوغات علمية تفتح الطريق السليم، والفكر السديد، لتعليم العربية بدايةً من أطوار التعليم الأولي، وصولاً إلى الأطوار الأخرى، وستتناول هذه المصوغات، بالتفصيل بعد قليل في هذا الفصل، فهو يرى « لغة التخاطب هي أخفّ بكثير من اللغة المحرّرة لأنّها تستعمل يومياً وفي كل وقت.»² وليس لها حدود تضبطها عكس اللغة العلمية السليمة.

فالملاحظ في خضم هذا الواقع المؤلم الذي تمرّ به تعليمية العربية، ومن منظور البحث. يمكن القول أنّ البحث اللساني العربي ككلّ، لم يفد العربية بأي جديد؛ عدا صياغة المناهج وفق قواعد اللغات الأجنبية، وهذا الواقع يعبر عن مشكلات عويصة، يمكن إيجازها في نقاط ثلاث:

1- البحث العلمي اليوم في تجدد مستمر ونشط، نتيجة للعولمة و تطور العلوم اللغوية والتربوية، وما يشارك فيه أهل العربية، لا يعدوا أن يمَسّ الجانب الشكلي أو الخلافي، دون الجوانب التأصيلية لتعليم اللغة.

2 - أهل العربية يدرسون العلم بلغة أصحابه، فهم يدرسون ويفكرون بغير العربية، وما يدرسونه من هذا العلم بالعربية، لا يتعدى الحظّ اليسير من المرجعيات الفكرية أو الحضارية.

¹ - صالح عبد العظيم الشاعر، اللغة مفتاح لإصلاح التعليم والبحث العلمي، منصة النقاش، تاريخ النشر: 07 مارس 2016، رابط الموقع: <https://arsco.org/article-detail-1000-8-0> تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2021/06/01

² - عبد الرحمان حاج صالح، إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي، مجمع اللغة العربية، الجزائر، ص: 66

3- إخراج العلوم إلى اللغة العربية، الذي بدأ محتشماً في بعض البلدان العربية إبان القرن التاسع عشر كان من أجل التعليم، بغضّ النظر عن المحتوى وموارده، بل تراجع ولم يبدأ من جديد على صورة العمل القومي الموحد.¹

إذن من المعقول أن نبحث عن بدائل لهذه المشكلات، تحقيقاً للمنهج الأمثل في تعليمية العربية، أو فنقل المعرفة اللغوية التي يبحث عنها المتعلم أو حتى المدرّس نفسه، دون أن تخالف أصول العربية، وقواعدها من ناحية المبدأ، والتركيب والفكر وغير ذلك، من السمات التي تنفرد بها عن باقي اللغات الأخرى.

والشاهد على ذلك هو « أن قواعد اللغات الأوروبية الحديثة التي فقدت الكثير من مميّزات أسلافها، من اللغات المعربة كاللاتينية أو الجرمانية القديمة، لم تكن قواعدها مستنبطة من واقع تلك اللغات، بل كانت قواعد مفروضة عليها، ومنظمة بموجب قواعد اللغتين الإغريقية واللاتينية بوجه خاص.»²

الأمر الذي أنتج فكراً لغوياً قومياً، استندت عليه جلّ النظريات اللغوية كالبنوية والتوليدية وغيرها، وفق منظور فلسفي وديني وثقافي، حاول فرض منهجا مغايراً على كلّ اللغات السامية ومنها العربية، من خلال نشر اصطلاحات كالبنية، والمعيار، والازدواجية، وغيرها من المفاهيم، ممّا خذل التلقي والتبني العربيين لهذا الفكر في مختلف مراحلها.

¹ - ينظر: رشدي راشد، اللغة العربية العلمية بين الترجمة والبحث العلمي، منصة النقاش، تاريخ النشر 07 فبراير 2018،

رابط الموقع الإلكتروني: <https://arsco.org/article-detail-1054-8-0> تم الإطلاع

بتاريخ: 2021/05/31م

² - نايف خرما و على حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، مجلة عالم المعرفة. (16) المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، 1988، ص: 22

على الرغم من هذا الوضع، إلا أننا لا نكر وجود صحوة فكرية عربية، انطلقت ملاحمها مع الخمسينات من القرن الماضي، إلا أنها كانت مجرد محاولات نظرية افتقدت إلى التطبيق، واصطدمت بالفكر الحدائلي الاستشراقي، «لأن معرفة الآخر ترتبط بهويتي الخاصة بي، والمعرفة بالآخر معرفتي بذاتي وكلّ إضافة في معرفة الآخر هي إضافة إلى معرفة الذات.»¹ وهذا يعبر عن الانفتاح الذي تتميز به العربية أصلاً ومنهجاً.

فلا يمكن لهذه الصحوة أن تبعث «الماضي أو ما يعتبر فيه مشرقاً، والآخذ من الحضارة الحديثة ما ينسجم مع هذا الوجه المشرق، من تراثنا. فالانطلاقة كانت إذن انتقائية توقيفية، فكأننا أردنا أن نوّسس الاستمرارية، بواسطة شيء خارج هذه الاستمرارية.»² ولا يمت لها بصلة.

فنجاح أي نهضة لغوية أو تعليمية، لن ينجح بدون رؤى موحدة، وفكر عربي مستقل، وتطبيق رسمي وصارم، لما سطرته هذه العقول النيرة من علماءنا المحدثين، فلطالما تقرّر في مجامع اللغة العربية*، العديد من التوصيات بعد طول تمحيص وجهد وإنابة، لمناهج تعليم العربية أو اللسانيات وغيرها من فروع علم اللغة، ولكن على أرض الواقع لا يتحقق من ذلك، إلا ما هو شكلي كترجمة المعجم أو تحقيق نسخة معينة في النحو، أو البلاغة وما شابه ذلك من موضوعات، وغالباً ما تتناثر في الملتقيات العربية قضايا المصطلح ومسائله (التلقي والتوظيف والتوليد...)، لتبقى حبيسة الرفوف.

¹-Todorov, Tzevetan, La connaissance d' autre; In Les morales de l' - histoire. Ed Hachette ; Paris ; p : 48

² — مُجدّ عابد الجابري، مسارات مفكر عربي " مُجدّ الشيخ"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر 2011، ص: 21 * - ولا ينبغي أن ننكر الدور الذي قامت به المجامع العربية منذ تأسيسها، من خلال تدوين المعاجم وتوحيد المصطلحات، ومعالجة الكثير من القضايا اللغوية، ولكن الذي أردنا الإشارة إليه هو الجانب التنفيذي للعديد من التوصيات والتقارير الهادفة، كالتعريب وصناعة المصطلح ومشاريع الذخيرة اللغوية وغيرها، والتي أصبحت حبراً على ورق، ولو تم تنفيذها وتوحيدها على المستوى العربي، لكان وضع اللغة العربية مختلفاً عن ما نراه اليوم، في منظوماتنا التربوية، والتعليم العالي.

حتى أنّ المتعلم المبتدئ أو الباحث. وعلى الرغم من الفائدة العلمية، التي تنطوي عليها تلك الأعمال، فإنّها تكون بعيدة عن يده ولا يستقرئها ذهنه، كمحتوى تعليمي ملموس. «فما أوجدته ظروف اللّغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها، وتأريخها عن العربية وظروفها، اختلافاً كبيراً، يجعلنا في موقف رافض لكلّ ما يراد به من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربية.»² خارج مبادئها وأصولها الفكرية والثقافية واللغوية والقومية.

3-1_ مشروع الذخيرة اللّغوية وتحديث اللّسانيات العربية :

إنّ الفكر اللّساني الذي انتهجه الحاج صالح، في البحث التّظري المتجاوز للنزعة التقليدية والغربية، كان بحق فكراً يحمل في طياته، قضية الانتصار للغة العربية، وربطها بالفكر التراثي ((الأصل)) من جهة، والتطور التّظري الحدائي بمعايره، وفتياته العلمية من جهة أخرى.

ولاريب أنّ هذا الاجتهاد، يعدّ من الجهود التي لاتزال راسخة في أذهان اللّسانيين العرب عامة، والغرب بشكل أخصّ و دون استثناء، حتى في منطلق من عارضوا مذهبه وفكره، لذلك يجدّ الباحث ذاته أمام مشروع هائل (الذخيرة اللّغوية-Linguistic repertoire)، يعدّ بحق طفرةً علمية، وعملاً أكاديمياً، سعى من خلاله إلى كبح جماح البحث اللّساني، في مرجعياته العربية، وشحذ همّ الباحثين، والطلاب في الوطن العربي، على إثراء الرصيد التراثي للغة الحية و الأزلية.

¹ - رشيد عبد الرحمان العبيدي، الألسنية المعاصرة والعربية، مجلة الناثر، ع01، السنة الأولى 1420هـ/ 2000م، ص: 31

كما عبّر عن بداية عرضه لهذا المشروع قائلاً: «وكان لي الشرف أن عرضتُ على مؤتمر التعريب، بعمّان 1986م، فكرة الذخيرة اللّغوية العربية، وفوائدها الكبيرة، بالنسبة للبحوث اللّغوية والعلمية عامة، وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها. وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، واستثمار الأجهزة الحاسوبية، الحالية وإشراك أكبر عددٍ من المؤسّسات العلمية لإنجاز هذا المشروع لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة، ثمّ عرضت الجزائر على المجلس التّنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر 1988 فوافق أعضاؤها على تبنيه في حدود إمكانات المنظمة.»¹

ففكرة هذا المشروع عظيمة، ولن يكرّرها الزمن، لأنّها لها اعتبارات، و أولويات هامة تخدم لغتنا العربية، على شقّين يربطان الماضي الأصيل (التراث)، بالحاضر الذي تطغى عليه لغة (الحداثة) من علوم وتكنولوجيا، وحاسوبيات وغيرها.

لأنّ الهدف الأساسي لهذا المشروع، هو تمكين الباحث من الولوج إلى المعلومات المتعلقة بالمحتوى الأدبي، واللّساني للعربية بمنهج آلي حاسوبي، وفي وقت وجيز يجنبه العناء في البحث عن ما يحتاج، من معرفة تناسب موضوع بحثه، والجهد في تحصيلها، بالكيفيات التقليدية المعتادة (البحث في المكتبات).²

ورغم أنّ مصطلح (الذخيرة) كان له حضور، في الفكر الغربي تحت مسمّى (لسانيات الذخيرة-Corpus Linguistics)، وهي مجال جديد ومستحدث، في اللّسانيات الحاسوبية؛ إذ يرجع تاريخ نشأتها إلى تدوين ذخيرة للمدون Kucera Francis، ما بين

¹ - عبد الرحمان حاج صالح، مشروع الذخيرة اللّغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية، مجلة الآداب، العدد: 03، ص: 06

² - ينظر: المرجع نفسه، ص: 07

العامي 1961 و 1974 في جامعة براون Brown في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد عرفت هذه الدراسة باسم "ذخيرة Brown" التي كانت نتاج جهد ثنائي قبل أن يقوم Kucera & Francis بإنشاء مؤسسة تُعنى ببناء ذخيرة أكبر حجماً، وتحليلها حاسوبياً.¹

فمشروع الذخيرة اللغوية العربية، الذي طرحه الحاج صالح، كان له منظور علمي-حدائي، حتى أننا نجد تشومسكي يقرّ بمصطلح الحدائـة -Modernity، في علاقتها مع اللغة قائلاً: «إنّ اللسانيات الحديثة قد تنصّلت تماماً من النظرية اللغوية التقليدية، واتجهت نحو بناء نظرية لغوية لها صفة الحدائـة والاسقلالية.»² في ربط اللغة بالمقومات.

وهذا يدفعنا للقول، أنّ هذا المشروع قومي، هو بنك معلوماتي، يحتوي على النصوص التي تمثّل: «الاستعمال الحقيقي للغة العربية، فليست نصوصاً يصطنعها المؤلفون بل نصوص من اللغة الحية الفصحى المحررة أو المنطوقة، وأهم شيء في ذلك هو أن يكون هذا الاستعمال، الذي سيخزن بشكل النص كما ورد في ذاكرة الحواسيب، هو استعمال العربية كما هي طوال خمسة عشر قرناً في أروع صوره، ثم هو يغطي الوطن العربي أجمعه في خير ما يمثله، من هذا الإنتاج الفكري»³ الذي يحمل سمّي الأصالة والحدائـة.

¹-David Crystal, The Cambridge Encyclopedia Of The English Language, 2nd Edition, 2003, page448. Et Sandra Kubler: Introduction to Corpus Linguistics, Seminar fur Sprachwissenschaft, University of Tübingen, and page 12.

²-Noq; Tchomsky, linguistique cartésienne Traduit par Nelcade lance et dan Sperber, (paris éditions du Seuil1969 ,) .p15

³ - عبد الرحمان حاج صالح، مشروع الذخيرة اللغوية، وأبعاده العلمية والتطبيقية، مركز البحوث العلمية والتقنية للغة العربية، مجلة الآداب العدد03، ص:07

فهدف المشروع هو التركيز على مبدأ الاستعمال الحقيقي للغة، من خلال تحقيق المعرفة اللغوية للكلمة، وفهم سياقاتها، ودلالاتها التاريخية عبر العصور، حسب جملة من المتغيرات المختلفة، للتصوص اللغوية والأدبية والعلمية، وهذا يحتاج طبعاً إلى وضع معجم تاريخي مفهرس للألفاظ العربية، إلى جانب وضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل حتى تحصل الفائدة والغاية والمرجوة منه بشكل ملموس.¹

3-3- مستقبل المعالجة الآلية للعربية في ظل تحديات الذكاء الاصطناعي:

من وجهة نظر البحث، يمكن القول أنه إذا كانت لغتنا العربية، كما قال عنها المستشرقون والنقاد وغيرهم، أنها لغة خوارزمية ولغة لينة، لها ما يؤهلها لتحقيق الاندماج مع العلوم الأخرى، على مستوى التقنية، فهذا يدل على أن معالجتها من خلال برامج علم المعلوماتية، لا بد أن يكون بطريقة مثلى، إن تم ضبطه مخرجاته المادية (المعالجات الحاسوبية - Computer processors) والمعنوية التي تمثل المحتوى النظري والمعرفي للغة.

فالمنطق يدل على ارتباط اللغة بالعلم، ارتباطاً يجعلهما متكاملان، ومن المعقول أن نتساءل: ماذا يجب أن نعلم من اللغة؟ وكيف نعلمه؟ والإجابة عن هذه الأسئلة الجوهرية، كما يرى حاج صالح تكمن في إمعان النظر والتمييز، بين جانبيين اثنين هما:

1 _ النظر في مصداقية ما يقدم للمتعلم من محتوى لغوي.

2 _ النظر في منهج المدرس وطرائقه التبليغية للمادة اللسانية، وهذا مهم

ويستدعي وضع أطر وضوابط خاصة بذلك.¹

¹ _ ينظر: ليلي قلاطي، الذخيرة اللغوية ودورها في النهوض باللغة العربية والرفع من مستوى المواطن العربي، باتنة 1، الملتقى

الوطني الأول حول "ازدهار اللغة العربية بين الماض والحاضر"، ص: 351

² - ينظر: حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص: 200

والواقع أنّ هذا التزاوج بين اللغة، والنظام المعقد الذي تنتجه العلوم الحاسوبية، وتقنياتها الخاصة بأنظمة الذكاء الاصطناعي، ولغات البرمجة المختلفة. والنظريات العلمية الحديثة، هو ما يجعلنا نطرح سؤالاً موضوعياً:

— هل يمكن لآلة بمفهوم نظريات الذكاء الاصطناعي أن تحلّ محلّ المعلم في تعليم اللغة؟

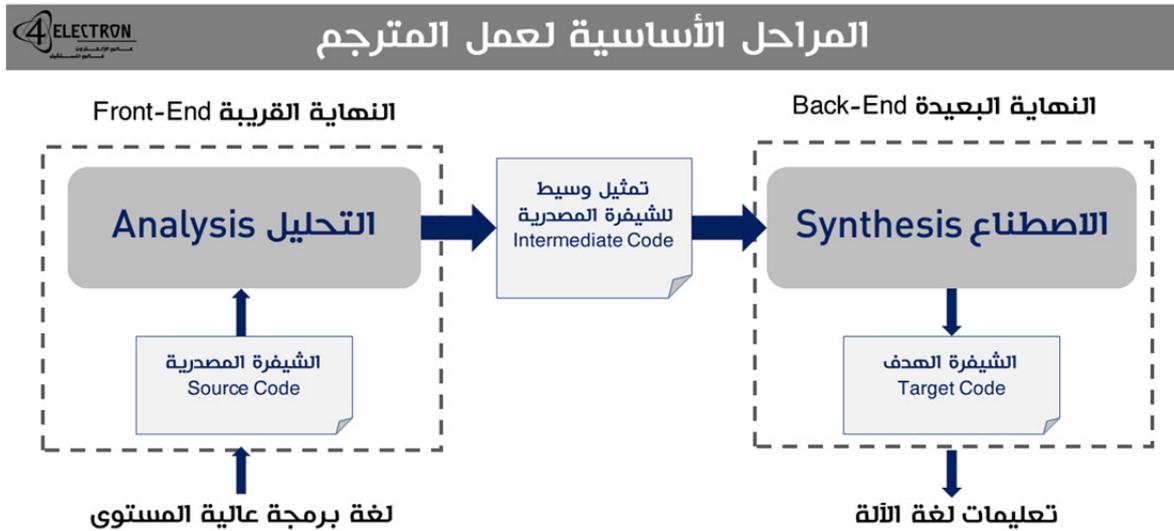
والجواب نعم، لأنّ بين اللغة والذكاء الاصطناعي عاملاً مشتركاً في الترميز-Coding، فإذا كان العقل البشري يحتاج إلى أن نعرّفه على شكل الحروف، التي هي في الأصل رموز وصيغ، فبالإمكان أن ندرّب الحاسوب أيضاً على التفاعل مع قدر كبير من هذه الرموز؛ فالعلاقة بين اللغة والحاسوب وتشغيله، وهذا يمكنه من صناعة لغات البرمجة التي تخدم لغته التي يتكلم بها.¹

وإذا كان الذكاء الاصطناعي بحدّ ذاته، نابع من العقل الذي الذي يحاكي، إنتاج النظام اللغوي للفرد، فمن المنطقي أن ينتج هذا الذكاء معلّماً افتراضياً، تكون مهمّته تعليم اللغة. رغم أنّه سيفتقد إلى الجانب النفسي، والروحي، للمعلم البشري إن جاز الوصف، وفي هذا الطرح يرى الدكتور نبيل علي: «أنّ مدى نجاحنا في تعريب نظام المعلومات والمعارف، يتوقف بالدرجة الأولى على ما نستطيع أن نحققه على جبهة الصّرف.»² ذلك أنّنا نضطر للتأقلم مع اللغة الأجنبية، كالإنجليزية على سبيل المثال لا الحصر، لأنّها لغة هذه التقنيات الحاسوبية، وتعريبها يستوجب الجهد الجهيد، ولكن بإمكاننا إنتاج ما نفهمه نحن قبل الآخر.

1 - مُجّد عطية المعتز بالله، وأحمد راغب وآخرون، العربية والذكاء الاصطناعي، ص: 96

2 - نبيل علي، اللغة والحاسوب، مجلة عالم الفكر، 1987م، ع:03، ص: 297

كما أنّ المستوى اللغوي هو الأهم في إنجاح المعالجة الآلية، بمعية المحدّات التقنية للذكاء الاصطناعي، والمحدّات المعنوية للعربية؛ فبينما يحدّد المحلّل النحوي العربي - بعد استشارة المعلومات القادمة من المحلّل النحوي الإنجليزي - الوظائف النحوية للكلمات العربية، وموقعها في الجملة، فإنّه يضع الحركات الصّحيحة بحسب ذلك. مع طبيعة الجملة العربية، كما يسبق (الفعل) الفاعل والموصوف (الصّفّة)، والمبتدأ الخبر ممّا لا يفقد التركيب سمته اللغوي، عكس ما هو موجود في تركيب الجملة، بالنسبة للغة الإنجليزية.¹ وهذا يثبت ليونة العربية، فهذه العوامل التقنية، والمعنوية هي التي تتحكم في تخريج العمل الترجمي للغة، عبر مراحل أساسية كما هو موضح في الشكل الآتي:²



¹ - ينظر: الترجمة في الوطن العربي - الندوة الفكرية - ص: 292 وينظر أيضا: مجلة لغة العصر، 2009م، ص: 03

² - المصدر: عالم الإلكتروني، عالم المستقبل، رابط الموقع: <https://www.4electron.com/2020/02/6031> تم الاطلاع بتاريخ: 2021/05/17

يستبين لنا من هذا المخطط، وجود تناسق بين الآليات المادية والمعنوية، في ترجمة اللغة المكتوبة أو المنطوقة على مجموعة من الأوامر، توجه إلى الآلة لأجل ترجمتها، وفق (التحليل والاصطناع والتعليمات وغيرها)، ويشهد العالم في الوقت الرهن ثورة غير مسبوقة في تطور لغات البرمجة، فليس من المستحيل، أن تكون هذه البرمجيات الآلية للغة معربة تقنياً، ونظرياً؛ إن تم توفير ما يناسب من عوامل وجهود موحدة.

4-المبحث الرابع: تدريس اللسانيات في الجامعة الجزائرية بين المعوقات والآفاق:

لا يخفى على المختصين من أهل التدريس والتعليم العالي، ونقصد من هم منشغلون بتخصّص تعليم مقاييس علم اللسانيات، في الجامعة الجزائرية، ومن يمثلون النخبة من المنظرين، والعلماء في علوم اللغة العربية، وفروعها المتعدّدة حجم الإرهاصات التي تعترض تدريس المحتوى اللساني، المسقط، والمستفاد منه داخل ميدان اللسانيات التعليمية، ومختلف حقول "علم تعليم اللغات"، على اختلاف ظواهره، وقضاياه، في الجامعة الجزائرية على وجه الخصوص.

والواقع أنّ هذا قد أثار عدّة تساؤلات، ونقاشات مستديمة حثّمت علينا ضرورة البحث، والتمحيص لجملة من المتغيرات المحيطة بهذا الواقع، وعلى هذا الأساس قمنا بجملة من الاستبانات المتعلقة تحديداً، بتقويم مدى قابلية تدريس اللسانيات، ومقاييسها في الجامعة الجزائرية، وهي مدرجة في ملاحق البحث.

والهدف من ذلك هو الكشف عن أهم أزماتها، وآفاقها، وما ينتظرها من رهانات في المستقبل، والذي لم نبلغه في هذه الاستبانات، هو أنّها كانت نماذج لبعض الجامعات، التي كنا نأمل الاتصال بها بشكل مباشر، وتوسيع نطاقها لجامعات، ومراكز بحثية وطنية عدّة، وكانت موجهة تحديداً للأساتذة، والمختصين في تدريس علوم اللغة العربية، والمقاييس اللسانية ولكن حالت دون ذلك، كما هو معلوم ظروف وباء الكوفيد-(Covid 19) ، وقد تعمدنا أن تكون أسئلة الاستبيان

مغلقة وموحدة، حتى تكون ميسرة، و دون إجابات مستفيضة، لأننا في الواقع نحتاج إلى إجابات كيفية، إن جاز الوصف، تكون بمثابة المحدّدات التي نستنبط، من خلالها النتائج المستهدفة، والتي يمكن أن تكون بدائل مناسبة.

وإجراءً لذلك فقد قمنا بإرسال الاستبانات إلى عدّة جامعات*، يمثلهم من هم في صلب التدريس والتأطير للعلوم اللسانية، وقد تضمن الاستبيان في بدايته أسئلة مفتوحة وموحدة، حاولنا من خلالها تنوير الباحث والقارئ، بمشكلات البحث العامة، ومخرجاته المعرفية الخاصة، وهي في مجملها تثير إشكالات وقضايا الفكر اللساني المعاصر، وعلاقته بالبيئة التعليمية، انطلاقاً من الإنشغالات التي يشهدها واقع تعليم اللسانيات في الجامعات العربية بشكل عام، والجزائرية بشكل خاص وهي كالتالي:

1- هل هناك مقررات منهجية ناجحة تمكّن الطالب والأستاذ من تحقيق فكر لساني عربي ناجح داخل الجامعة الجزائرية؟

2- ما مدى تحقيق قابلية تدريس (اللسانيات) وفق مقاربتها مع الموروث اللغوي والمعرفة القبلية لعلوم اللغة العربية للطلبة؟

3- ماهي المعوقات التي تعترض الأستاذ المتخصص في اللسانيات أثناء العملية الّديداكتكية داخل الجامعة؟

* - قمنا بتوجيه هذه الاستبيانات وإرسالها إلى أربع جامعات وطنية، من خلال الاتصال بالأساتذة المختصين في اللسانيات، وهي: جامعة أحمد بن بلة وهران، وجامعة المديّة، وجامعة غرداية، وجامعة أحمد لونيبي بالبلدية.

4- إلى أي حدّ يؤثر تواجد عدّة مقاييس في علوم اللّغة وتقاطعها مع اللّسانيات على تلقي الطالب؟

5- ماهي الآفاق التي يتطلع لها النخبة من الأساتذة والمتخصصين في ميدان اللّسانيات من أجل تطوير اللّغة العربية بآليات حديثة؟

6- هل توجد معايير تعليمية حديثة تتناسب مع المقررات الموجهة لتدريس اللّسانيات؟

7- كيف يمكننا خلق انسجام فكري وعلمي بين مؤهلات الطلبة والمقررات التي يدرسونها؟

8- على أي أساس يمكن للأستاذ تقييم تحصيل الطلبة في المقاييس اللّسانية؟

ولعلّ من المهم أن نستعرض واقع تدريس اللّسانيات، حتى نتمكن من إيجاد أجوبة لهذه الأسئلة، المطروحة سلفاً وراهنأ.

4-1- واقع تدريس المقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية:

قد يصعب على الباحث رصد كل ما يحيط، بمسألة تدريس المقاييس، والمقرارات اللّسانية، على مستوى الجامعة الجزائرية، وهذه الصعوبة في اعتقادي مردها إلى عدّة أسباب، ورهانات، قد لا يُنتبه لها أثناء استقرائنا لواقع تعليمية اللّسانيات، وهذا المقصد شكّل لدي قناعة، ودافعاً في هذا البحث، الذي يمثّل مادة خصبة للنقاش، بين أهل التربية، وأهل اللغة كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، ولعلّ الدّراسات في هذا الشأن، وعلى الرغم من كثرتها، وتنوعها إلا أنّنا نجدتها تصب في

خانة البحث عن المرجعية في أغلبها، أكثر من إثارة النقاش حول المنهج، والأسس، وضرورة تحديث المنهج.

ونظراً لصعوبة هذا الطرح، تعمدنا اختيار الأسئلة المغلقة، والمحددة في الاستبيان كما أشرنا، نظراً لنجاحاتها في سبر الجانب المهم، والدقيق، والمختصر في مضمون الإجابة، وهذا وفق متغيرات خمس: (دائماً - غالباً - أحياناً - نادراً - أبداً)، وهذه المتغيرات تسهل علينا ضبط حدود الاستبيان، ضمن أطر البحث ومخرجاته. بالأخص وأنه موجه للمسؤولين عن تدريس اللسانيات، بصفته المنظرين، والممارسين للتدريس من حيث الأداء والتوجيه.

فالمتعلم هو المتلقي في الخطاب العلمي - اللغوي، وهو متلقٍ نخبوي إن صح التعبير، لأن هذا الخطاب ليس موجّهاً لعامة يتوجّه إلى جميع الناس، وإنما إلى المشتغلين به من باحثين وأساتذة وطلبة ومختصين في إطار أكاديمي يحقق العلاقة بين تعلم اللغة وتعليمها.¹

وبعد الاطلاع على نتائج الاستبيان من خلال إجابة الأساتذة، فقد كانت متفاوتة حيناً ومتقاربة في أحيان كثيرة؛ وسنحاول تقديم نموذج واحد من أصل الاستبيانات الأربع، لتحليله والوقوف على مضامينه، والكشف عما يمكن استخلاصه، منه من نتائج ورؤى تفيد البحث، وبدائل توجهه وتصوبه في مسعاه التطبيقي. وقد وقع الاختيار على استبيان جامعة: لونيبي علي 02، ويشمل طوري (الليسانس والماستر).

لذلك ارتأيت صياغة هذه النتائج على شكل عناصر، أو متغيرات تشمل (المنهج، والتوجيه، والمقرارات)، وحاولنا تقليص النتائج نظراً لكثرة الأسئلة المطروحة، وركزنا على الأهم، والأولى

¹ - ينظر: مُجد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001، ص: 85

حسب النتائج المستنبطة من تحليل الاستبيانات، و وفق ما اقتضاه الجانب الإجرائي للبحث، في هذا المبحث الختامي منه.

4-1-1- آليات التوجيه ودورها في تحفيز الطلبة على المقاييس اللسانية:

حيث جاءت الأسئلة الثلاثة الأولى حول (قابلية الطلبة في الإقبال على المقاييس اللسانية)، وكانت الإجابة بالمتغير (غالباً)، وهذا مؤشر إيجابي يدل على اهتمام الطلبة، باختيار مقياس اللسانيات، ضمن شعب الدراسات اللغوية.

ويلعب التوجيه التعليمي، دوراً مهماً في هذه المرحلة لكونه يمثل مرحلة الحسم بالنسبة للطلّاب، فقد يختار تخصّص من تخصّصات ميدان اللغة وعلومها، بطريقة عفوية دون أن تكون له رغبة في اختيارها، أو يمكن أن تفرضها عليه هيئة التدريس، وفق معايير التوجيه الإداري، باحتساب معدلات المواد اللغوية، مقارنة بالمواد العلمية الأخرى، بعد نجاحه في البكالوريا.

ولم يكن النظام الجزائري بمنأى عن هذه التغيرات العالمية، حيث تم اعتماد جهاز التوجيه التربوي في مرحلتي التعليم الثانوي والتعليم العالي، مطلع التسعينات من القرن المنصرم.¹

1_ عامل التوجيه: يمكن القول أنّه الوظيفة الإدارية التنفيذية، التي تنطوي على قيادة

الأفراد المتعلمين، والإشراف عليهم وتوجيههم وارشادهم عن كيفية الولوج إلى تخصّص تعليمي- علمي، ينظم حياتهم العلمية والمهنية مستقبلاً.²

¹ - خضر حواس، ضبط معايير التوجيه ضرورة جودة التعليم الجامعي " مقترحات لرفع كفاءة التوجيه الجامعي " منصة المنهل

على الرابط: <https://platform.almanhal.com/Files/2/22958> تم الاطلاع بتاريخ : 2021/06/01

² - ينظر: عبد الله محمد بن عبد الرحمان، إدارة المؤسسات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009

إذن لابد من تطوير لمنهج التوجيه الجامعي، والتخطيط لإنجاحه على كافة المستويات، النفسية والاجتماعية والعلمية، قبل المرحلة الجامعية للطالب، وأثناءها بالأخص في شعب الدراسات اللغوية والآدبية، التي نلمس نفوراً ملحوظاً فيها من الطلبة. وكما هو معلوم فإنّ التوجيه لن ينجح إلا بوجود منهاج راقى، ومؤهلات علمية ناجحة تراعي مختلف المتغيّرات.

لا يخفى على أهل اللسانيات أنّ الحاج صالح، يرجع إليه الفضل في تدريسها وتعريف الطلبة بهذا العلم، وإدخاله للجامعة الجزائرية، منذ أن درّسها في كلية الآداب بالمغرب، بالعربية سنة 1960م بحثاً وتدرّساً.¹

2_ **المنهاج والمقرّر:** يمثل المنهاج المحتوى المعرفي العلمي، الموجه للمتعلمين ويعدّ الطرف الأهم الذي تبنى عليه، العملية التعليمية، فهو خطة عامة تنظم التدريس وفق مخرجات ومخرجات ومدخلات، مدروسة من طرف خبراء ومختصّين ومنظرين وغيرهم.² لذ فتعليم وتعلم اللغات. يحتاج إلى وجود المنهاج، وعيه تتوقف جودة التعليم، والواقع أنّ جزءاً كبيراً منه هو مبني على المرجعية الغربية، من نظريات لسانية ومصنّفات، ومصطلحات وغيرها، وهذا ما رسم صورة قائمة في مخيلتي الطالب.

2_ **التأهيل:** وهذا الجانب يتعلق بشخص المكون، والأستاذ المتخصّص في تعليم اللغة، أو اللسانيات، ومنهجه الذي تكوّن عليه في تدريس اللسانيات، وثقافته الموسعة عن علم اللغات، يضاف إلى ذلك عامل الخبرة، الذي يكسبه ليونة في إنجاح عملية التواصل والإتصال داخل قاعة التدريس. ما يفرض عليه أن يكون شفاف التعامل، وعلى دراية تامة، بكلّ ما يجدر من تطورات في

¹ - ينظر: هشام صويلح، واقع تعليمية اللسانيات في الجامعة الجزائرية، "دراسة ميدانية"، مجلة تعليميات، المجلد 1، ع5،

2021، ص: 31

² - ينظر: دفاتر التربية والتكوين، ملائمة المناهج والبرامج من أجل، ع/6-7، ماي 2012، ص: 120

مجال تخصص، وقد تحدث عن ذلك حاج صالح بالحاح، في شروط المعلم من كتابه ((بحوث ودراسات في علوم اللسان)) التي تعرضنا لها سلفاً.

وعليه فإنّ مسألة نفور الطلبة تحتاج إلى دراسات جدية، وبدائل تنظيمية داخل الهيئات التدريسية، والجهات المنظرة؛ بما يعني تكاتف الجهود لتحفيز الطلبة نحو الإقبال على تخصص علوم اللغة، كلما كانوا مؤهلين لذلك.

4-1-2- المقرّر اللساني وقابليته للتدريس: وهذا ما ركزنا على طرحه في السؤال الثاني

من الاستبيان: هل لدى الطلبة قابلية في تلقي المقرر اللساني المقدم لهم؟

وعندما نقول المقرّر اللساني الموجه للطلبة، ننعني بذلك ما تم تسخيره من محتوى خاص بالمقاييس اللسانية أو اللغوية، ومدى وقابليتهم في فهمه والعمل عليه، فكانت إجابة الأساتذة، بالمتغير (غالباً)، وهذا يدلُّ على وجود قابلية ونجاعة في المنهاج المعتمد حالياً، خاصة وأنَّ أغلب إجابات الاستبيانات الأخرى كانت على هذا المنوال.

كما يشكل المنهج حاجزاً لأستاذ اللسانيات، وتتوقف أدواره هنا على نوعية وفلسفة الفكر الذي وضع عليه المنهج أو المقرّر من جهة، ومن جهة أخرى جودة الإمكانيات والوسائل الّديداكتكية المتاحة، والتي تصنع المناخ التربوي، الذي تُدرس وفقه المعارف اللغوية.¹

من المعلوم أنّ اللسانيات تدرس في جامعاتنا باللغة العربية، ولكن الخلل يكمن كما رأينا في المنهج والمحتوى، الذي تغلب عليه المرجعية الغربية، وهذا في رأيي جزء من الإرهاصات التي سنعرّج عليها في ختام الاستبيان، كقضايا المصطلح والترجمة وتأصيل التراث وغيرها من المسائل.

¹ - ينظر: أحمد حسن اللقاني وعلي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعروف في مناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، ط02، القاهرة، 1999، ص: 13

يضاف إلى ذلك أنّ المنهاج اللساني، لازال يحتاج إلى إعادة تنظير شاملة لمحتواه؛ نظراً لأنّ أغلب نظرياته المرجعية هي غربية الأصل، وقد أشار حاج صالح إلى ضرورة إشراك التراث العربي، وتعميق البحث فيه كبديل، كما ألح على ضرورة تعريب المفاهيم، والمصطلحات وتوليدها. حتى يسهل على المتعلّم التعامل مع المحتوى اللساني بكل أريحية.

فموقف الباحث العربي في الوقت الراهن، يتجه للقول أنّ الغالب على المحتوى اللساني، هو «توافر النظريات اللغوية، وما أنشأته من مصطلحات قد أدخل علينا ((غيراً أذهبت منا الشيرة))»، وأصبحت هذه المصطلحات تكوّن مكاملاً قائم الذات، عوضاً عن أن تكون مساعداً يقربنا من هذا العالم الدخيل علينا، والذي يجد فيه الطالب والمختص، بعض محنة.¹ حين يسقطه على الجانب التطبيقي داخل الفصل.

فكثيراً ما نلمس أنّ طالب اللسانيات، يصادف غموضاً وصعوبة في استيعاب معنى، أو مصطلح معين، وقد يعزى السبب في ذلك، إلى صعوبة أسلوب واضع المنهاج، أو ربما نجد السبب في فهم القارئ؛ و أحيانا يلقي باللوم على أسلوب المدرّس؛ لأنّ المفاهيم المتداولة في المحاضرة أو في النصّ المعروض، قد تتعدّى حدود، ومستوى الطالب ثقافياً وفكرياً، أو قد تجرّه من فهم المبادئ إلى الدخول في خضم المسائل الجدلية، وهذا ما يعبر عن وجود إشكال في السياق وإدراك المحتوى اللغوي بحدّ ذاته.²

¹ - حسن يوسف اللّموش، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، ترقية العربية في تونس، ملتقى ابن منظور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، أوت1984م، ص: 25

² - ينظر: عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مدرسة ابن التّيفيس، 2008، ص:13

4-1-3- تفاعل الطلبة مع المحتوى المعرفي للمقاييس اللسانية:

تضمن الاستبيان في السؤالين الثالث والرابع، بعد صياغة عبارتهما، مدى تفاعل الطلبة مع المقاييس اللسانية، كما يلي: - ما مدى توظيف الطلبة للغة العربية داخل قاعات التدريس؟

- هل يقوم الأستاذ بتقديم دروس تطبيقية للطلاب من خلال بحوث تساعد الطالب/الطالبة على التعرف على فهم مقياس اللسانيات؟

وكانت الإجابة عن هذين السؤالين، بالمتغير (غالباً)، ما يعني أنّ هناك توظيف للغة العربية، واستعمالها داخل قاعات التدريس، إضافةً إلى وجود تفاعل بين الأستاذ والطلبة، من خلال تقديمه للدروس الإجرائية، كالبحوث و المشاريع البحثية و غيرها.

وهذا في الحقيقة ما يحتاج إليه جل الطلبة في الشعب اللغوية، حتى يتسنى لهم الخروج من دائرة المفاهيم المجردة، إلى دائرة فهمها من خلال تبسيط محتواها، وتفرغها في قالبه التطبيقي، المنتظم و المتضمن للمعرفة اللغوية، بحدودها النظرية التي ينبغي أن يسهموا في البحث عنها.

أما السؤال الخامس: فقد تضمن عبارة (يستخدم الطالب المعاجم اللسانية العربية أو الغربية لفهم المصطلحات والمفاهيم اللسانية) وجاءت الإجابة عنه بالمتغير (أحياناً) وهو ما يدل على ضعف الطلبة، وعدم استغلالهم للمصادر الموجودة في المعاجم اللسانية المتخصصة، حتى وإن توفرت بين أيديهم فهي في الغالب تأليف غريبة، لا يملكون مفاتيح لفهمها و هضمها، اللهم إلاّ النزول اليسير ممّا نجده في التأليف العربي، ويمكن في اعتقادنا إيجاز ذلك في ثلاث نقاط هي:

أ_ قلة المادة المعجمية المتخصصة داخل المكتبات، بما يتناسب مع قدرات الطالب، إضافة إلى عدم وجود تفاعل بين الطالب، والمكتبة نظراً لتوجه الطلبة نحو الأنترنت والمكتبات الافتراضية، واعتماد الطلبة عليها، وهنا ينبغي توجيه الطلبة وتخصيص ندوات يشرك فيه الطالب لترشيد استخدامه للمصادر اللغوية وتوفير ما أمكن منها.

ب_ وقوع الطلبة في نوع من الخلط عند اختيارهم للمعاجم اللسانية، فتراهم أحياناً لا يفرقون بينها وبين المدونات اللغوية، أو يتأثرون بمرجعياتها الغربية، ولا يفهمون نظرياتها على الوجه السليم، وهذا ما يضعف رصيدهم في التحصيل.

5- دور الجامعة في تحديث تعليمية اللسانيات:

وقد تمحورت عبارات الأسئلة، حول الخدمات التي تقدمها المكتبة في الجامعة الجزائرية، وعلاقتها مع الطلبة، وكانت كالاتي:

_ هل تتيح الجامعة للطالب/الطالبة فرصة الاطلاع على المعاجم، والمصادر اللغوية، واللسانية من خلال المكتبات على مستوى كلية الآداب واللغات.؟

_ يجد الطالب صعوبة في تلقي الدروس في المقاييس اللسانية باللغة العربية.

_ هل يقوم الطالب بالبحوث العلمية في مجال اللسانيات وفروعها بشكل فردي حسب المقررات؟

_ هل يقدم الأستاذ أبحاث في ميدان اللسانيات للطلبة، كأفواج بحثية كلما اقتضت الحاجة ذلك.؟

وقد جاءت الإجابة عن السؤال الأول، بالمتغير (دائماً)، وهو ما يثبت أنّ الطالب يجد حقاً ضالته من مصادر، وكتب تدعم تحصيله للمعرفة اللغوية الخاصة بالمقاييس اللسانية. وهو ما يسهل عليه القيام بالبحوث وتنمية قدراته البحثية، والواقع أنّ هذا ليس معياراً ثابتاً، لأنّه قد يختلف من جامعة إلى أخرى حسب الإمكانيات المتوفرة.

أما السؤال المتعلق بتقديم الأستاذ البحوث للطلبة، وتقسيمهم إلى أفواج فكانت الإجابة بالمتغير (دائماً). وهذا عنصر مهم في منهج تعليمية اللغات، لأنه يمنح للطلبة آلية التحفيز -Stimulation، للحضور بحماسة إلى المحاضرة أو الدرس، ويجعلهم يتمتعون بالفائدة المعرفية دون عناء.

نجد أنّ الكثير من طلبتنا، في الواقع لا يمتلكون الحافز نحو التعلم، وفي هذا يشير الباحث حبيب بزودة من خلال دراسة له في هذا الشأن قائلاً: «إنّ المتعلمين ليست لديهم الإرادة التي تدفعهم إلى التلقي والتفاعل مع الدرس، بل إنّ معظمهم يتغيّبون عمداً عن المحاضرات، وفي إحصاء أجرته على طلبتي تبين أنّ 38.51% فقد موظّبون على الحضور و 57.03% يحضرون بصفة غير منتظمة، وهذا يرجع عادة إلى سببين رئيسيين:

1- أن يوجّه الطالب إلى الاختصاص اللغوي من دون إرادته... بفعل البرمجة الآلية لعملية التوجيه، فالكومبيوتر يعطي الأولوية لعلامات الطالب، حيث أنّ نسبة 21.73% من الذين أجبروا على دراسة تخصّص اللغة العربية بدون اختيار منهم.

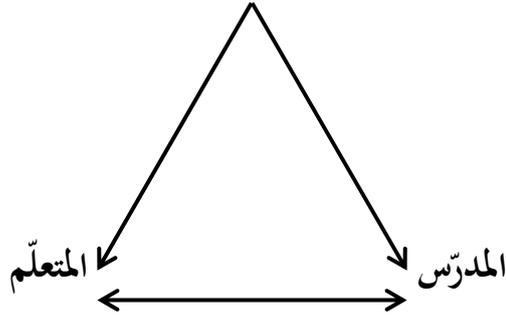
2- التأثير السلبي للمجتمع، من خلال التسليم بعدم جدوى الشهادات الجامعية اليوم.¹ وهذا من المشكلات المطروحة على مستوى التعليم العالي، نظراً لعدم وجود تخطيط مسبق يؤهل الطالب، لنيل الحياة العلمية والعملية.

¹ - حبيب بزودة، واقع الدرس اللساني في الجامعة وآليات تطويره، مقترحات عملية في علم الدلالة، جامعة معسكر، ص:

فهذه النسب تنم عن وجود خلل، في آليتي التأطير والتوجيه الأكاديمي*، مثلما أشرنا له في جانب التوجيه سابقاً، وهو من العوامل الحساسة، في عملية تبليغ المحتوى اللساني للمتعلم، وجعله «متمكناً لقواعد اللغة قادراً على تحليل تراكيبها البسيطة والمركبة بعيداً عن الأسس المعرفية.»¹ التي لا يحتاجها إلا بعد تخطيط، وتقييم مسبق تقوم به الجامعة.

حيث تنتج المعرفة، ويسهل التحصيل العلمي، بتشارك هذه المقومات، مثلما نرى ذلك في تقنيات ما يعرف في علم التربية بالتغذية الراجعة (Feedback)، ويمكن التمثيل لانتقال المعرفة التعليمية، بالمخطط الآتي²:

المعرفة (المادة التعليمية المرجحة)



- التخطيط - مواصفات ثقافية، منهجية، تواصلية، وجدانية

* - ونقصد بالتأطير: انعدام المعايير الديدانكتكية المشتركة مع المتعلمين، والحقيقة أننا نلمس لامبالاً في حضور الطلبة أو غيابهم وعدم انجذابهم لما يربطهم بالهيكل التعليمية داخل الجامعة، على الرغم من توفرها ورفقي خدماتها، إلا أنّ المشكل في رأيي يكمن أيضاً في الجانب الأنثروبولوجي النفسي، على مستوى التواصل والاتصال، والذي لا بد أن تبغّه الجامعة للمتعلم، بأسلوب من الترغيب والتحفيز، وهذا نظراً لاعتبارات كثيرة لعلّ من أهمها تأثيرات العولمة وتحدياتها على الأجيال العربية، وعليه لا بد أن تشتغل النخبة من المنظرين وأهل التربية، على هذا الأمر بجديّة في مختلف المؤتمرات والمحافل الدولية، التي تعقد العربي في الوطن.

¹ - صالح خديش، اللسانيات الملفوظية وتعليمية اللغة، مجلة منتدى الأستاذ، المؤسسة العليا للأساتذة، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر، ع1، 2005، ص: 70

² - عبد الكريم قريشي، مراكز التدريس الجيد، مجلة الأثر، ع/05، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2006م، ص: 256

وللإشارة فإننا نجد في كثير من الجامعات الوطنية غيابات بالجملة، وأحياناً تكون دون مبررات موضوعية، ما يدل على تقهقر وضعف في الإلتزامات الديدانكتيكية، المنصوص عليها في التدريس الجامعي، والتي ينبغي أن يطلع عليها الطالب، ويشرك في تعليماتها من حقوق وواجبات، مع الإدارة بصفة شفافة تلزمه بماله، وما عليه من بداية السنة، مع مراعاة مختلف الحالات الاستثنائية المخولة في قوانين التدريس، إضافة إلى ضرورة طرح بدائل عن الحصص الفائتة، والتي يفضل أن تستدرك بالاتصال إلكترونياً، بين الجامعة والطالب.

6_ مدى تفاعل طلبة اللسانيات مع اللغات الأجنبية:

جاءت عبارة السؤال كالاتي: هل ينسق الأستاذ جهود طلبة اللسانيات مع أساتذة اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية ...) وجاءت الإجابة بالمتغير (نادراً)، وهذا يثبت حجم الفراغ بين اللسانيات واللغات الأجنبية، رغم أنّ الطالب بحاجة إلى اكتساب رصيد لساني من مصطلحات ومفاهيم ينتهلها من اللغات الأجنبية، التي تعتبر المرجعية الأصل في البنية الإستمولوجية للسانيات كعلم غربي مستحدث.

وإن كانت المصطلحات والمفاهيم، المحررة والمترجمة والتي يجدها الطالب في المنهاج، لا يمكن أن تزوده بكل المبادئ والأبجديات، الخاصة باللسانيات من منظور تراثي عربي، «فليس بناء المناهج أمراً عرضياً ولا أمراً مستقلاً عن الرؤية التأهيلية ككل، فالمنهاج ترجمة متكاملة لرؤية (Vision) مترسخة في الواقع متطلعة إلى المستقبل.»¹، ومكونة لشخصية المتعلم، ليلج عالم البحث، دون أن تكون عائق أمامه، لأنّ انعدام التنسيق بين اللسانيات، واللغات الأجنبية يفقد البحث خصوصياته التقابلية البحتة.

¹ - جورج نحاس، تعليم اللغة العربية، من منظار معربي، العربية في لبنان، 1997، ص: 01

6-1 تدريس اللسانيات بين ازدواجية اللغة وتعدد المناهج:

تضمن السؤال عبارة (تمكن طالب اللسانيات من اللغات الحية كالإنجليزية)، فكانت الإجابة بالمتغير (نادراً)، والسبب في نظر البحث قد يرجع إلى ضعف الطالب، في اللغات الحية، أثناء مرحلة التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية، إضافة إلى نقص التكوين البيداغوجي المرافق للطالب بتعليمه اللغة الأجنبية، التي تمكنه من الانغماس في فهم المعرفة اللغوية.

وفي هذه المسألة يقول: «روي ليستر Roy Lyster أنّ الانغماس اللغوي وسيلة فعالة، تساعد المتعلمين على إتقان لغة ثانية، ضمن مجموعة متنوعة من السياقات.»¹ ويعلق حاج صالح على قضية تعلم اللغة الثانية، بقوله: "وحيد اللغة معاق"، ويقصد بذلك أنه لا يمكن الارتقاء، والتفتح على العلوم، بتعلم اللغة الأم وحدها.

ثم إنّ الوضع التربوي في تعليمية اللغات، حسب الاتجاه السائد (Main Stream) من دون تخطيط لإدماج الطلبة الذين لا يتكلمون لغة الأغلبية... ويختلف الانغماس اللغوي، باختلاف المنهاج (Curriculum)، المسطر للطلبة، وهو ما ينمي قدراتهم اللغوية في اكتشاف المهارات بين اللغة الأم، واللغة الأجنبية، والمقابلة بينهما.² وهذا يعدّ من العوامل المهمة، بالنسبة للطلبة الناطقين العربية وبغيرها، إن تمّ إعتاده كمنهج.

يتسنى ذلك من خلال اعتماد الطرق الإجرائية، وتشجيع الطلبة على استعمال اللغة الثانية ضمن المحيط الأكاديمي، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى استراتيجيات يؤطرها خبراء، كلٌّ حسب اختصاصه.

¹-Roy Lyster, grandes questions et options en pédagogie de l'immersion, Journal de l'immersion, L'association canadienne des professeurs d'immersion, Ottawa (Ontario), Vol 3,2009 :p

² - ينظر: فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، تر: خالد الأشهب وماجد ولين النهيي، مرا، ميشال زكرياء، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009م، ص: 881-882

وعلى النقيض من ذلك، فإننا نجد أنّ عدد كبيراً من طلبة الجامعات الغربية في تخصص اللغة العربية، لديهم شغف كبير لتعلمها وفهم علومها، رغم أنّهم غير ناطقين بها، حيث تشير دراسة أمريكية قامت بها جمعية اللغة الحديثة **MLA** * ، تصاعدت وتيرة إقبال الأمريكيين على تعلم لغة الضاد، إذ بلغ عدد المسجلين لدراسة اللغة العربية في المعاهد، والجامعات الأمريكية **35** ألف طالبا عام **2009** م، وهو تحول عميق وملحوظ حقق أعلى نسبة مئوية ما بين اللغات الأخرى، قدّرت بما يزيد عن **46%**، وهذا العدد من المسجلين لتعلم اللغة العربية لا يستهان به، إذا ما تمت مقارنته بعدد المسجلين عام **1998**م الذي وصل إلى **5500** طالبا، لينتقل عام **2002**م إلى الرقم **10** آلاف و**584** مسجلا، فتحتل بذلك اللغة العربية المرتبة الثامنة في الترتيب العام للغات الأكثر إقبالا عليها في المؤسسات العليا الأمريكية.² حسب معطيات جمعية اللغة الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية¹، وفي اعتقادي أنّ هذا الإقبال قد يرجع إلى قناعتهم، في أنّهم يعلمون يقيناً، أنّ العربية تتفوق على لغتهم الأم، لأنّها أصلاً لغة العلوم التي يدرسونها مترجمةً في أمهات كتبهم.

* - جمعية اللغة الحديثة الأمريكية، وغالباً ما يشار إليها باسم جمعية اللغات الحديثة (MLA) وهي جمعية مهنية في الولايات المتحدة لعلماء اللغة والأدب. يهدف MLA إلى "تعزيز دراسة وتدرّس اللغة والأدب". تضم المنظمة أكثر من 25000 عضو في 100 دولة، بشكل أساسي العلماء الأكاديميون، والأساتذة و الطلاب المتخرجين الذين يدرسون أو يدرسون اللغة والأدب، بما في ذلك اللغة الإنجليزية، واللغات الحديثة الأخرى، و الأدب المقارن. على الرغم من تأسيسها في الولايات المتحدة، ولها مكاتب في مدينة نيويورك، إلا أنّ عضوية MLA ومخاوفها وسعمتها وتأثيرها دولياً، يشمل نظام التوثيق. ينظر: موسوعة ويكيبيديا، وينظر: رابط موقع الجمعية:

<https://www.acls.org/societies/societies.aspx>

² - المصدر موقع اسلام ويب الرابط : <https://www.islamweb.net/ar/article/217630> تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2021/04/27

ومن المهم الإشارة إلى دور اللغة الأم في التعليم حتى أنه، ومن الناحية العلمية يتبين دورها في تلقي المعارف، واستيعابها بيسر، فحينما يقرأ العربي كتاباً بلغته الأم ينحصر مجهوده في فهم المعاني التي تنقلها العبارات، أمّا قراءته لكتاب أجنبي فإنّها تتطلب منه مجهوداً مزدوجاً في فهم المحتوى اللغوي؛ إذ عليه أن يفهم اللفظ والتراكيب، قبل أن يدخل في مرحلة استيعاب المعنى، و الأكيد أنه إذا فشل في المهمة الأولى فالنتيجة أنه يخرج بمعنى مغلوط أو لن يخرج بشيء.¹

أمّا إذا نظرنا في استراتيجيات التعليم في الجامعات الغربية، فإننا نجد أنّهم تنبّهوا إلى ضرورة إعادة تجديد أو فلنقل تحديث لمعلومات الطلبة والأساتذة، وركزوا على عاملي الخبرة والعصرنة في التدريس، واستخدام الوسائل التكنولوجية المساعدة، في مهمّة تدريس اللغات، والعلوم المختلفة وهذا بتبني منهج التعليم التشاركي، الذي تساهم فيه كل أطراف العمل التعليمي - التعلّمي، والتعليم المدمج والإلكتروني وغيرها من أصناف التعلم، وفق معايير مدروسة مسبقاً.²

كالتخطيط، والتوجه، والتعريب، والتحديث، وهي مفاهيم لازالت حبيسة الإطار النظري في الغالب، وتحتاج إلى تجسيد فعلي وقرارات حاسمة، وإجماع علمي.

7- معوقات تدريس المقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية:

من خلال ما سبق من تحليل لنتائج الاستبيان، كما رأينا ندرك أنّ تعليم اللسانيات بفروعها، وتعليم اللغة العربية بعلومها، يعيش واقعاً مؤلماً وتحدياً يحتاج منا، إعادة النظر في كثير من مسائل التدريس بأطواره المعروفة، وهذا يعدّ عملاً جباراً يحتاج إلى تكاتف كل الأطراف الفاعلة، والهيئات

¹ - ينظر: عادل أحمد جرار: تعريب العلوم، دار الضياء، عمان، ط1، 1425هـ، 2004م، ص: 104

² - ينظر: تركي رابح، دور التربية في التنمية الوطنية، تجربة الجزائر في تكوين المكونين للمنظومة التربوية، مجلة الفيصل،

عدد118، ديسمبر1986، ص: 57

الرسمية، فلا يمكن أن يلقي اللوم على الفئة المنظّرة من أساتذة وباحثين، وتناسي باقي الأطراف المؤثرة في المجتمع التعليمي.

لا ينفى على أحد حجم التغيير الذي طرأ على العالم، في وقتنا الراهن جراء الأوبئة والأزمات، التي نعيش أصعبها (الكورونا)، وقد مسّ هذا التغيير كلّ المجالات الحياتية*، وهو ما أدى بالمجتمع العالمي إلى التحرك، وتذكرنا «الجهود الهائلة المبذولة في وقت قصير للتصدي للصدمات التي تعرضت لها نظم التعليم، بأنّ التغيير ممكن وبنبغي لنا اغتنام الفرصة لإيجاد سبل جديدة لمعالجة أزمة التعلّم.»² وهذا ما ينطبق على التعليم العالي في بلادنا.

وفي اعتقادي أنّ تدريس اللسانيات، يجعلنا ندرك يقيناً أنّ بعض المجالات المعرفية التي تقدّم للطلبة على أنّها فروع للسانيات، كالصّوتيات، وعلم الدلالة، إنّما يتم التعرف عليها في نفس السنة الجامعية التي يتعرف فيها على اللسانيات في حين أنّها، لا بد أن تسبق المعرفة اللسانية، حتى يتلقى الطالب مادة اللسانيات وهو على اطلاع بكلّ الميادين العلمية، التي تدرس بعمق كل مستوى من مستويات اللغة.

فالصّوتيات-La Phonétique، والتي تدرّس أصغر وحدة مكونة للغة، وعلم الصرف-

La Morphologie المنوط ببنية مفردات اللغة، ونظام وضعها، والمعجمية

-La lexicographie التي تدرس مفردات اللغة، حال تعبئتها بالدلالات، وعلم النحو

* - وقد أوجدت جائحة الكوفيد-19 أكبر انقطاع في نظم التعليم على مر التاريخ، وهو ما تضرّر منه 190 بليون من طالبي العلم في أكثر من 190 بلداً، وفي جميع القارات. وأثّرت عملية الإغلاق على 94% في المائة من البلدان المنخفضة الدخل والبلدان المتوسطة الدخل من الشريحة الدنيا. للتفصيل أكثر ينظر: 01، رابط الموقع الإلكتروني: https://www.un.org/sites/un2.un.org/files/policy_brief-education_during_covid-19_and_beyond_arabic.pdf

تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2021/05/11

² - موجز سياساتي: التعليم أثناء جائحة كوفيد-19 وما بعدها، الأمم المتحدة، 08 أوت 2020م، ص: 03

والتراكيب- Le grammaire- et la syntaxe، والذي يعني بجانب المعنى والتصورات المرتبطة باللغة.¹

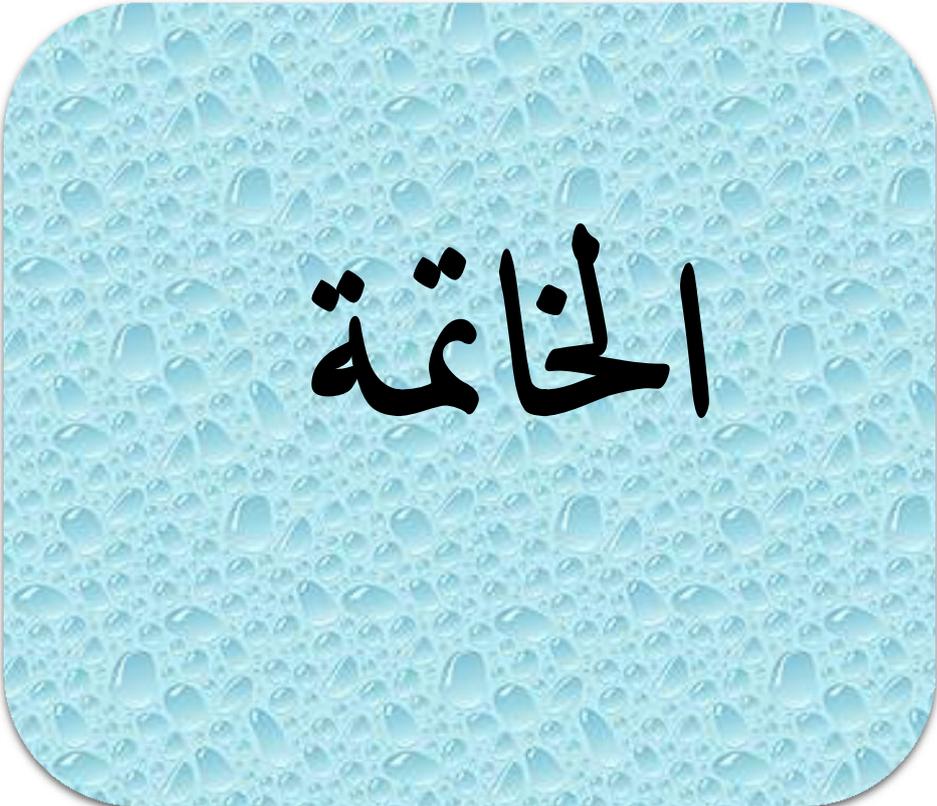
فهذا يعدُّ تحدياً يفرض علينا مواجهته، على المستويين التّنظيري والإجرائي، فتشعب المقاييس وتداخل مضامينها يشتت فكر الطالب، وينقّره من اللّسانيات بنوع من السلبية التي تبقى في ذهنه، رغم أنّ هذا العلم قد توسع، واختلط أكثر مع علوم الحاسوب والمعالجة الآلية والذكاء الاصطناعي وغيرها، من المشاريع التي أشرنا لها سابقاً، وقد تجسدت في مشاريع تطوير اللغة العربية التي قام بها عبد الرحمان حاج صالح.

من وجهة نظر البحث، لا بد من حلول مستعجلة لهذه المعوقات، تكون نتيجة دراسات جدّية، من خلال المقترحات الآتية:

- 1- إعادة النظر في المنهج والمنهاج كما أشرنا، وذلك بإجماع وتعاون مشترك بين كل الفاعلين في ميدان التعليم، واللغة وغيرهم.
- 2- ضرورة استكمال المشاريع التي بذلها الحاج صالح رحمه الله، خاصة ونحن نعلم مدى إفادتها لميدان تعليم اللغة واللّسانيات.
- 3- ضرورة تحديث التخصصات اللّسانية، ذات التوجه العلمي، كاللّسانيات الحاسوبية، والعصبية وغيرها ونقلها من الإطار النظري إلى الإطار العملي، حتى يتمكن الطالب والباحث والإستاذ من تطوير قدراته وفهم مخرجات عمله التعليمي.

¹ - علي منصور، عقبات تدريس اللّسانيات في الوسط الجامعي، ص: 90

ملاك القول فيما سبق من نقاش وتحليل، لمضامين هذا الفصل الختامي من البحث، أنّ مستقبل تعليمية العربية، واللّسانيات بمقاييسها مرهون بالعمل المشترك، المنوط بمختلف الهيئات التعليمية، من أساتذة ومنظرين وخبراء وأصحاب القرار في الهيئات الوزارية، من أجل تحديث العلوم العربية، والرقى بها إلى مصاف التعليم المتطور، مثلما هو الحال في الدول الغربية، فلا يمكن للتعليم أن يتطور بدون أن تكون هناك استراتيجيات، علمية ومناهج مدروسة ومنظّر لها بعناية، تحترم المتعلم وحاجياته، وتراعي كلّ المتغيرات التي يحتاجها الأستاذ، فالهياكل الموجودة حالياً في الجامعة، وعلى الرغم من كثرتها إلاّ أنّها تبقى دون جدوى، لأنّها تحتاج إلى عمل تشاركي، ونحن نعلم أنّ التطور اللغوي، بات هو المتحكم في زمام التكنولوجيات الحديثة، ولافائدة لهذه العلوم التي نراها مالم تكن لديها قوة لغوية متطورة ومحدّثة، وهذا بالضبط ما تحتاجه العربية، في ظل مزاحمة اللغات العالمية لها



الخاتمة

الخاتمة:

تناول البحث من خلال ما سلف، قضايا مهمّة من قضايا الفكر اللغوي، ضمن حدود الدرس اللساني الغربي، ومقوماته، التي ضلت ولا تزال مرجعيات، لا يمكن الاستغناء عنها، في المعتقد العام، الذي رسخته النظريات اللسانية الغربية، بعد أن انتقلت من إطارها التّظري الكلاسيكي إلى إطار الطابع والمنهج العلميين، على يد دوسوسير وأتباعه.

إضافة إلى الذين تبنا وأسّسوا للفكر الوصفي، كما رأينا وعملوا على معالجة اللغة، وفق مصطلح البنية بعيداً عن ظواهرها الاجتماعية، والثقافية، والقومية، وقد ترك هذا تأثيراً بالغاً على الثقافة العربية آنذاك، من حيث التوجه البحثي في الدراسات اللغوية العربية، التي كانت و لا تزال تعاني من التبعية الفكرية والعلمية للمناهج الغربية، التي هي سبب محتتها، وركود إنتاجها العلمي.

كما تحدثنا أيضاً عن طبيعة الفكر وعلاقته باللسان، من عدّة جوانب نظرية، وفكرية، وحاول البحث التركيز على مبتغى تنظير الفكر اللساني، الذي عمل عليه عبد الرحمان حاج صالح، فيما تعلق بالتنقيب في التراث، والموروث، بمنهج علمي لا يحدد عن أهداف البحث العلمي، بأدواته العصرية، ومناهجه التي بصمت لها الوصفية، والتوزيعية، والتوليدية، والوظيفية، وغيرها من المناهج المستحدثة.

فكان منهجه مغايراً، ومنفرداً لكونه لم يتبنى تلك المرجعيات الغربية، وإتّما سعى إلى استغلال ما فيها من أفكار علمية، وأدوات لمعالجة التراث، وهذا في الحقيقة جعله أكثر عرضة للنقد، من أولئك الذين آمنوا بالمناهج اللسانية الغربية، أكثر من إيمانهم بالتراث العربي وأصالته.

ومن أجل ذلك فقد خاض البحث نقاشاً، وتحليلاً في المشكلات الفكرية، للسانيات العربية باتجاهاتها، وتوجهاتها التي عرضنا لها، والواقع أنّها لم ترقى في خمسينيات القرن العشرين، إلى مستوى التّظير والإنتاج النظري إن جاز القول؛ إلاّ بعد أن ولدت محاولات وتجارب، دأب عليها أصحاب

لسانيات التراث من أمثال السامرائي و نهاد الموسى والحاج صالح وصفوة مّن، اتجهوا إلى ضرورة إعادة النظر في الموروث، دون إغفال الجوانب الإيجابية، التي تم تلقيها من اللسانيات الغربية.

ومن باب الإنصاف العلمي، لا بد من القول إنّ منهج حاج صالح، لم يكن تنظيرياً للمقومات والأسس فحسب؛ بل إنّ المتتبع لأعماله يجده يركز في تناوله للتراث كما ورد في البحث، على منهج تقاربي- تماثلي، والشاهد على هذا أنّه عندما يحلّل آراء اللغويين العرب، مّن محص وتعمق في مصنّفاتهم، كالخليل، وسيبويه كان هدفه استظهار ما يماثل، أو يفوق نظريات دي سوسير وتشومسكي، وهاريس، وغيرهم، حتى أنّنا نراه يستخرج الأفكار الحديثة، بمضامينها ويمثّل لها في فكر سيبويه، أو الخليل تمثيلاً يستند إلى منطق، وتحليلاً ييسط للقارئ، والباحث المعرفة اللغوية الأصيلة، القابلة لمسايرة الحداثة.

وعلى الرغم من تداخل النقاش، حول المسائل اللسانية، فقد حاول البحث تقريب الفهم، من تلك المسائل، واستحضار ما يمكن من دراسات عربية، وغربية، بالأخص ما تعلق بمقصديه الموازنة إن جاز القول، بين تراثنا العربي والتراث الغربي، وهذا يحتاج إلى جهود مستديمة، أرادها حاج صالح أن تكون، بمثابة الصحوّة، والدعوة، في الثقافة اللسانية العربية، التي عانت من سلبات المرجعية الغربية، بكل تبعاتها الفكرية، والحضارية، واللغوية.

يتجلى هذا في استقراء البحث لنظريات دي سوسير الوصفية، من حيث المنهج، والرؤية، قياساً مع تراثنا، حين نجد سيبويه يسقط آراءه النحوية، ويقعد لها ببراعة، تفوق نتائج ما نراه في البنيوية والتوليدية والوظيفية، من مصطلحات، ومفاهيم عميقة سبقت عصر الفكر اللساني الغربي الحديث بقرون، وهذا هو المسعى الذي دأب على تحقيقه حاج صالح، في سبيل إحياء التراث، وإخراجه من بوتقة الفهم المعتم، إلى التنظير العلمي المحكم، تطويراً، و ارتقاءً بالعربية.

يتسنى للباحث تلمس هذه الحقائق من خلال ما عرضنا من جهود للحاج صالح، تمثلت في نظريته الخليلية الحديثة، ومشروع الذخيرة العربية، وغيره من المشاريع التي لم تستكمل، وقد وقف البحث في ضمنياته، ملحاً على مطلب تبني هذه الجهود، وضرورة دعمها على الصعيد العلمي و الإجمالي.

وعلى العموم فإنّ البحث قد سعى، للخروج بنتائج موضوعية تتعلق بعلاقة اللسانيات كعلم غربي حديث، بالفكر التعليمي- التعلّمي، من خلال التعرض لعدد المراحل التي برزت فيها اللسانيات التربوية، وطبيعة العلاقة بين اللغة، والتعليم على المستوى العالي، من خلال ما تم التطرق إليه من المسائل الجوهرية، المتعلقة بتدريس اللغة العربية، في ضوء ما تلمسه البحث، من جوانب علمية في مشروع الذخيرة، واللسانيات الحاسوبية، وأيضاً من خلال النتائج المتقاربة المستنبطة من الاستبيان.

حيث ارتأينا توجيهها علمياً؛ لأن تكون نموذجاً تبني عليه الاقتراحات والبدايل، التي توصل إليها البحث، في أهم ما تعلق بمشكلات تدريس المقاييس اللسانية، وقضايا المنهج، والطرائق والمشكلات التربوية... وغيرها، ممّا يشغل فكر المنظرين، والباحثين العرب في الوقت الراهن.

لذا يمكن سرد نتائج البحث لقصد الإفادة، والاستزادة بما يثري أهدافه وتطلعاته المستقبلية، ودعمه لتطوير مستوى تعليم اللغة العربية، وعلومها اللسانية على مستوى الجامعة الجزائرية، كأ نموذج عربي له من المقومات ما يؤهله لأن يكون قدوةً، يحتذى بها على صعيد الوطن العربي ككل، وصيغت هذه النتائج في النقاط، الآتية:

1- إنّ تنظير الفكر اللساني المعاصر، لا يعني البتة إنكار كلّ ما جاء فيه، أو دحض نظرياته؛ بقدر ما هو إعادة تخطيط استراتيجي، يسهم في أخذ ما يتناسب مع مقومات فكرنا اللغوي والتراثي.

- 2- ضرورة تغيير ذهنيات التحري والتنقيب، لدى الباحثين أثناء تعاملهم مع التراث، وفق المصوغات التي ارتأها حاج صالح، ومن انتهج نهجه.
- 3- توسيع مجال البحث اللساني، وأجراً فروعاً، وتفعيل دور طالب اللسانيات بمختلف مقاييسها، من خلال إشراكه في الفعاليات البحثية داخل الجامعة، واستثمار الوسائل التكنولوجية، في تنسيق علوم اللغة العربية، منهجاً، وتطبيقاً.
- 4- ضرورة القيام بضبط معايير الانتقاء والتوجيه، داخل المؤسسات الجامعية، وتحديد ميادين شعبة اللسانيات، والعلوم اللغوية، وفق مؤهلات الطلبة.
- 5- تحفيز طلبة اللسانيات على القيام بالبحوث، بالتنسيق مع مخبر البحث خاصةً من الطلبة الذين اختاروا التخصص في اللسانيات الحاسوبية، والمعالجة الآلية للغة.
- 6- تكوين فرق بحث تكون مهمتها دراسة المصطلح اللساني، وما يمكن أن يمثله من مفاهيم تعزّز دور اللغة العربية، في توليد المصطلحات، وتخلصها من مشاكل التلقي، وسوء التوظيف.
- 7- ضرورة إعادة النظر في المنهاج اللغوي والتعليمي، وتصنيفه حسب مرجعيات التراث العربي، وضبط معاييرها بما يتناسب، وحاجات أقسام اللسانيات، والماستر، وهذا يتحقق من خلال تقليص حجم المقاييس، وتوحيدها حتى لا يقع الطالب في خلط بينها، وبين العلوم اللغوية الأخرى، خاصة في السنوات الثلاث الأولى.

8- وضع استراتيجيات تعليم هادفة، تشمل التعليم الإلكتروني، والتشاركي والمدمج في تدريس اللغة العربية، واللسانيات، وغيرها من الفروع التطبيقية.

ختاماً كانت هذه بعضاً من النتائج، التي استطاع البحث الوقوف عليها قدر الإمكان، مع استظهار لأهم المواقف، والرؤى الناجحة التي يمكن للفكر اللساني العربي، بمناهجه الحديثة أن يستفيد من نتائج نظريتها، وقد عرض البحث أهم خصائص هذا المسعى في تجارب، وجهود عبد الرحمان الحاج صالح، التي تعدُّ بحق من أهم الأعمال في ميدان ترقية اللسانيات العربية، على الصعيد العربي والعالمي، بالأخص مع تعرضنا لمناقشته فيما تعلق بتدريس اللغة العربية، وتعليمية اللغات، واللسانيات على مستوى الجامعة العربية، من قراءة للواقع بمشكلاته، وتطلع للمستقبل بدائله، واستراتيجياته، التي تبقى مجالاً مفتوحاً للباحثين العرب، نحو تكتيف جهودهم في تحقيق أهداف هذا الفكر المستقبلية.

ونأمل من خلال هذا البحث، أن نكون قد بلغنا مسعاه، ولو بالقدر المتواضع اليسير، بما يخدم الطرح المعرفي لمختلف جوانب الموضوع، ولا أدعي الإتيان بما يذهل الألباب، ولا الكمال في تخريج أفكار هذا البحث، بقدر ما أبحث عن سبيل يجعلني أستهدي به لاكتشاف كلِّ ما جدَّ، واستجدَّ في هذا الميدان، الذي كان لنا شرف الدخول في غماره، والتخصُّص مستقبلاً في مجالاته، وكلِّي طموحٌ في أن يكون هذا البحث، مساهمة ترشد الباحثين لنيل مبتغاهم في ترقية، وتطوير اللغة العربية وعلومها، والله من وراء القصد.

الملاحق

ثبت المصطلحات

الواردة في الأطروحة

- ثبت المصطلحات الواردة في الأطروحة:

-المصطلح باللغة الإنجليزية	-المصطلح باللغة العربية
- Onomatopoeia	- أنوماتوبيا
- speech-Language pathology	- أمراض الكلام
- Primitive	- أولية
- projection objective	- اسقاط الموضوعي
- Compétence Performance	- مبدأ الكفاءة اللغوية الأداء الكلامي
- Deductive	- استنتاجي
- Inductive	- استقرائي
- voyelles	- أصوات
- Projection	- اسقاط
- Main Stream	- الاتجاه السائد
- structure	- بنية
- Surface structure	- البنية السطحية
- Deep structure	- البنية العميقة

- Linguistic planning	- تخطيط لغوي
- Symmetry	- تماثل
- theorizing	- تّظير
- Incompatibility	- تطابق -تلاؤم
- Language- Didactics	- تعليم اللغة
- Abstraction	- التجريد
- Language correction	- التصحيح اللغوي
- Généralisation	- التعميم
- Receiving	- التلقي
- Authoring	- التأليف
- Stimulation	- التحفيز
- Coding	- الترميز
- Linguistic communication	- التخاطب اللغوي
- Machine translation	- الترجمة الآلية
- Modernity	- الحداثة
- linguistic studies	- دراسات اللغوية
- Didactics	- ديداكتيك تعليم المادة
- Significes	- الدوال
- The signifier and -the signified	- الدال والمدلول

- Idiographic	- دقيقة
- Artificial intelligence	- الذكاء الاصطناعي
- Linguistic repertoire	- الذخيرة اللغوية
- Fricative- Continuant	- رخو
- Vision	- رؤية
- ALgorethm	- الرياضية الخوارزمية
- Sociological	- سوسولوجي
- Sanskrit	- سنسكريتية
- Context	- السّياق

- General conceptual context	- السّياق العام
- Plosive- Stop	- شديد
- forme	- صورة
- Language industry	- صناعة اللغات
- Vowel Sounds	- الصوائت
- Cortex	- الطبقة السنجابية
- philological -sciences	- علوم اللغوية

- Acoustics	- علم الصّوتيات
- Social sciences	- علم الاجتماع
- Educational linguistics	- علم اللغة التعليمي
- Linguistics	- علم اللّسان
- Sémiologie	- علم الدلالة
- Phonetics	- علم الأصوات
- Syntagmatic relations	- العلاقات الأفقية
- based-thesis	- الفرض المبني
- Philology	- الفيلولوجيا
- Comparative philology	- الفيلولوجيا المقارنة
- aphasia	- الكلام بالحُبسة
- Written or spoken	- الكتابة أو اللفظ
- Corpus Linguistics	- لسانيات الذخيرة
- Linguistics of speech	- لسانيات الخطاب
- Linguistic	- لسانيات
- Historical Linguistics	- اللّسانيات التاريخية -
- Evolutionary Linguistics	- اللّسانيات التطورية
- comparative linguistic	- اللّسانيات المقارنة
- Forensic linguistics	- اللّسانيات الجنائية
- Langue	- اللّسان
- Homonymy	- اللفظي

- Educational linguistics	- اللسانيات التربوية
- Theorems	- القضايا المبرهنة
- Flexible language	- لغة لينة
- substance	- ليس بمادة
- Surface Structure	- مبدأ البنية السطحية
- Amalogiste	- مدرسة القياسيين أو النظريين
- Amomalistes	- مدرسة الوضعيين
Polyglot	- متعدّد الألسن
- voiced	- مجهور
- Respective	- معيارية
- Rolled- Trilled	- مكرر
- Unvoiced -Voiceless	- مهموس
- Functionel- Equivalents	- مكافئات وظيفية
- Cohérence	- متناسقة
- Problem Solving Skills	- مهارات حل المشكلة
- Thinking Skills	- مهارات التفكير
- Learning to learn Skills	- مهارات التعلم
- Etymological curriculum	- المنهج التأثيلي
- Didactic Triangle	- المثلث اليداكتيكي
- Computer processors	- المعالجات الحاسوبية
- Scolastiques	- المدرسيون

- Language ability	- الملكة اللغوية
- Universals	- المشترك
- Meaning	- المعنى
- Morphème	- المورفيم
- Curriculum	- المنهاج
- user	- المستعمل
- Linguistic evidence theory	- نظرية للدليل اللغوي
- Métathéorie	- نظرية ثنائية
- Allin one System	- نظرية الوحدة
- The theory of arrêt	- نظرية التوقيف
- Simulation theory	- نظرية المحاكاة
- Agreement, Convention Theory	- نظرية المواضعة والاصطلاح
- Linguistics theory	- نظرية لغوية
- The theory of linguistic communication	- نظرية التواصل اللغوي
- System	- نظام
- Neo grammarian	- النحاة المحدثين
- the theory	- النظرية

- Whiper	- همس
-Linguistics description	- وصف لغوي

الاستبيان



Researcher's name: Sahli Djelloul

اسم الباحث: سهلي جلول

مؤسسة الانتماء: كلية الآداب واللغات-جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان-

باحث دكتوراه: سنة رابعة تخصص لسانيات وتعليمية اللغة

مخبر: تحليلية إحصائية في العلوم الإنسانية وإنجاز معجم موحد لها على مقاييس علمية.

البريد الإلكتروني: Sahli.djelloul2017@gmail.com

djelloul.sahli@univ-tlemcen.dz

رقم الهاتف: 0668994331

إستبيان تقيمي لمدى تعليمية مقياس اللسانيات وفروعها داخل الجامعة الجزائرية

Evaluation questionnaire on the educational level of the

linguistics scale and its branches within the Algerian University

ملاحظة: (هذا الاستبيان موجه للأساتذة المتخصصين في المقاييس اللسانية، بالإضافة إلى رئيس الميدان في قسم اللغة والأدب

العربي، للجامعة)

- تهدف هذه الاستبانة إلى معرفة مدى تعليم وتعلم اللسانيات ومقاييسها في جامعة (غرداية). نأمل أن تال هذه الاستبانة اهتمامكم الكافي واستجابتكم السريعة، علماً بأن البيانات التي سنحصل عليها موجهة لأغراض تطوير البحث اللساني العلمي ضمن مشروع تحضير أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ "تنظير الفكر اللساني المعاصر وإسقاطه على الفكر التعليمي- التطبيقي" جهود عبد الرحمان حاج صالح أتمونجاً، بجامعة: أبي بكر بلقايد- تلمسان- بإشراف أ.د. :خالدي هشام، لذلك سنحاول من خلال هذا الاستبيان الإجابة على عدة أسئلة تقييمية ومنهجية قصد الوصول إلى كشف الثغرات واليجابيات الخاصة بالتدريس وتحديد درجة قابلية الطلبة، والأساتذة في التعامل مع اللسانيات وتعليماتها، إضافة إلى تحقيق الوصول للمعايير المثالية لهذا الطرح على المستوى الإستمولوجي والأكاديمي، وفق جهود العلامة عبد الرحمان حاج صالح، التي بذلها في مجال تطوير تعليمية المقاييس اللسانية.

فهرس الأآآ القرانآة

والأأادآ الشرفة

- أولاً فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	الآية القرآنية
19	قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ (الآية 26- سورة فصلت).
20	قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِغَوِّ مُعْرِضُونَ ﴾
21	قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتَلَفُ الْأَسْتِكْمَ وَاللُّونَكُمَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الآية: 22 سورة: الروم).
35	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الآية 04- سورة إبراهيم)
36	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (سورة البقرة- الآية 31)
47	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (سورة الأعراف - الآية 14)
54	وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (الآية 16- سورة الحجر)

54	قوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (الآية 36 - سورة النساء).
57	﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الآية 100 - سورة يوسف)
87	﴿فَأَقْذَفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلَيْلِقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ (سورة طه: الآية 39)
88	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (سورة المدثر: الآية 74)
152	قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (سورة الزمر - الآية: 73)
199	﴿إِلرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (2)﴾ (سورة الرحمن - الآية 1-3)
212	قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم - الآية 04)
الصفحة	الأحاديث الشريفة
20	سيدنا مُحَمَّدٌ ﷺ: ((إذا قلت لصاحبك أنصت، والإمامُ يخطُبُ فقد لغوت))



فهرس الشواهد الشعرية

- الشواهد الشعرية:

- حرف الراء: ص: 46

- القائل: بن سيار الفزاري

وما جئت حتى أياسَ الناس أن تجيء *** فسميت منظوراً وجئت على قدرٍ

كن كالمسؤول إذا طاف الهمام به ** في جحفل كسواد الليل جرّار

- حرف الميم: ص: 54

- القائل: يزيد بن الحكم الثقفي

يا بدراً والأمثال يضربها ❖ ❖ لذي اللب الحكيم

دُم للخليل بـوده ❖ ❖ ما خير ودّ لا يدوم

واعرف لجارك حقه ❖ ❖ والحق يعرفه الكريم

واعلم بأنّ الضيف يوما ❖ ❖ سوف يحمداً أو يدوم

- حرف الميم: ص: 95

- القائل: ابن هشام الأنصاري

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذ *** إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما

وربما نصبوا للحال بعد إذا *** وربما رفعوا من بعدها ربما

فإن توالى ضميران اكتسى بهما *** وجه الحقيقة من إشكاله غما

لذالك أعيت على الأفهام مسألة *** أهدت إلى سيويه الحنف والعما

قد كانت العقرب العوجاء أحسبها *** قدما أشد من الزنبور وقع حُما

حرف الهمزة:.....ص:138

- القائل: منظومة المعافري وقد نقلاً عن السيوطي في كتاب المزهر

ياسائلي عن حروف العين دونكما ❖ في رتبة ضمها وزن وإحصاء

العين والحاء تم الهاء والخاء ❖ والغين والقاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ❖ صاد وسين وزاي بعدها طاء

والتدال والتاء ثم الطاء متصل ❖ بالطاء ذال وتاء قاف بعدها راء

واللام والنون ثم الفاء والبهاء ❖ والميم والواو والمهموز والياء



قائمة المصادر والمراجع

- قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1-القرءان الكريم برواية (ورش عن نافع)

- 1- أبو خلدون ساطع الحصري، اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985
- 2- أبي هلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1980، ص: 175
- 3- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، صدر سنة: 1403هـ/1983م
- 4- إبراهيم بسيوني عميرة، المنهج وعناصره، ط3، دار المعارف، الاسكندرية 1991
- 5- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الدكتور مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 2010
- 6- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، 2012
- 7- أبو العباس مُجَّد بن يزيد المبرِّد، المقتضب، تحقيق: مُجَّد عبد الخالق عزيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1994
- 8- أبي القاسم الزجاجي (ت338هـ): الإيضاح في علل النَّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، ط3/ 1979
- 9- أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح، عبد السلام مُجَّد هارون المجلد الأول، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (دس)، ص: 24
- 10- أنيس فريجة، نظريات في اللغة، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1981
- 11- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009

- 12- أبو بكر بن مُحمَّد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: أبو الفضل مُحمَّد بن إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، (د س ن)
- 13- ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1969-1971م
- 14- ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1969-1971م
- 15- ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال (الجاهليات)، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، المجلد/1، (د س ن)
- 16- إبراهيم يوسف السيد، أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة، الرياض جامعة الملك سعود . عمادة شؤون المكتبات 1975
- 17- بهنساوي، حسام. أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي
- 18- الحديث في مجالي: مفهوم اللغة والدراسات النحوية، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 1994
- 19- بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2007.
- 20- توفيق مُحمَّد شاهين، المشترك اللغوي نظريةً وتطبيقاً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1980
- 21- تمام حسان، الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982
- 22- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2006م
- 23- تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، 2000م
- 24- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، المجلد/1، 1990

- 25- جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 2005
- 26- جورج نحاس، تعليم اللغة العربية، من منظار معرفي، العربية في لبنان، 1997
- 27- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط3، 2009م
- 28- ابن جني، الفسر شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي الكبير، حققه: د. رضا رجب، دار الينايع للطباعة والنشر، ط1، دمشق 2004،
- 29- ابن جني، الخصائص، ج/1
- 30- ابن جني تفسير أرجوزة أبي نواس، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، 1952
- 31- ابن جني، الخصائص: تحقيق مُجَّد علي النجار، طبعة عالم الكتب، بيروت. المجلد:1/ ص: 33
- 32- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظرات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994م
- 33- حاتم علو الطائي، نشأة اللغة وأهميتها، مجلة دراسات تربوية، مركز البحوث والدراسات التربوية، العدد 06، نيسان 2009
- 34- حاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، (دون ط)، 2007
- حاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء1، موفم للنشر، الجزائر 2012
- 35- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، المجلد/1، 1988
- 36- حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009
- 37- حمزة المريني، مرجعات لسانية، كتاب الرياض، ع75، فبراير، ج2/2000م

- 38- حسام سعيد النعيمي، اصوات العربية بين التحول والثبات ، سلسلة بيت الحكمة، دار الكتب للطباعة والنشر، 1989
- 39- حنان مصباح، طرائق تدريس اللسانيات باللغة العربية، (قراءة في التمثلات)، سلسلة رسالة الباحث الدولية. (د ت ن)
- 40- حبيب بزودة، واقع الدرس اللساني في الجامعة وآليات تطويره، مقترحات عملية في علم الدلالة، جامعة معسكر، (د ت ن)
- 41- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، 1/32
- 42- أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية- ، عارضه بأصوله وعلّق عليه حسين الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط 1 ج، 1994
- 43- خليل أحمد العمارة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي (بحث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)، ط 1، وائل للنشر والتوزيع، عمّان الأردن 2004
- 44- خديجة الحديثي، المدارس النحوية، مكتبة اللغة العربية، دار الأمل بغداد، إربد، الأردن، ط 3، 2001
- 45- خالد الأزهري، التصريح على التوضيح، مطبعة الرجحي، 2001 1320 هـ
- 46- ابن خلكان: وفيات الأعيان 2/246.
- 47- ابن خلدون، المقدمة تحقيق: درويش الجودي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2002
- 48- دراسات في فقه اللغة، (بدون مؤلف)، ط 3، بيروت 1986
- 49- دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلي، دار أفاق عربية، 1984
- 50- ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ج 1، 1972
- 51- رشيد عبد الرحمن العبيدي، البحث اللغوي وصلته بالبنوية في اللسانيات (12) ضمن مجلة آداب المستنصرية، ع-1985م

- 52- رحاب خضر عكاوي: الخليل ابن أحمد الفراهيدي البصري، صانع التحو وواضع العروض، سلسلة أعلام الفكر العربي، مجلد/01، 2002
- 53- الزمخشري، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م
- 54- سيف الدين الأمدي، الاحكام في أصول الأحكام، ج1، مصر 1941
- 55- سميح أبو مغلي: في فقه اللغة العربية وقضايا العربية، عمان دار مجدلاوي، 1987
- 56- سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريف: صالح القرماذي ومُحمَّد الشاوش ومُحمَّد عجينة،الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1985
- 57- سعد فاهم، قراءة في الإسهامات اللسانية الحاسوبية العربية، آفاق ورهانات، جامعة مولود معمري، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد36 سبتمبر 2015
- 58- السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه، مُحمَّد أحمد جاد المولى بك، وأحمد أبو الفضل إبراهيم، علي مُحمَّد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة ج1، 2008
- 59- السيرافي، شرح الكتاب، تحقيق: رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ج2، 1986م
- 60- السيرافي، أخبار التحويين البصريين، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955
- 61- صالح بلعيد، الخليل ابن أحمد عبقرى العرب، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد الأول، 2006
- 62- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، ط، 2004
- 63- صالح خديش، اللسانيات الملفوظية وتعليمية اللغة، مجلة منتدى الأستاذ، المؤسسة العليا للأساتذة، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر، ع1، 2005
- 64- طريف الخالدي، بحث في التأريخ ومنهجه، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1989م
- 65- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 2008

- 66- عبد الحرمان حاج صالح، السّماع اللّغوي عند العرب، ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر 2012.
- 67- علي النجدي صالح، سيبويه إمام التّحاة، مطبعة عالم الكتب القاهرة، ط2، تم رفعها بتاريخ 02-12-2009
- 68- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار النهضة بيروت، سنة الطبع: 2004م
- 69- عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنّشر - الجزائر، 2012
- 70- عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م
- 71- عبد السلام المسدي، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1986
- 72- عبد السلام المسدي، اللّسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنّشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
- 73- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللّسانيات، ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2010
- 74- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النّحو العربي، مكتبة هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، المجلد/1، 2001
- 75- عبد السلام المسدي، المعرفة اللغوية وأثرها في مقاييس الإختبار اللغوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط-سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 1994.31
- 76- عبد القادر الفاسي الفهري اللّسانيات واللغة العربية، (نماذج تركيبية دلالية)، دار توبقال للنشر، سلسلة المعرفة اللّسانية، أبحاث ونماذج، ط2، 1988، ط3، 1993

- 77- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسان العربي الجامع بين التماسك والتنوع والتعدد،
جامعة مُجَّد الخامس المغرب، (ب ت ن)
- 78- علي سامي التّشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار الفكر العربي،
القاهرة 1947
- 79- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، عالم المعرفة؛ الكويت، 2001
- 80- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار النهضة العربية، سنة الطبع
2004م
- 81- عبد الجليل مرتاض، في مناهج البحث اللغوي، دار النهضة للنشر، الجزائر،
2003م
- 82- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان
الأردن، ط1، 2002م
- 83- عبد الغفار حامد هلال، العربية وخصائصها وسماتها، مكتبة وهبة القاهرة،
ط05، 2004
- 84- عبد العزيز شرف، المستويات اللغوية في الاتصال الإعلامي، المجلة العربية
للمعلومات، العدد الثالث- القاهرة 1979
- 85- عبد الرحمان طعمة، التطور اللغوي من منظور اللسانيات العصبية، " قراءة بينية
لبعض القضايا الأولية، رسالة المشرق، 2018
- 86- عبد المجيد الطيّب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة (دراسة تقابلية)،
ط2، ، سلسلة الحرمين الشريفة، المملكة العربية السعودية، 1437هـ
- 87- علي عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز
القرآن، تح: مُجَّد خلف الله، و مُجَّد زغلول سلام، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.ت)
- 88- عبد الكريم قريشي، مرتكزات التدريس الجيّد، مجلة الأثر، ع/05، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2006م

- 89- عيد مُجَّد الطيب، لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر، (د ن) القاهرة،
1994
- 90- عبد الرحمان بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية" جهود ونتائج"، جامعة أم القرى، 2007
- 91- عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2008
- 92- عبد العليم إبراهيم، الموجّه الفني لمدرسي اللغة العربية، القاهرة دار المعارف،
1387هـ/1968م
- 93- ابن عمار الصغير: التفكير العلمي عند ابن خلدون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1978م
- 94- فيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979
- 95- الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق و تقديم: عثمان أمين، القاهرة، ط3،
1968
- 96- القفطي، إنباه الرواة على أبناء النّحاة، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981
- 97- كافوري، أبو البقاء بن موسى الحسني الكليات، تحقيق عدنان درويش، مُجَّد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1989
- 98- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، طبعة منقحة، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط، 2000
- 99- مُجَّد بن الحسن الزبيدي، طبقات النّحويين واللّغويين، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، 1984
- 100- محمود السعران، علم اللغة مّقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2،
القاهرة، 1997

101- محمود فوزي المناوي، أزمة التعريب، الأهرام القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م

102- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة الحسن

103- الثاني، عين الشُّق، الدار البيضاء، سلسلة أطروحات جامعية رقم 56/4، (بدون

ت ن)

104- مالك ابن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، (د ن)، ط1، 2002

105- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها، في دراسة اللغة والنحو، مكتبة

ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1958م

106- مهدي مخزومي: عبقرى من البصرة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2،

1406هـ - 1986م

107- مختار زاوي، دوسوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات، ابن النديم للنشر

والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت، 2017

108- مُجَّد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1986م

109- مُجَّد عابد الجابري، مسارات مفكر عربي " مُجَّد الشيخ"، مركز دراسات الوحدة

العربية، بيروت، نوفمبر 2011

110- مُجَّد عبد العزيز عبد الدائم، النظرية اللغوية في التراث العربي دار السلام للطباعة

والتوزيع والنشر والترجمة، لصاحبها عبد القادر محمود البكار، ط 1-2006م

111- مُجَّد كاظم البكاء، منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، تقديم: د. خديجة

الحديثي. و مُجَّد ضاري حمادي. ط1، بغداد 1989م

112- مُجَّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود مُجَّد شاكر، (

القاهرة: مطبعة المدني، 1394هـ/1974م)

113- مُجَّد الأوراعي، اللغويات العربية واللسانيات الغربية، المحاضرة 1، جامعة الإمام مُجَّد

بن سعود الإسلامية، (دون ت)

114- مُجَّد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، مدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة 2003

- 115- مُجَّد مُجَّد العمري، الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية، " البنيوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، (2012)
- 116- مهدي مخزومي، في " النحو العربي نقد توجيه"، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط2، 1986
- 117- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 1989م
- 118- مُجَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1997
- 119- مُجَّد زغلول، أثر القرءان على النقد العربي، مكتبة الشباب، مصر، ط1، 2010
- 120- مُجَّد الدريج، اللسانيات والديداكتيك، (د ت ن)
- 121- مرتضي جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، عمان، دار الشروق، ط1، 2002
- 122- ميشال زكرياء، الألسنية المباديء والاعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983
- 123- منذر العياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس للنشر، دمشق، 1990
- 124- مُجَّد عطية المعتز بالله، وأحمد راغب وآخرون، العربية والذكاء الإصطناعي، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، ط1، 2019
- 125- ابن منظور لسان العرب، مادة: عمل، ج1
- 126- نهاد الموسى، نحو توصف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، امؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000
- 127- نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط 1971
- 128- نوار سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل التعليميات، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2016
- 129- نبيل علي، اللغة والحاسوب، مجلة عالم الفكر، 1987م

- 130-** الأطاكي مُجّد ، الوجيز في فقه اللغة، الطبعة الثانية، مكتبة دار الشرق، (د ت ن)، بيروت، ص: 56
- 131-** هشام عبد الله الخليفة، نظرة الفعل الكلامي، بين علم اللغة الحديث، والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، مكتبة ناشرون، لبنان، بيروت، ط1، 2007م
- 132-** هادي عطية مطر الهلالي، زيادة الاستشهاد بالحديث والأثر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، 1991
- 133-** ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق وتعليق، مازن المبارك مُجّد على حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني - دار الفكر - بيروت، ط1، 2005م
- 134-** وليد مُجّد مراد، نظرية النّظم وقيمتها العلمية في الدّراسات اللغوية، عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط1، 1983
- 135-** وليد الأنصاري، نظرة العامل في النّحو العربي عرضاً ونقداً، الأردن، دار الكتاب الثقافي 2002
- 136-** ياقوت الحموي: معجم الأدباء 461/1.
- 137-** يحيى بن زياد الفراء، معاني القراءان عالم الكتب، تح: مُجّد على النّجار وآخرون/بيروت، 1421هـ
- 138-** أبي القاسم الزجاجي (ت338هـ): الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، ط3/ 1979
- 139-** أحمد عفيفي، المنظومة النّحوية للخليل ابن أحمد الفراهيدي، أعدّه للطبع: مُجّد الصليبي، ط1، 2000م
- 140-** أحمد كمال زكي، الحياة الأدبية للبصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ط1، دار الفكر، دمشق، 1961م
- 141-** أحمد مومن، اللّسانيات النّشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005م

- 142- أحمد محمود عشاوي، أزمة اللسانيات في العالم العربي، بحث ألقى في ندوة اللسانيات وتطورها في العالم العربي، الرباط أبريل 1987م
- 143- إبراهيم السمراي، النحو العربي نقد وبناء، دار عمار للنشر والتوزيع، (ب د ط)
- 144- أحمد مختار عمر: علم الدلالة 68، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1993م
- 145- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات - ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2000
- 146- أحمد حساني، أثر اللسانيات التقابلية والنصية في ترقية تعليمية اللغة للناطقين غيرها- مقارنة بينية- (ب س ن)
- 147- أحمد الفاسي، الديدكتيك: مفاهيم ومقاربات، جامعة عبد المالك السعدي، طبعة الخوارزمي، تطوان، دت
- 148- أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، 1988
- 149- أيوب عبد الرحمان، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة، ج1، 1957
- 150- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1- 2005
- 151- أحمد ملاح، المختصر في تاريخ الإبستمولوجيا. منشورات مختبر الفلسفة وتاريخها، دار
- 152- القدس، وهران، ط2010
- 153- أحمد حسن اللقاني وعلي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعروف في مناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، ط02، القاهرة، 1999
- 154- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، تحقيق شوقي ضيف، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة 1947
- 155- بن عيسى زغبوش، المعالجة الآلية للغة مسارات تحليل الجمل العربية باعتماد نماذج شبكات الانتقال، مصطفى بوعناني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد 14، 2006م

- 156- بلقاسم اليوبي: اللسانيات الحاسوبية، مفهوماً وتطورها ومجالات تطبيقها، مجلة مكناسة، ع 12، 1998
- 157- تشومسكي البني التحوية، ترجمة يوسف يوئيل، ط 1، 1987
- 158- تهامي الحايبي، اللغة والطبيعة من محاكاة الصوت الطبيعي إلى بناء الكلمة، دراسة ومعجم، ط 1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2016
- 159- تهامي الرّاجي، توطئة في علم اللغة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1988م
- 160- جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 2013
- 161- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ت حلمي خليل، دار المعرفة الجامعة الاسكندرية، ط 1، 1985
- 162- حاتم أبو زيد: مقدّمة في الأصول الفكرية والبلاغية وإعجاز القرآن، دار الأمان الرباط، ط 1، 1989
- 163- حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 1988
- 164- خالد خليل هادي: تمام حسان في معيار النقد اللساني، مجلة الأستاذ، ع/203، 2012
- 165- خليل أحمد عمارة، المسافة بين التّظهير التّحوي والتّطبيق اللغوي (بحوث في التفكير النحوي والتّطبيق اللغوي)، ط 1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان 2004
- 166- خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة جدهن ط 1، 1984
- 167- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، الجمل في التّحو، تحقيق: فخر الدّين قباوة، مؤسسة الرّسالة، القاهرة، ط 1، 1985
- 168- الخليل ابن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دط، دار الحرية بغداد، ج 1973، 6
- 169- دوسوسير، فردينان، محاضرات في الألسنيّة العامّة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، دار

- 170- نعمان للثقافة، لبنان ج/1، ، 1984
- 171- دفاتر التربية والتكوين، ملائمة المناهج والبرامج من أجل، ع/6-7، ماي 2012
- 172- رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، ط1،
2000
- 173- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط3، مكتبة
الخانجي القاهرة، -1417هـ-1997م
- 174- ربيكا إكسفورد، استراتيجيات تعلم اللغة، تر: مُحمَّد دعدور، مكتبة الأنجلو المصرية،
1996
- 175- زهير غازي، المعرفة اللغوية وتفسير النصّ القراءني، (ب س ن)
- 176- كي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2،
1973م
- 177- سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ، 32/3،
1988
- 178- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت، ط1 ، مجلد
1991،04 /
- 179- سناء منعم، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، الثوابت النظرية والإجرائية، عالم
الكتاب الحديث، إربد- الأردن، 2018
- 180- صالح بن فهد العصيمي، اللسانيات الجنائية "تعريفها، ومجالاتها، وتطبيقاتها"، مركز
فهد الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1 2020
- 181- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة- الجزائر - 2004م
- 181- عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية والتحويلية، ط1، 1980 دار الطليعة للطباعة
والتّشر، بيروت، ط2، 1988
- 182- عبد المجيد الطيّب عمر، منزلة اللغة العربية بين اللّغات المعاصرة، دراسة تقابلية،
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1437هـ

- 183- عبد الله بن سرجان، مقال : تاريخ التَّنظير في صناعة الترجمة لدى الغرب، مجلة الكلمة، العدد 121، ماي 2017
- 184- عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ج/1، موفم للنشر، الجزائر، 2012
- 185- عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، 1973
- 186 - عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، (ب د ط) دار النهضة العربية بيروت، 1979م
- 187- علي عبد السميع قره، وجيه المرسي أبو لين، الاستراتيجيات الحديثة في تعليم وتعلم اللغة، كلية التربية جامعة المنصورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر (بدون ت ن)
- 186- عبد الله أحمد جاد الكريم، البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب، شبكة الألوكة للنشر، 2015
- 187- على أبو المكارم، الجملة الإسمية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م
- 188- علي آيت أوشان، اللسانيات والتربية، المقاربة بالكفاءات والتدريس بالمفاهيم، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2014
- 189- عطية سليمان أحمد، اللسانيات العصبية (اللغة، رمزية عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، تاريخ الإصدار 2019
- 190- عاطف فضل مُجَّد، مقدّمة في اللسانيات، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011
- 191- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الرياض، 1975
- 192- عزيز العماري و عبد الرحمان رحموني وآخرون ط1، كتاب جماعي محكم، اللسانيات الوظيفية (النظرية والنماذج والمقاربات)، إعداد وتقديم، دار كنوز المعرفة، 2020

- 193- عبد المنعم أحمد بدران، مهارات ما وراء المعرفة وعلاقتها بالكفاءة اللغوية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مدرسة ابن النفيس، 2008
- 194- عادل أحمد جرار: تعريب العلوم، دار الضياء، عمان، ط1، 1425هـ، 2004م
- 195- عبد الله محمد بن عبد الرحمان، إدارة المؤسسات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009 فتحى يونس، التواصل اللغوي، (د،ن)، القاهرة، 2009م
- 196- فؤاد زكرياء، التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت 1978م
- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، حافظ إسماعيلي علوي - محمد الملاخ - ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2009
- 197- كمال يوسف الحاج، فلسفة اللغة، دار النهار للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1967
- 198- محمد إسماعيلي العلوي؛ التواصل الإنساني، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2014،
- 199- محمد صالح بن عمرة، الثورة و التكنولوجيا واللغة، دار الشؤون الثقافية، 1986
- 200- مهدي مخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي البابي وأولاده، 1988
- 201- محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، ، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1411هـ، 1991م
- 202- محمد عبد العزيز عبد الدائم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار العلوم، جامعة القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2006
- 203- محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، دمشق سوريا، ط1، 1419هـ-1999م
- 204- محمد الدريج، نحو بيداغوجيا جديدة للتعبير، مقتضيات دراسة النصوص، الدليل التربوي،
- 205- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 2000م
- 206- محمد صالح بن عمرة، الثورة و التكنولوجيا واللغة، دار الشؤون الثقافية، 1986

- 207-مصطفى غلفان، قراءات معاصرة في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، بحوث محكمة في المؤتمر الدولي الثالث، 2019،
- 208-منصور بلرنب، محاضرات في مقياس إدارة الموارد البشرية، (ب ت ن)، أقيمت على طلبة الماجستير علوم سياسية وعلاقات دولية جامعة الجزائر 2005-2004
- 209-منذر عياش، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1991
- 210-ميشال زكرياء: بحوث ودراسات ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992
- 211-مُجد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001
- 212-نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، عمان، 2009
- 213-نواري سعودي أبو زيد، اللغة وبناء الإنسان دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل التعليميات)، دار قرطبة للنشر، المحمدية الجزائر، ط1، 2016م
- 214-نواري سعودي، البحث اللساني وتعليمية اللغة العربية، مقارنة لسانية في كتابات عبد الرحمان حاج صالح، جامعة فرحات عباس، سطيف.(د س ن)
- 215-بن يونس علوي، من البنية العميقة إلى البنية السطحية، شبكة الألوكة، نقلاً عن مكمل ومُجد بولعيش، ملف خاص بنعوم تشومسكي، (بدون ت)
- 216-هادي نعمان الهبتي، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1983
- 217-هادي عطية، مطر الهلالي، ريادة التصحيح اللغوي وتصويبه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، 1991
- 219- هبة خيارى، خصائص الخطاب اللساني، أعمال ميشال زكريا أنموذجا، منشورات زين لبنان الوسام العربي الجزائر، ط1-2011 :
- 218-هشام صويلح، واقع تعليمية اللسانيات في الجامعة الجزائرية، " دراسة ميدانية"، مجلة تعليميات، المجل/1، ع5، 2021

- 219- وليد مُجّد السّراقي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية، ومدارسها، مركز الفهرسة ونظم المعلومات، مركز العتبة العباسية المقدّسة، بيروت، ط1، 2019
- 220- يونس البنغازي، المنهج الوصفي في كتاب سيوييه، مشورات جامعة قار يونس، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط1، 1996م
- 221- يوسف غازي، محاضرات في الألسنية عامة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986
- 222- أبي الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللّفظي)، تأليف: المشهور بكراع النمل، ، تح: أحمد مختار وضاحي عبد الباقي، ط2، ، عالم الكتب، القاهرة، 1988
- 223- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم العربية المعاصر، ط1، 4عالم الكتب، القاهرة، المجلد/، 1صدر: 1429هـ-2008م
- 224- سامي عياد حنا وآخرون، معجم اللّسانيات الحديثة، مكتبة ناشرون بيروت، 1997
- 225- المعجم الوسيط مادة، تأليف: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، مُجّد خلف الله أحمد، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004

2- المعاجم:

- 226- معجم اللّسانيات، جورج موانان، ترجمة جمال الحضري، ط1- مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2012
- 227- مُجّد السيد الشّريف الجرجاني، "معجم التعريفات"، تح: مُجّد الصّديق المنشاور، د، ط، القاهرة، د، ت، دار الفضيلة، 2000
- 228- مُجّد التّنوجي، "المعجم المفصّل في الأدب"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999، ج1، 9
- 229- عزيزة فوّال باستي، "المعجم المفصّل في النّحو العربي"، صدر سنة 1413هـ_1992م

230- أول معجم عربي "ياقوت الحموي، معجم الأدباء 1261/3

3-الكتب المترجمة:

- 231- جورج موانان، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم سلسلة الكتب العلمية، دمشق 1972
- 232- جان جاك روسو، محاولة في أصل اللغات، ، تعريب: مُجّد محبوب، تقديم: عبد السلام المسدي، ديسمبر 1984م
- 233- جورج بوشامب، نظرية المنهج ، ترجمة محمود سليمان وآخرون، ط1، الدار العربية للنشر و التوزيع ، مقدمة الطبعة الأجنبية. 1987
- 234- روبر مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة، عبد القادر المهيري، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2007
- 235- ربكا إكسفورد، إستراتيجيات تعلم اللغة، تر: وتعريف مُجّد دعدور، مكتبة الأنجلو المصرية، مكتب النسر للطباعة، 1996
- 236- سيلفيا بافيل وديان نولي، تر: خالد الأشهب، دليل الاصطلاح، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016
- 237- شارل بوتون، اللسانيات التطبيقية، ترجمة: قاسم المقداد و مُجّد رياض المصري، دار الوسيم للخدمات المطبعية، دمشق،(د ت)
- 238- قلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، تر: خالد الأشهب وماجد ولين النهيبي، مرا، ميشال زكرياء، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009م
- 239- المنطق في اللسانيات أينس ألوود- لارس غونار أندرسون، أوستن دال، تر: عبد المجيد جحفة، الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013، ص:05
- 240- لويس- جان كالفي، أي مستقبل للغات، الآثار اللغوية للعمولة، تر: جان ماجد جبّور، مؤسسة الافكر العربي، ط1 بالعربية، ، بيروت لبنان، 2018
- 241- المنطق في اللسانيات، ينس ألوود، لإرس غونار أندرسون، أوستن دال، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1

242- جان بياحيه: البنيوية، تر: عارف ميمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات،

ط3بيروت، باريس، ، 1982

243- مدخل إلى اللغويات التطبيقية، بيت كورد، تر: جمال صبري، مجلة اللسان العربي،

ع14، الرباط، 1976م

244- لويز دأبن: اللسانيات وتعليم اللغات، ترجمة: خولة طالب الإبراهيمي، (د س ن)

245- فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية،

بغداد، 1985

4-المجلات والدوريات:

246- أبو بكر عبد الله علي شعيب، الجملة عند ابن هشام، دراسة مقارنة مع مبادئ

مجلة مجمع اللغة العربية، تشومسكي اللغوية الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ع08، ذو القعدة /

أغسطس:2015م

247- أحمد مجتبي السيد مُجَّد، الجملة عند النَّحاة واللُّغويين القدامى المحدثين (مفهومها

ومكوناتها)، مجلة سبها للعلوم الإنسانية، المجلد:13، ع: 02، ليبيا 2014

248- تركي رابح، دور التربية في التنمية الوطنية، تجربة الجزائر في تكوين المكونين

للمنظومة التربوية، مجلة الفيصل، عدد118، ديسمبر 1986

249- جان بياحيه، وضع علوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونسكو، الاتجاهات

الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، المجلد الأول، دمشق،

1976

250- رشيد عبد الرحمن العبيدي، البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات (12)

ضمن مجلة آداب المستنصرية، ع-1985

251- سعد فاهم، قراءة في الإسهامات اللسانية الحاسوبية العربية، آفاق ورهانات،

جامعة مولود معمري، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، عدد36سبتمبر 2015

سعيد جبر أبو خضر، وعبد الرحمن قبلان السرحان، أثر علاقات المعنى في تقعيد تراكيب العربية،

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد/9، ع02، 2012

- 252- صالح عبد الله جاسم، بحث بعنوان : نظرية المنهج : استشراف مستقبل العلوم في الدراسات البيئية نحو منهج تكاملي، مجلة كلية التربية وعلم النفس جامعة عين شمس ع/25، ج/1، 2001
- 253- طلس، تاريخ الأمة العربية، عن الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل 1986
- 254- عبد الوهاب صديقي، اللسانيات وتدرّيس اللغة العربية، مجلة الدّراسات اللغوية والأدبية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 2011
- 255- عبد الرحمان حاج صالح، مشروع الذخيرة اللّغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية، مجلة الآداب، العدد:03، (د س ن)
- 256- عبد الرحمان حاج صالح، " أثر اللّسانيات ف النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" مجلة اللّسانيات، معهد العلوم اللّسانية والصوتية، الجزائر: 1973م
- 257- عبد الرحمان حاج صالح: مدخل إلى علم اللّسانيات الحديث، مقال مجلة اللّسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، العدد، 7، 1997
- 258- عبد الرحمان حاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر اللغوي، مجلة الثقافة، السنة الخامسة، ع2- أبريل - ماي 1975م
- 259- عبد الرحمان حاج صالح، مجلة اللّسانيات المجلد الأول 1971م
- 260- عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد04، 2007
- 261- عبد الرحمان حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، (مفاهيمها الأساسية)، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، ع10، 1996م
- 262- حاج صالح، النّحو العلمي والنّحو التعليمي، مجلة مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، ع/127، (بدون ت)
- عابد بوهادي، تحليل الفعل الّديداكتيكي، مجلة دراسات في العلوم الإنسانيّة والإجتماعية، الأردن، المجلد: 34، 2012
- عادل فاخوري، اللّسانيات التوليدية التحويلية، مجلة عيون المقالات، ع 05، 1986م

- 263-** الغريسي مُجّد، اللّسانيات ودورها في التأهيل التربوي وتحقيق الجودة، تجويد تدريس اللغة العربية من منظور توليدي، مجلة مسالك التربية والتكوين، مجلد/1، عدد1، 2018
- 264-** فاطمة بنت ناصر سعيد المخيني، تعليمية اللغة العربية في ضوء المنجز اللّساني الحديث، مدخل تكاملي حاسوبي، في التعليم وتعلم اللغة العربية، مجلة الدّراسات اللغوية والأدبية، 2020
- 265-** مُجّد يطاوي، أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتّنظير، مجلة جامعة أم القرى، كلية اللغات وأدابها، المغرب، 1439/08/24هـ
- 266-** مبروك بركات، نحو نقد عربي لساني مؤسس جهوج مصطفى غلفان- أنموذجاً- مجلة الذاكرة العدد02
- 267-** مُجّد الدّريج، ديداكتيك اللّغات واللّسانيات التطبيقية، تداخل التخصصات أم تشويش براديكمي، منشورات مجلة كراسات تربوية، 2020
- 268-** موجز سياساتي: التعليم أثناء جائحة كوفيد-19 وما بعدها، الأمم المتحدة، 08 أوت 2020م
- 269-** نادية العمري، عن المعرفة اللغوية: معالجة الزمن النحوي بين الدرس اللّساني والدرس التعليمي، كلية علوم التربية جامعة مُجّد الخامس، قاعدة البيانات الرقمية العربية، ع9-10، المجلد2018
- 270-** نواره بحري، الكتابة اللّسانية العربية الحديثة بين التراث والمعاصرة، عبد الرحمان حاج صالح أنموذجاً، مجلة الحقيقة، ع40
- 271-** نبيلة بن يحيى بن فرحات، التنظير في العلاقات الدولية بين التأسيس والتسييس، فكر ومجتمع، عدد25، حزيران يونيو، 2015
- 272-** نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والإبداع، الكويت، العدد/265، 2001
- 273-** نايف خرما، و علي حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، مجلة عالم المعرفة، 126، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988

274- هاشم أشعري، نظرية نشأة اللغة وتفرعها في التراث العربي، مجلة التدريس، المجلد الخامس، العدد الأول، يونيو 2017

275- ياسين بوراس، تعليم النحو العربي بين نظرية العامل الموروثة ونظرية البحث اللساني، جامعة مولود معمري تيزي وزو، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد/4، ع/4، (د ت ن)

5- الرسائل الجامعية:

1- يوسف منصر، "الخطاب اللساني المغاربي، أصوله، مفاهيمه، إجراءاته"، عبد الرحمان الحاج، عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري، نماذج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: بشير إبرير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر، 2013

2- محمد بن علي بن محمد العمري "أوجه التنظير عند ابن جني" بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها "تخصص النحو والصرف"، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا، المملكة العربية السعودية، 23-1424هـ

3- أطروحة دكتوراه: "النحو العربي ومحاولات تيسيره، دراسة وصفية تحليلية" إعداد الطالب: مختار بزواوية، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، 2016-2017

4- رسالة دكتوراه، "الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة. جهود عبد الرحمان حاج صالح أنموذجاً" إعداد الباحثة، معالي هاشم علي أبو المعالي، إشراف د. بان صالح مهدي الخفاجي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2014

5- رسالة ماجستير، "جذور النظرية التوليدية في كتاب سيبويه"، إعداد الطالب: جابر عبد الجبار التميمي، جامعة بغداد كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بإشراف الأستاذ المساعد: الدكتورة خولة تقي الدن الهلالي، 2003م-1424هـ

6- رسالة ماجستير: "النظرية النحوية التي يركز عليها تعليم النحو والبنى التركيبية"، إعداد: خولة طالب الإبراهيمي، إشراف: أ.د عبد الرحمان حاج صالح، 1977م

6- المؤتمرات والندوات:

- 1 - حسن يوسف اللّموش، دور التعريب في تطوير اللغة العربية، ترقية العربية في تونس، ملتقى ابن منظور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، أوت 1984م
- 2- عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، بحث ألقى في ملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي، الذي نظّمته اليونيسكو في الرباط سنة 1987،
1. عبد الرحمان حاج صالح: وثيقة رقم 2، المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، مؤتمر اللغويات الحاسوبية، الكويت، 1989،
2. عبد الرحمان حاج صالح، تأثير النظريات العلمية اللغوية المتبادل بين الشرق والغرب إيجابياته وسلبياته، مؤتمر المجمع في دورته الثامنة وستين، يوم الأحد 7 أفريل 2002،
3. عبد الرحمان حاج صالح: الجملة في كتاب سيويه، ندوة النّحو والصّرف الصادرة عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، 27-30/08/1994
4. عبد الرحمان حاج صالح، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي بحث ألقى في ندوة نظّمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران (نوفمبر 1988)
5. رشيد طليبي، اللّسانيات التربوية وتدرسية اللغة العربية، مداخلة في ندوة أقيمت حول أعمال علي آيت أوشان نظّمتها المديرية الإقليمية لوزارة التربية، بفاس، 2019
6. - ماهر عبد القادر مُحمّد علي، من ملامح المنهج العلمي عند علماء العربية، ندوة الثقافة والعلوم، دبي 1995
7. منذر عياش، مطابقات في التّنظير اللّساني، وقد ألقى هذا المقال باللغة الإنكليزية في "الندوة الدولية حولة مسألة التلاقي ما بين الشرق والغرب" الأسبوع الأول من شهر أيار 2010م بدمشق سوريا
8. معوقات تعليم العربية في الجامعات العالمية، المبحث 5: اقتراحات لمعلم الأصوات العربية، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر الذي نظّمه معهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، بالتعاون مع مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، لخدمة اللغة العربية، في باريس 1437هـ/2016م

9. ليلى قلاقي، الذخيرة اللغوية ودورها في النهوض باللغة العربية والرفع من مستوى المواطن العربي، باتنة1، الملتقى الوطني الأول حول "ازدهار اللغة العربية بين الماض والحاضر"، 2018
10. الترجمة في الوطن العربي- الندوة الفكرية- نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، 2000

7- مواقع على الأنترنت:

1. الحسين بشوط، مفهوم اللغة من المنظور اللساني، منظمة المجتمع العلمي العربي، منصة النقاش، تاريخ النشر: 16 ديسمبر 2016، رابط المنصة على النت:
[/https://arsco.org/article-detail-95-8-0](https://arsco.org/article-detail-95-8-0) تاريخ الإطلاع :
2021/05/31
2. / الموقع الإلكتروني للمصدر:
3. / <https://www.ethnologue.com/guides/how-many-languages>
4. عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، اللغة وأصلها عند ابن جني، موقع شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/03/21، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2021/05/26، على الرابط:
https://www.alukah.net/literature_language/0/100560
5. عرفة عبد المقصود عامر حسن، السياق في فكر سيوييه وعلاقته بالمكون التركيبي، موقع الألوكة على الرابط: [/https://www.alkah.net/sharia/0/75204](https://www.alkah.net/sharia/0/75204)
a. تم الاطلاع بتاريخ: 2021/06/30
6. علي الطاهر، منتديات تخاطب، على الرابط:
<https://takhatub.ahlamontada.com/t525-topic> تم الاطلاع :
2021/06/28
7. عبد الله الفلاح، القسر لابن جني بين النقد والتجني، الفتح على أبي الفتح أنموذجًا، مركز حمد الجاسر، 1، 2018، رابط المركز:

[http://hamadaljasser.com/index.php?route=information/
headernewsarchiveve&news_id=123](http://hamadaljasser.com/index.php?route=information/headernewsarchiveve&news_id=123)

8. جلول تهامي، ربط التحو بالمناهج الحديثة، مدونة اللسان السابع، رابط المدونة على

الشابكة: [https://lissane7.blogspot.com/2019/12/blog-
post_77.html](https://lissane7.blogspot.com/2019/12/blog-post_77.html)

9. حمزة بن قبلان المزيني، تحت عنوان: تشومسكي في عيد ميلاده السابعين، صحيفة الرياض

السعودية 1420/08/25 هـ: 1-2 والعنوان الإلكتروني هو:

تم الاطلاع بتاريخ: <http://www.Hnozainy.com/Itshomesky2.htm>
2021/06/28

10. الحسين السايحي، الديداكتيك النظري والديداكتيك التطبيقي، موقع الألوكة، على

الرابط: [/https://cp.alukah.net/social/0/141754](https://cp.alukah.net/social/0/141754) طلع عليه بتاريخ:
2021/06/20

11. سالم مبارك محمد حسن بن عبيدالله. نحو وصرف، منصة أريد، تم الاطلاع بتاريخ:

2021/06/17 على الرابط
[https://portal.arid.my/ar-
/LY/Posts/Details/f3c5e56d-3f5a-4cbb-93ba-df3e4c00a642](https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/f3c5e56d-3f5a-4cbb-93ba-df3e4c00a642)

12. عبد الله رمضاني، " تحليلات الألسنية الحديثة في تراثنا اللغوي، موقع إقرأ واكتب

بالعربية، تاريخ النشر: 25 سبتمبر 2020، رابط الموقع

<https://bilarabiya.net/15871.html> / تاريخ الإطلاع: 2021/05/31

13. محمد زكرياء توفيق، حروب رجال الدين ضد العلم والعلماء، جريدة الحوار

المتمدّن، العدد: 2380، تاريخ النشر: 2008/08/21م، الموقع الإلكتروني للمجلة:

[/https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=144581](https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=144581)

14. موقع MSD: اضطرابات-الدماغ-والنخاع-الشوكي-والأعصاب/الخلل-

الوظيفي-في-الدماغ/الخبسة على الرابط:

تم الاطلاع بتاريخ: [/https://www.msmanuals.com/ar/home](https://www.msmanuals.com/ar/home)

2021/06/18

15. شادي عبد الحافظ، كيف يتعامل الدماغ مع اللغة، موقع الجزيرة على الرابط: /
<https://www.aljazeera.net/midan/miscellaneous/science/2017/4/9>

16. رشدي راشد، اللغة العربية العلمية بين الترجمة والبحث العلمي، منصة النقاش،
تاريخ النشر 07 فبراير 2018، رابط الموقع الإلكتروني:
<https://arsco.org/article-detail-1054-8-0> / تم الإطلاع
بتاريخ: 2021/05/31م

17. صالح عبد العظيم الشاعر، اللغة مفتاح لإصلاح التعليم والبحث العلمي، منصة
النقاش، تاريخ النشر: 07 مارس 2016، رابط الموقع:
<https://arsco.org/article-detail-1000-8-0> / تم الإطلاع عليه
بتاريخ: 2021/06/01

18. خضر حواس، ضبط معايير التوجيه ضرورة لجودة التعليم الجامعي " مقترحات لرفع
كفاءة التوجيه الجامعي " منصة المنهل على الرابط:
<https://platform.almanhal.com/Files/2/22958> / تم الاطلاع
بتاريخ : 2021/06/01

19. المصدر: عالم الإلكتروني، عالم المستقبل، رابط الموقع:
<https://www.4electron.com/2020/02/6031> / تم الاطلاع بتاريخ:
2021/05/17

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع.....الصفحة

مقدمةأ-ط

- 16..... مدخل: الجهاز المفاهيمي المفاهيمي لمصطلحي اللغة واللسان
- 17..... توطئة:
- 18..... مفهوم اللغة في المعاجم العربية
- 20..... الإطار الإستمولوجي لمصطلح اللغة
- 25..... كرونولوجيا نشأة الفكر اللغوي
- 28..... اللغة بين الماهية والأصل والتطور
- 32..... نظريات حول أصل اللغة
- 36..... نظرية التوقيف The theory of arrêt
- 37..... نظرية المحاكاة - Simulation theory
- 38..... نظرية المواضعة والاصطلاح - Agreement, Convention Theor
- 41..... الفصل الأول: التّنظير والمرجعيات الفكرية للنظرية اللغوية
- 42..... توطئة
- 44..... المبحث الأول: الحدود المفاهيمية لمصطلحي التّنظير والنظرية
- 44..... مصطلح التّنظير في معاجم اللغة
- 44..... معجم لسان العرب (لابن منظور 1232م-1311م)
- 46..... معجم شمس العلوم (نشوان ابن سعيد الحُميري-ت573هـ)

- 47.....تنظير التراث العربي المنهج والأهداف..... -
- 48.....كتاب المنّصف..... -
- 49.....كتاب الفسّر..... -
- 51.....مصطلح "التنظير" في المعاجم العربية المعاصرة..... -
- 52.....معجم العربية المعاصرة..... -
- 53.....مصطلح التنظير في المعجم المفصل في التحو العربي..... -
- 54.....معجم المصطلحات البلاغية وتطورها..... -
- 56.....المبحث الثاني: مصطلح النظرية و التنظير في الفكر العربي..... -
- 56.....النظرية ونشأة المعرفة..... -
- 59.....النظرية والتنظير بين التفاضل والتكامل..... -
- 63.....النظرية والتنظير ومنهجهما في العلوم اللغوية..... -
- 65.....المنهج الأول..... -
- 65.....المنهج الثاني..... -
- 68.....المبحث الثالث: النظرية في الفكر العربي بين علمية المصطلح وحادثة الاستعمال..... -
- 71.....النظرية اللغوية في التراث العربي بين (المرجع والتوظيف)..... -
- 74.....النظرية اللغوية في الفكر العربي بين الفهم والتأويل..... -
- 83.....المبحث الرابع: النظرية اللغوية ونماذجها في التراث العربي..... -
- 83.....نظرية المشترك اللغوي في التراث العربي..... -
- 88.....نظرية النظم تفوق لغوي ومرجعية في الفكر العربي..... -
- 93.....المحتوى التراثي العربي بين أزمة المنهج و حادثة النظريات..... -
- 101.....الفصل الثاني: قراءة في أسس المحتوى الإستمولوجي للسانيات العامة..... -
- 102.....توطئة..... -
- 103.....المبحث الأول: السياق التاريخي لنشأة الفكر اللساني..... -
- 105.....علم اللسانيات العامة (الأصل والمرجعية)..... -
- 113.....المبحث الثاني: الفكر اللساني المعاصر بين التأصيل العربي والتلقي الغربي..... -

- اللسانيات بين المرجعية اللغوية والمنهج العلم.....116
- لسانيات دي سوسير فكر بنيوي معاصر أم فلسفة اللغة؟119
- مرجعية دي سوسير مؤلفٌ شخصي أم تأويل مذهبي.....125
- **المبحث الثالث:** الجذور العلمية العربية للفكر اللساني الغربي.....132
- براعة العرب في تأصيل الفكر اللغوي وأثره في اللسانيات المعاصرة.....137
- سيويه وفكره اللغوي بين (المرجعية التراثية والمقصدية العلمية).....146
- السياق عند سيويه.....148
- أزمة اللسانيات العربية المعاصرة بين (التأصيل العربي والتعليل الغربي).....153
- مشكلة اللغة العلمية والمصطلحات.....154
- مشكلة الأوهام العلمية الشائعة المسلمة154
- **الفصل الثالث:** اللسانيات العربية وديداكتيك اللغات بين (التنظير والممارسة).....157
- **توطئة**158
- **المبحث الأول:** اسقاط الحصيلة العلمية للسانيات العربية على الجانب الديدكتيكي.....160
- مستوى ناقل لفكر نظري غربي.....160
- مستوى ناشر لفكر عربي تراثي.....160
- علاقة اللسانيات بالديدكتيك.....162
- على المستوى النظري.....164
- المستوى السيكلولوجي.....164
- اللسانيات العربية بين فكر (الإندماج الغربي والانتماء العربي).....166
- أولاً الاتجاه النحوي التقليدي.....166
- ثانياً اتجاه ربط النحو بالبحث الغربي المعاصر.....166
- ثالثاً اتجاه تراثي حديثي.....167
- كتاب (مناهج البحث في اللغة 1955م).....170
- كتاب (دراسات نقدية في النحو العربي 1957م).....170
- كتاب (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 1962م).....171

- 175.....المبحث الثاني: الجهود اللسانية للحاج صالح وعلاقة التراث بالحدائثة
- 181.....النظرية الخليلية الحديثة وأثرها في تطوير اللسانيات العربية المعاصرة
- 184.....مصطلح الاستقامة بين المنظور العربي والفلسفة الغربية
- 186.....مصطلح العامل بن الوجود والعدمية
- 190.....التحو العلمي
- 191.....التحو التعليمي
- 191.....المبحث الثالث: التنظير اللساني للتراث العربي، والهيمنة الغربية على المفاهيم
- 191.....مصطلح الجملة في الفكر اللغوي العربي
- 195.....الجملة في المنظور اللساني عند المحدثين
- 196.....الاتجاه الأول
- 196.....الاتجاه الثاني
- 196.....الاتجاه الثالث
- 199.....جملة اسمية
- 199.....جملة فعلية
- 200.....الجملة في المنظور اللساني التوليدي
- 206.....مبدأ النموذج الذهني الإبداعي
- 207.....مبدأ البنية السطحية (Surface Structure) و البنية العميقة
- 207.....مبدأ الكفاءة اللغوية Compétence والأداء الكلامي
- 212.....الفصل الرابع: مستقبل تعليمية اللغات في ظل اللسانيات المعاصرة
- 213.....توطئة:
- 214.....المبحث الأول: تعليمية اللغة العربية الأسس التراثية والمنهج الحدائثي
- 220.....الفكر التعليمي - التعلّمي والمعرفة اللغوية
- 223.....معرفة علمية نظرية
- 223.....معرفة علمية وظيفية
- 225.....اللسانيات الحاسوبية وتعليم العربية الراهن والمأمول

- وظائف اللّسانيات الحاسوبية.....227
- الجانب النظري.....227
- الجانب التطبيقي.....227
- ديناميكية الأصوات اللغوية وأثرها في القدرات العقلية.....231
- وضع المعنى اللّغوي.....232
- مرحلة الفعل الذهني.....232
- المبحث الثاني: أهداف المعرفة اللغوية من منظور ديداكتيكي.....234
- المعرفة المتعلقة بالمتكلم والمتلقي (المخاطب).....235
- المعرفة الخاصة باللّسانياتي.....235
- المعرفة اللغوية ومنهج التدريس الجامعي للمحتوى اللّساني.....236
- النماذج المعرفية اللّسانية المؤثرة في المنظومة التربوية(شكل).....240
- المبحث الثالث: اللّسانيات العربية المعاصرة و المنهج الحديث في تعليم اللغات.....242
- مشروع الذخيرة اللّغوية وتحديث اللّسانيات العربية.....249
- مستقبل المعالجة الآلية للعربية في ظل تحديات الذكاء الاصطناعي.....252
- المراحل الأساسية لعمل المترجم (شكل).....254
- المبحث الرابع: تدريس اللّسانيات في الجامعة الجزائرية بين المعوقات والآفاق.....255
- واقع تدريس المقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية.....257
- آليات التوجيه ودورها في تحفيز الطلبة على المقاييس اللّسانية.....259
- عامل التوجيه.....259
- المنهاج والمقرّر.....260
- التأهيل.....260
- المقرّر اللّساني وقابليته للتدريس.....261
- تفاعل الطلبة مع المحتوى المعرفي للمقاييس اللّسانية.....264
- دور الجامعة في تعليمية اللّسانيات.....267
- المعرفة (المادة التعليمية المرجمة)شكل.....266

- 267.....مدى تفاعل تدريس اللسانيات مع اللغات الأجنبية.
- 268.....تدريس اللسانيات بين ازدواجية اللغة وتعدّد المناهج.
- 270.....معوقات تدريس المقاييس اللسانية في الجامعة الجزائرية.
- 274.....الخاتمة
- 279.....خاتمة
- 280.....الملاحق
- 281.....ثبت المصطلحات الواردة في الأطروحة.
- 289.....الاستبيانات.
- 291.....فهرس الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- 295.....فهرس الشواهد الشعرية
- 298.....قائمة المصادر والمراجع
- 332-326.....فهرس المحتويات

إن الخوض في غمار الفكر اللساني المعاصر وقضاياها، ليس بالمهمة السهلة على الباحث العربي، الذي يتوق إلى الاستفادة المعرفية، من خلال ما يلمسه من تقاطع بين تراثه اللغوي، والعلوم البيئية الأخرى كتعليمية اللغات، وفنون التدريس وغيرها؛ فواقع البحث اللساني في الوطن العربي، قد بدأ يستشعرنا بضرورة الإسراع بالنظر، والتنظير، لمقومات اللسانيات العربية، ومحاولة تجديدها، وتحديث أهدافها، بما يتوافق ومتطلبات المعرفة اللغوية من جهة، ومن جهة أخرى دون المساس بهوية وأصالة تراثنا العربي. وقد جاء هذا البحث ليثري في هذا الصدد، ويتخذ من أعمال حاج صالح، أنموذجاً يحتذى به، في إدراك الأهداف الدقيقة للبحث، عرضاً ومناقشةً، وتحليلاً إلى ضافة إلى طرح جملة من نتائج، وتقديمها كاستراتيجيات وبدائل تثري اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الفكر اللساني، النظر، التنظير، تعليمية اللغات، عبد الرحمان الحاج صالح

SUMMARY

Going into contemporary linguistic thought and its issues is not an easy task for the arab scholar, who longs to benefit from knowledge through the intersection he sees, between his linguistic heritage and other interstitial sciences such as language education, teaching arts, etc. The reality of linguistic research in the Arab world has begun to make us feel the need to accelerate the consideration and theory of the elements of Arabic linguistics, and to try to renew them and update their objectives, in accordance with the requirements of linguistic knowledge on the one hand, and on the other hand without compromising the identity and authenticity of our Arab heritage. This research has been based on the work of Hajj Saleh, a model for the realization of the precise objectives of research, presentation and analysis, as well as the presentation of the findings, and presented as strategies and alternatives that enrich the Arabic linguistics with its various tongues and sciences.

Keywords

Linguistic thought, vision, endoscopy, language education, Abdurrahman haj Salah

Résumé

Ce n'est pas une tâche facile pour le chercheur arabe, qui est désireux de bénéficier des connaissances qui il voit, entre son héritage linguistique et d'autres sciences interstitielles tels que l'enseignement des langues, l'enseignement des arts, etc. La réalité de la recherche linguistique dans le monde arabe a commencé à nous faire sentir le besoin d'accélérer la prise en compte et la théorie des éléments de la linguistique arabe, et d'essayer de les renouveler et de mettre à jour leurs objectifs, en conformité avec les exigences de la connaissance linguistique d'une part, et d'autre part sans compromettre l'identité et l'authenticité de notre patrimoine arabe. Cette recherche a été basée sur les travaux de Haj Salah, un modèle pour la réalisation des objectifs précis de recherche, de présentation et d'analyse, en plus de présenter les résultats obtenus, et de les présenter comme des stratégies et des alternatives qui enrichissent la langue arabe.

Mots- clés

Pensée linguistique, vision, endoscopie, enseignement des langues, Abdurrahman haj salah